

كلمة العدد

بقلم سمو الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

التاريخ نافذةٌ على الماضي وإستشرافٌ للحاضر وبناءٌ للمستقبل

إن تقدم الأمم رهين بتراثها وتاريخها، والأمة العربية ذات بُعدٍ أصيل، ومجدٍ عريق، بُني عليه تراثٌ تليد وتاريخٌ مجيد...

والبحرين كجزء من الأمة العربية الإسلامية مرت بها عصور تاريخية خلفت وراءها آثاراً كانت وما تزال تروي قصص أمجادها وتاريخها الخالد... وعلى الرغم من صغر مساحة البحرين إلا أن تاريخها العريق الموغل في القدم وما مر بها من وقائع وأحداث يجعل من الباحث متشوقاً للمزيد، فليس أحب للإنسان من أن يسترجع أزماناً مضت بحضاراتها وأجيالها وتحدياتها وتجاربها وإنتصاراتها، كما إنه وفي عين الوقت ليس أحب عليه من محاولة معايشة هذا التاريخ بكل معطياته وتفاصيله وحقائقه، فقد كان التاريخ دوماً ومايزال أكبر معلّم للإنسان، فهو يقدم للأجيال اللاحقة المواعظ والعبر التي تمخضت عنها تجارب السابقين وخبراتهم، فتاريخ الإنسانية يمثل موجة تسبح في دائرة مغلقة، تتكرر تجاربها وظواهرها، وإستقراء التاريخ يدفع إلى تلمس

معالم الطريق، دون اللجوء إلى إجتهادات قد تُصيب وقد تُخطيء، ومن أجل ذلك كان البحث في التاريخ وتدوينه وتوثيقه عملاً بالغ الأهمية، جليل المنفعة...

ولقد شهدت أرض البحرين العريقة منذ فجر التاريخ ظهور أول حضارة عرفها الإنسان، ومنذ تلك الأزمنة الموغلة في القدم، والتاريخ يسجل لأرض الخلود، وجنة دلمون، عصراً وراء عصر، وعهداً وراء عهد، تأرجحت فيها الحياة مابين مد التاريخ وجزره، وشهد تاريخها طيب العيش وأناشيد الصيد والغوص، وعاشت عمرها بحلو رخاءه، ومر أيامه على مجرى الأحداث من عمق التاريخ وصولاً إلى حديثه، حيث تعيش اليوم عصرها المشرق المزدهر، الذي نحيا في أعطافه، عصر النهضة الحديثة المباركة التي انبثقت فوق ترابها بقيادة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين القائد الأعلى لقوة الدفاع حفظه الله ورعاه، وحكومته الرشيدة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر، وبمؤازرة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة ولي العهد نائب القائد الأعلى النائب الأول لرئيس الوزراء...

إن تاريخ البحرين الموغل في القدم، والضارب في جذور التاريخ لم يكن ليُترك حتى يطويه النسيان، كما لم يكن ليُهمل حتى تضيع في ثناياه تجارب الأولين، حيث تبنى صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى حفظه الله ورعاه، ومنذ أن كان جلالته ولياً للعهد فكرة إنشاء مركز الوثائق التاريخية وذلك عام 1978م، حيث بذل جلالته بحرصه المعهود على العلم وإهتمامه بالتاريخ، كل الجهد من أجل تحديد أسس المركز ووضع ملامحه، كما ولم يبخل جلالته بأي دعم أو تأييد كي يقوم المركز على قواعد علمية حديثة ومتطورة، وإلى جانب ذلك فقد تفضل جلالته وأمر بتوفير كل مايلزم من أجل تأسيس المركز وتفعيل دوره، ثم أعطى جلالته المركز دفعة أخرى حيث قرر إلحاقه بديوانه العامر (الزاهر)، ما يعكس حرص جلالته شخصياً على توفير العلم والمعرفة، وتدوين التاريخ وتوثيقه، فضلاً عن تقديره لعمل مركز الوثائق التاريخية الحيوي والهام، والذي كان لي شرف رئاسته، حيث أصبح المركز اليوم حقيقةً يقوم بدوره ويحقق أهدافه في خدمة الباحثين والدارسين، ويوالي نموه وتطوره يوماً بعد يوم...

وفي رمضان عام 1402هـ الموافق يوليو 1982م جاءت مجلة الوثيقة لتكون خطوةً أخرى على الطريق تُفتح فيها أبواب المركز على مصراعيها أمام أجيال الدارسين والباحثين والمهتمين بدراسة التاريخ...

وحين يكون الكم في الكتابة التاريخية أمراً هاماً من أجل أن يُغطي أوسع رقعة مكانية تشتمل على أكبر مساحة ممكنة من كتابة التاريخ لمنطقةٍ ما، فإن الكيف في الكتابة التاريخية هو أمرٌ أهم، حيث أنه يجب أن يستوفي في إستقرائه وإختباره التدقيق والتحقيق والتأني والتمحيص وصولاً إلى الحقيقة والحقيقة وحدها، أو إلى أقرب نقطةٍ يتيحها الممكن من الحقيقة، وذلك من أجل المساهمة وبأقصى جهد من أجل إبراز الصورة التاريخية الحقيقية لما مرت به هذه المنطقة من أحداث، وسعياً لتكون مجلة الوثيقة ندوةً مفتوحةً يكون النقاش فيها علمياً ومتجرداً، حتى تُتاح الفرصة للجميع للإدلاء برأيه بحرفية وموضوعية، وقد نشرت مجلة الوثيقة وعلى مدى الـ 32 عاماً التي مرت على صدورها العديد من البحوث والدراسات التاريخية وذلك باللغتين العربية والإنجليزية، وشملت أعدادها الكثير من المواضيع القيمة، وإلى جانب ذلكَ فقد قام مركز الوثائق التاريخية بإصدار ثلاثة أجزاء تختص بتاريخ البحرين من تأليف الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة والدكتور علي أباحسين وهي الجزء الأول: مكانة البحرين فى التاريخ الإسلامي، والجزء الثانى: تاريخ آل خليفة فى البحرين، والجزء الثالث: ملك ومسيرة...

وبعد افتتاح مركز عيسى الثقافي في ١٨ ديسمبر عام 2008م، إنضم مركز الوثائق التاريخية إلى المركز الجديد، حيث قام الأخير بمشروع تحويل جميع أعداد مجلة الوثيقة إلى مجلة رقمية إلكترونية وذلك بالتعاون مع شركة عالم المعرفة للمحتوى الرقمي الذي قام برقمنة كافة أعداد مجلة "الوثيقة" وإتاحتها على شبكة الإنترنت من خلال قاعدة البيانات "معرفة"، والتي تعد أضخم قاعدة بيانات للدوريات العربية والرسائل الجامعية، وذلك بناءاً على الطلب المتزايد من الباحثين والدارسين والقراء والمهتمين بالتاريخ على هذه المجلة...

وإيماناً من مركز عيسى الثقافي بأن التاريخ هُوَ عملية تواصل بين الأجيال، وإنطلاقاً من أن الوثائق والمخطوطات ستبقى ذات فائدة علمية على مر العصور، فقد نظم مركز الوثائق التاريخية بالمركز وعلى مدى الأيام 11 و 12 مايو عام 2014م ندوة علمية تاريخية بعنوان (تاريخ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين والتوثيق) وذلك في إطار الاهتمام بالتاريخ

الإنساني والحضاري لحاكم البحرين المغفور له بإذن الله تعالى صاحب العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة طيب الله ثراه، والذي كان عهده متوجاً بالترابط الوثيق بين الحاكم وشعبه، فهم الذين أجمعوا على محبته وترجموا هذا الاجماع بدعوته ليكون أميراً عليهم، فبادل هذا الإجماع بالإخلاص والوفاء. وكان رحمه الله مثالا للعدالة والنزاهة والالتزام بمبادئ الدين السمحة، فقاد البلاد بكل جدارة لاجتياز التحديات الحضارية التي كانت تواجهها وهي تخطو خطواتها الواثقة نحو ترسيخ وتأصيل الأسس الحديثة للدولة وتستعد باقتدار لاحتواء توجهات المستقبل...

ولقد وقع برنامج هذه الندوة العلمية التاريخية في أربعة جلسات نوقشت فيها عدة محاور ركزت على نشأة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وسيرته، إلى جانب التنظيم والتطوير الإداري الذي حصل في البحرين في فترة حكمه (1869م-1932م)، إضافةً إلى ملامح من النهضة العلمية والثقافية التي حصلت في عهد سموه، فضلاً عن العلاقات الخارجية للبحرين في ظل التحولات الإقليمية والدولية التي حصلت إبان فترة حُكمه رحمه الله، هذا إلى جانب الجلسة الختامية التي خرجت بالنتائج والتوصيات...

هذا وقد شارك في الندوة العديد من الأساتذة والباحثين والمختصين في التاريخ والتوثيق من داخل البحرين وخارجها... علماً بأن بعض البحوث المقدمة تم قبولها من قبل اللجنة العلمية للمشاركة في الندوة، ونوقشت في جلساتها المفتوحة من قبل الباحثين والمشاركين، بينما هناك بحوث قُبلت للنشر فقط،،، حيث سيقوم مركز عيسى الثقافي لاحقاً بإصدار كتاب عن الندوة يضم كافة البحوث المشاركة فيها...
وختاماً فنحن بذلك لا ندعي أننا وصلنا إلى الكمال، فالكمال لله وحده، وإن كنّا ندعي إننا بذلنا الجهد كل الجهد، ولكننا في عين الوقت نقول إنها خطوة على الطريق، نعمل على أن تتبعها خطوات، والله وليّ التوفيق...

عبد الله بن خالد آل خليفة،،،

الندوة العلمية التاريخية عن
"تاريخ حاكم البحرين
صاحب العظمة المغفور له بإذن اللّه تعالى
الشيخ عيسى بن علي آل خليفة
طيب اللّه ثراه،
بين التدوين و التوثيق..."



مملكة البحرين

مركز عيسى الثقافي-مركز الوثائق التاريخية

بتاريخ 11-12مايو 2014م...

قراءنا الكرام،،،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

هاهي شمس التاريخ تشرق من جديد، نابعةً من الأيادي المعطاءة لحكامنا الكرام، وعلى رأسهم جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى حفظه الله ورعاه، وحكومته الرشيدة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر، وبموازرة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة ولي العهد الأمين، راسمةً على دروبنا أجمل العبر وأبلغ المعاني وأصدق المشاعر السامية، ما يجلعنا في مركز عيسى الثقافي، نسعى على درب البذل والعطاء، غايتنا الطموح والإبداع، وهدفنا القمة والنجاح، وذلك من أجل أن نقدم باقة قيمة من البحوث التي تستقرئ التاريخ، وتسلط الضوء على أحداثه، وصولاً لتحقيق الريادة فيما يتعلق بالتدوين والتوثيق، وتعزيزاً للإستفادة من عراقة معطيات العناصر التاريخية البحرينية، فضلاً عن استخدام جميع ماتُتيحه التقنيات المتطورة، وذلك إسهاماً في نشر العلم و تنمية المعرفة وتقديم الأنشطة والفعاليات، وعقد المؤتمرات والندوات العلمية والتاريخية المتكاملة، والتي تُرضي طموحات الدارسين والباحثين، ونخبة المهتمين بشؤون الثقافة وإستشراف التاريخ...

وها نحن اليوم نطل عليكم في هذا العدد من مجلتكم الغراء "الوثيقة" وهي تفتح أبواب عددها الخامس والستين، وذلك لنستعرض لَكُم العمل المتميز والجهود الطيبة، التي بذلها مركز عيسى الثقافي، وبتوجيهاتٍ كريمة من لدن سمو الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة رئيس مجلس الأمناء، وبالتعاون مع الأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، في إعداده للندوة العلمية التاريخية التي توثق للفترة التاريخية الممتدة من عام 1869م وحتى العام 1932م، وهي فترة حكم صاحب العظمة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة طيب الله ثراه، وذلك سعياً من مركز عيسى الثقافي من أجل إعداد قاعدة معلومات تاريخية متكاملة، تسلط الضوء على حاكم البحرين المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، كما وتركز على دوره الوطني، مؤكدةً في عين الوقت على إنجازاته في تأسيس دولة البحرين الحديثة، والكيفية التي تعاطى بها رحمه الله مع تحديات عصره، والتي إستطاع من خلالها تفعيل جهوده الوطنية، وجهود أبناء شعبه الذين إلتفوا حوله وأجمعوا على محبته، حيث قاد رحمه الله بلاده وبكل إقتدار لإجتياز العقبات السياسية الصعبة التي واجهتها،

وهي تتقدم بخطوات ثابتة نحو تطوير وبناء قواعد الدولة الحديثة، وتستعد بحكمةٍ لإحتواء إستشرافات المستقبل...

افتتاح الندوة العلمية عن "تاريخ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين والتوثيق..."

هذا وقد تم افتتاح الندوة العلمية عن "تاريخ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين والتوثيق"، في صباح يوم الأحد11 مايو 2014م، في قاعة المحاضرات والندوات بمركز عيسى الثقافي، وذلك برعايةٍ كريمة من لدن سمو الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة رئيس مجلس الأمناء، حيث ألقى سموه كلمة إفتتاحيةً، رحّب فيها بمعالي الأمين العام والسادة مدراء المراكز أعضاء الأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، إلى جانب ترحيبه بالحضور الكرام من الشخصيات الفاعلة والمختصين والمفكرين والباحثين والمشاركين في الندوة، فضلاً عن النخبة المثقفة من المهتمين بتاريخ البحرين والمنطقة، وقد جاء فيها...

كلمة سمو الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، رئيس مجلس أمناء مركز عيسى الثقافي والرئيس الفخري للأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية...



"بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى صحبه ومن والاه... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

يسعدني في هذا اليوم المبارك أن أحييكم، وأن أرحب بكم في إفتتاح الندوة العلمية عن "تاريخ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين والتوثيق" والتي تتزامن مع الإجتماع الدوري الثامن والعشرين للأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، والذي يستضيفه مركز عيسى الثقافي بمملكة البحرين، هذه الندوة التي أرجو أن تكون فاتحة خير وبركة علينا جميعاً، كما وأرجو من الله أن يمتعكم بالصحة والسرور وأن يجعل لقاءكم هذا لقاء خير ومحبة وتعاون من أجل خدمة تاريخ أوطاننا لما فيه الخير والعطاء، وأن يكون لقاءكم في مركز عيسى الثقافي لقاءاً يخلّد للمغفور له بإذن الله تعالى صاحب العظمة حاكم البحرين الكبير الشيخ عيسى بن علي آل خليفة طيب الله ثراه مؤسس دولة البحرين الحديثة

والذي كان معروفاً بالجود والكرم والشهامة، كما وكان بمنزلة الشيخ الحكيم الذي أثنى جميع حكام المنطقة آنذاك على حنكته وحكمته التي استطاعت أن تقود البحرين إلى بر الأمان والاستقرار العام...

وإلى جانب ذلك فقد كان سموه رحمه الله يرتبط مع المغفور له بإذن الله تعالى الملك عبد العزيز بن سعود بصلات وعلاقات مبنية على الود والاحترام تجلت واضحةً في المراسلات والوثائق التي ستشاهدونها إن شاء الله في المعرض المقام على هامش هذه الندوة المباركة...

وختاماً ،،،

مرة أخرى أرحب بكم في بلدكم مملكة البحرين ، متمنياً لكم طيب الإقامة ولندوتكم كل النجاح والتوفيق وفقكم الله وسدد على طريق الخير خطاكم ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"،،،

كلمة معالي الدكتور فهد بن عبدالله السماري الأمين العام للأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية...

بعد ذلك ألقى الدكتور فهد بن عبدالله السماري الأمين العام للأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، كلمةً بهذه المناسبة، جاء في نصها:



"الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:
أيها الحفل الكريم،،،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

يسعدني ويشرفني أن أقف متحدثاً في افتتاح الندوة العلمية التي تتناول عَلَماً من أعلام مملكة البحرين الحبيبة، ورمزاً من رموز العطاء والبناء، وهو العَلَم البارز الشيخ عيسى بن علي آل خليفة رحمه الله، والذي كانت له إسهامات مهمة ومميزة في التاريخ العريق لمملكة البحرين، وكانت له مكانة عظيمة في قلوب شعب البحرين الذين أجمعوا على محبته، وبنى لبلاده أسساً مهمة مهدت

لها الدخول إلى العصر الحديث بكل قوة واقتدار... إن استحضار سيرة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة رحمه الله في يومنا هذا يذكرنا برؤيته الثاقبة التي تجلت في العديد من السياسات والرؤى، كما يذكرنا بكلماته التاريخية التي أطلقها عندما قابل الملك الشاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود وقال: "لعبدالعزيز شأن عظيم"... نعم هذا الشأن إنعكس في مسيرة الملك عبدالعزيز وفي مسيرة أبنائه من بعده الملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد، والملك فهد، رحمهم الله، وخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، وسمو ولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز حفظهما الله، الذين رعوا واهتموا بهذه العلاقة التاريخية بين المملكة العربية السعودية ومملكة البحرين...

فالعلاقة المميزة بين خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود وجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة تعكس لنا تلك العلاقة التاريخية التي كانت تربط بين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة والملك عبدالعزيز آل سعود رحمهما الله... وما هذه الندوة العلمية التي يقيمها مركز عيسى الثقافي، إلا وقفة وفاء علمية صادقة لتوثيق إنجازات ومواقف الشيخ عيسى بن علي آل خليفة رحمه الله، وتعريف الأجيال الناشئة في البحرين بتاريخه وعطاءاته...

أيها الإخوة؛ أيتها الأخوات:

إن وحدة الرسالة التي تحملها مراكز الوثائق والأرشيفات والدراسات بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، قد انعكست إيجاباً على خدمة تاريخنا الوطني، وما يضمه من وثائق غنية وسجلات ثرية، محققةً الخيار الإستراتيجي والمطلب الأكيد النابع من مسؤوليتنا العميقة نحو تلك الوثائق التاريخية والسجلات الوطنية، وما يخدمها من دراسات أصيلة، وبحوث معمّقة، حيث كنّا على يقين تام بأن غياب التنسيق بين هذه المراكز، يهدر الطاقات الحيوية، ويفوت الفرص المتاحة في الاستفادة من تراكم الخبرات وتعدد التجارب بين هذه المراكز المهمة، مثمنين الدعم السخي وغير المحدود الذي تلقاه هذه المراكز من قياداتنا الرشيدة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الذين تمخضت رؤاهم المستقبلية عن بناء وحدة خليجية طموحة أصبحت بحمد الله وتوفيقه عماداً للتعاون والتكامل على مختلف الأصعدة...

أيها الحفل الكريم:

إن الأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وهي تسعى نحو تحقيق أهدافها في تعميق التعاون والتنسيق فيما بين مراكزها، لتتطلع إلى مزيد من العطاء المبني على خططها المستقبلية، وذلك من خلال تسخير جميع المعطيات التقنية الحديثة لخدمة أهداف هذه المراكز وإستثمار وسائلها الحديثة في تمتين التواصل بينها، وذلك في سبيل خدمة الوثائق وإتاحتها للباحثين والدارسين والمهتمين في مختلف بقاع العالم، وتطوير مشروعاتها العلمية، والانفتاح على المراكز المناظرة إقليمياً وعالمياً، ومد جسور التعاون معها، والاستفادة من خبراتها، واختزال تجاربها لكل ما يخدم مصلحة تاريخنا الخليجي العريق...

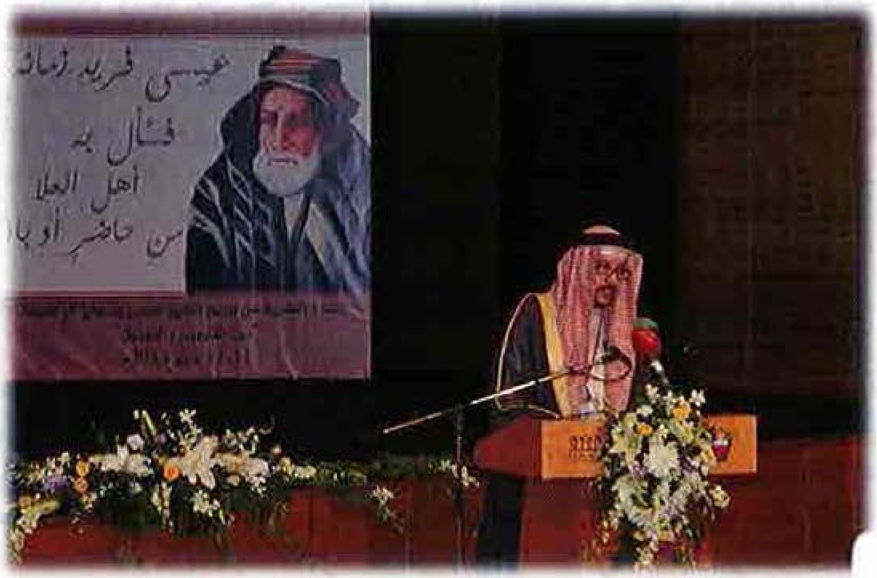
أيها الحضور الكرام:

وختاما، أتقدم بالأصالة عن نفسي ونيابة عن المراكز الأعضاء بالأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، بالشكر والتقدير والامتنان لمقام صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين أدام الله عزه ووفقه على دعمه واهتمامه بالتاريخ وأهله ومؤسساته وتوجيهاته المستمرة لمركز عيسى الثقافي للتفاعل والتكامل مع المنظومة العلمية الخليجية، كما أتقدم بالشكر والتقدير لصاحب السمو الوالد الشي عبدالله بن خالد آل خليفة رئيس مجلس أمناء مركز عيسى الثقافي ورائد العمل المشترك في الأمانة العامة للمراكز، وجهوده المتواصلة التي امتدت على مدى عدة عقود من العطاء والتوجيه متّعه الله بالصحة والعافية، والشكر موصول لزميلي الأخ الدكتور خلدون أباحسين المدير التنفيذي لمركز عيسى الثقافي على حسن التنظيم والتخطيط والمتابعة وكرم الضيافة...
متمنياً التوفيق لجميع الإخوة القائمين على هذه الندوة لتحقيق الأهداف المرجوة، داعياً المولى القدير أن يديم على خليجنا الغالي وحدته الأخوية البناءة، وعلى شعوبنا الخليجية والعربية نعمة الأمن والاستقرار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

كلمة سعادة الدكتور خلدون أباحسين المدير التنفيذي لمركز عيسى الثقافي، رئيس اللجنة التنظيمية للندوة العلمية ...

بعد ذلك ألقى الدكتور خلدون أباحسين المدير التنفيذي لمركز عيسى الثقافي، رئيس اللجنة التنظيمية للندوة كلمة جاء فيها:



بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه أجمعين...

أيها الحفل الكريم،،،
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،،،

سمو الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة رئيس مجلس أمناء مركز عيسى الثقافي...
أصحاب السمو والمعالي والسعادة ضيوفنا الكرام...
معالي الأمين العام للأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية...

من أرض الخلود، وجنة دلمون، ومهبط الحضارة، وبالأصالة عن نفسي ونيابةً عن سمو الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة رئيس مجلس أمناء مركز عيسى الثقافي راعي حفلنا المبارك، يسعدني أن أرحب بكم أكرم ترحيب، سائلاً المولى عز وجل أن يمدنا بعزم لا يلين، وقوة لا وهن معها، وأن يسدد خطانا لتحقيق أهدافنا في خدمة التاريخ وتوثيقه...

حضورنا الكرام...

إن لقاءنا اليوم، بحضور هذه النخبة المتميزة من علماء التاريخ ومفكريه، إنما يدلل على أهمية عملية إستقراء التاريخ وتأثيرها في المجتمع الإنساني، كما ويعزز استمرارية سير عجلة الحياة، مؤكداً في الوقت عينه على إمكانية تعاون الدول ومنظماتها على بناءٍ يخدم الإنسان أينما كان، وليبقى التاريخ فخراً للأجيال على مر العصور، وبما يكفل لهم حياةً أكثرُ علماً وأعمقُ خبرةً وأوسعُ معرفةً، وذلك من خلال استحضار الدروس والعبر التي تمخضت عنها تجارب الأولين وممارساتهم...

هذا وتفخر الحضارة العربية البحرينية بما تمتلكه من كنوز المعرفة ومفاتيح العلوم، وتعد الوثائق والمخطوطات من ذخائر هذه الكنوز، وعليه فقد وضعت مملكة البحرين الاهتمام بالتاريخ واستقرائه في مقدمة اهتماماتها، وبفضل حكمة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى حفظه الله ورعاه، سار الاهتمام بالتاريخ جنباً إلى جنب مع مسيرة التنمية والإصلاح، حيث أهتم جلالته في وقت مبكر، ومنذ أن كان جلالته ولياً للعهد بالبحث العلمي وبالتدوين والتوثيق، وعليه فقد تم إنشاء مركز الوثائق التاريخية في ديوان جلالته العامر (الزاهر) حينئذ وذلك في العام 1978م، وفي عام 1982م توج مركز الوثائق التاريخية أعماله بإصدار العدد الأول من مجلة الوثيقة / الدورية نصف السنوية، والتي تشرفت بقيام حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد آنذاك بكتابة أول كلمة فى المجلة، جاء فيها: "إن أجيال من أبناء شعبنا العريق تصنع الآن معالم حضارة جديدة وراسخة على أرضنا الطيبة في كل المجالات، فأن أجيالاً أخرى ولاشك من الباحثين ستقوم بدورها الكامل في بحث معالم الحضارات السابقة التي شهدتها أرضنا وتأصيلها لتكون مشعلاً يضئ لنا الطريق ودليلاً يحدو خطواتنا على درب التقدم والرخاء، من أجل ذلك تأتي هذه المجلة التى يسعدني تقديمها لما للعلم من مكان كبير فى نفسي شخصياً وفى نفوس القائمين على أمر هذه الدولة لتكون نافذة نرجو أن يطل منها

المركز على القراء بصفة عامة وعلى الباحثين والدارسين بصفة خاصة ثم بعد ذلك على المهتمين بتاريخ المنطقة في الجامعات والمعاهد والمدارس على امتداد العالم"...هذا إلى جانب حرص جلالته على وضع أسس علمية ثابتة لدراسة الوثائق والمخطوطات التاريخية كونها عملية تواصل بين السابقين واللاحقين، وعاملاً فعالاً في خدمة الحضارة الإنسانية، تعكس ضمير الأمة وذاكرتها الواعية وموروثها التراثي والعربي والإسلامي، ورسالتها للأجيال والحضارات الأخرى...

ضيوفنا الأفاضل...

أشعر بسعادة غامرة، وأنا ألتقي بكم في افتتاح أعمال الندوة العلمية عن "تاريخ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين والتوثيق"، لنستعرض لكم ثمار العمل الدؤوب الذي يضطلع به مركز عيسى الثقافي في إطار اهتمامه بدور الشخصيات الرصينة المؤثرة والفاعلة في تاريخ البحرين وإنجازاتها الحضارية، والتي تتناول توثيق حقبة زمنية مهمة ليس على المستوى المحلي فحسب، بل على المستوى الإقليمي لمنطقة الخليج العربي، وهي فترة حكم صاحب العظمة المغفور له بإذن الله الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (طيب الله ثراه) مؤسس دولة البحرين الحديثة ، والذي كان بمنزلة الشيخ الحكيم الذي يجتمع إليه رؤساء دول المنطقة، والذي أستطاع بحنكته أن يقود البحرين إلى بر الأمان والاستقرار رغم التحولات الإقليمية والدولية، والتحديات السياسية التي حصلت في العالم إبان فترة حكمه...

وقد جاءت فكرة إقامة هذه الندوة العلمية بمباركة من سمو الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة رئيس مجلس أمناء مركز عيسى الثقافي الرئيس الفخري للأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات لدول الخليج العربية، وبالتزامن مع الاجتماع الدوري الثامن والعشرين للأمانة العامة، حيث ستؤرخ هذه الندوة للبحرين من خلال هذه الشخصية التاريخية الفذة بحنكتها الدبلوماسية، والمتميزة برؤيتها الحضارية، والرائدة في خططها الإدارية والتنظيمية والتنموية، علاوة على أنها ستوثق للعلاقات التاريخية ما بين البحرين وباقي دول منطقة الخليج العربي بصفة خاصة وتاريخ المنطقة بصفة عامّة، ما يجعل من نتاجاتها محفزاً لأبحاث مستقبلية تالية، ورؤى جديدة تعكس تاريخ البحرين العريق والضارب في القدم...

وختاماً فإننا في مركز عيسى الثقافي لدينا يقيناً ثابتاً بأنه في السباق نحو التميز لا يوجد خط نهاية، نحن مصممون على مواصلة العمل الحثيث من أجل الحفاظ على التاريخ الذي يشكل ذاكرة الأمة وهويتها، إلى جانب العناية بالموروث الحضاري والإنساني العربي والإسلامي والتعريف بثقافة مملكة البحرين وتاريخها العريق...

فشكراً للأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات وأعضاءها على مشاركتهم في دعم أعمال الندوة تحقيقاً للأهداف المشتركة في خدمة تاريخ المنطقة...
شكراً لأعضاء اللجنة العلمية على مساهماتهم القيمة في الارتقاء بمستوى البحوث المقدمة...
شكراً لأعضاء اللجنة التنظيمية على جهودهم الفاعلة والمثمرة من أجل إنجاح هذه الندوة...
شكراً للمشاركين في الندوة ولكل من ساهم في إثراءها، وأتمنى لجهودهم التوفيق، وأن تكون مشاركتهم رسالة تحفيز لكل العاملين في مجال خدمة التاريخ والحضارة الإنسانية...
مرة أخرى، أرحب بكم، مع تمنياتي للجميع بالتقدم والنجاح...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

عرض الفيلم الوثائقي عَنْ تاريخ حاكم البحرين صاحب العظمة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة طيب الله ثراه...



وفي ختام الكلمة، تم عرض فيلم وثائقي عَنْ تاريخ حاكم البحرين صاحب العظمة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة طيب الله ثراه، وهو تاريخ حافل وغني بالأحداث والمنجزات الإنسانية والحضارية؛ فهو حاكم البحرين في الفترة الممتدة ما بين عام 1869م وحتى عام 1932م، وقد إستمر حكمه رحمه الله لمدة 65 عاماً، وعليه فهو يُعد صاحب أطول مدة حكم في تاريخ العائلة الحاكمة الكريمة آل خليفة، وفي المنطقة العربية كذلك... وقد تناول الفلم الذي أنتجه مركز عيسى الثقافي وبالتعاون مع هيئة شؤون الإعلام، توثيق حياة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، فضلاً عن سيرته وإنجازاته التي ساهمت في بناء دولة البحرين الحديثة...

إفتتاح معرض الوثائق والصور الفوتوغرافية التاريخية، ومعرض الكتب التاريخية التي تصدرها المراكز الأعضاء في الأمانة العامة



بعدها تفضل سمو الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة بافتتاح معرض الوثائق والصور الفوتوغرافية التاريخية المقام على هامش الندوة العلمية عن "تاريخ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين والتوثيق"، حيث اشتمل المعرض على عدد كبير من الوثائق والصور القيمة والتي تُعرض لأول مرة، وذلك إلى جانب معرض الكتب التاريخية التي تصدرها المراكز الأعضاء للأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربيّة...

برنامج الندوة العلمية عن "تاريخ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين والتوثيق ..."

هذا وقد إمتد برنامج الندوة العلمية عن "تاريخ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين والتوثيق"، على مدى يومين، هما الأحد والإثنين 11-12 مايو 2014م، حيث ضمّ المشاركين في الندوة العلمية نخبةً من الشخصيات والمهتمين والأساتذة فضلاً عن لفيف من المفكرين والباحثين والمختصين في شؤون التاريخ والتوثيق من داخل البحرين وخارجها، وذلك إنطلاقاً من أن

كتابة التاريخ أو توثيقه لا تقتصر على شخص معين أو جنسية محددة، أو هوية بعينها، بل إنها من حق كل مؤرخ وباحث ومتخصص عاصر أو شاهد أو سمع الحدث ونقله بأصالةٍ ومصداقية، حيث إرتأت اللجنة العلمية للندوة أن تكون الدعوة عامة لكل باحث بحريني، خليجي، عربي أو أجنبي، وعليه فقد فُتحت أبواب المشاركة لكل البحوث المهتمة بتاريخ "الشيخ عيسى بن علي آل خليفة"، طالما تم إلتزامها بالشروط والأحكام التي وضعتها اللجنة العلمية للندوة، والتي تمثلت في الأصالة والمنهجية العلمية والجدية في الموضوع والعرض، فضلاً عن تحري الدقة في المادة التاريخية، والمضمون المتجدد...
علماً بأن الأبحاث التي قُبلت للمشاركة في الندوة العلمية، تمت مناقشتها في جلسات مفتوحة من قبل الباحثين والمشاركين، وذلك إلى جانب الأبحاث التي قُبلت للنشر فقط،،، حيث سيقوم مركز عيسى الثقافي لاحقاً بإصدار كتاب عن الندوة يضم كافة البحوث المشاركة فيها...

هذا وتقع الندوة العلمية عن تاريخ "الشيخ عيسى بن علي آل خليفة" على عدة محاور رئيسية، موزعة على برنامج الندوة المكون من أربعة جلسات مفتوحة، تم فيها عرض ومناقشة البحوث العلمية المقدمة والتي تعتمد عناوينها على المحاور المطروحة في المجالات المختلفة، وذلك من قبل الباحثين والأساتذة وأصحاب الأختصاص وبحضور عدد كبير من الدارسين والمهتمين بالشأن التاريخي...

وقد توزعت محاور الندوة على برنامجها المكون من أربع جلسات فضلاً عن الجلسة الختامية، وذلك كما يلي:

اليوم الأول الموافق الأحد 11 مايو 2014م...

الجلسة الأولى:
محورها: نشأة حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وسيرته ...

الجلسة الثانية:
محورها: التنظيم والتطوير الإداري في البحرين إبان حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة والواقع مابين عامي 1869م-1932م...

اليوم الثاني الموافق الإثنين 12 مايو 2014م...

الجلسة الثالثة:
محورها: ملامح من النهضة العلمية والثقافية في عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة...

الجلسة الرابعة:
محورها: العلاقات الخارجية للبحرين في ظل التحولات الإقليمية والدولية في الفترة الزمنية الممتدة مابين عامي 1869م-1932م...

الجلسةالختامية :
النتائج والتوصيات...

نتائج وتوصيات الندوة العلمية عن تاريخ :
"الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين التوثيق"
المنعقدة في مركز عيسى الثقافي بمملكة البحرين في الفترة 11و12 مايو 2014م...

وفي ختام الندوة العلمية، ألقى كلٌّ من سعادة الدكتور الشيخ خالد بن خليفة بن دعيج آل خليفة عضو مجلس الشورى مدير الجلسة الرابعة للندوة العلمية عن "تاريخ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين التوثيق"، وسعادة الدكتور خلدون أباحسين المدير التنفيذي لمركز عيسى الثقافي رئيس اللجنة التنظيمية للندوة العلمية البيان الختامي للجلسة الختامية، والذي جاء فيه...

البيان الختامي للندوة العلمية...

في ختام الندوة العلمية عن تاريخ: "الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين والتوثيق"، يتقدم المشاركون فيها بأسمى أيات الشكر والإمتنان إلى مقام صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين المفدى القائد الأعلى لقوة الدفاع، وإلى صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس مجلس الوزراء الموقر، وإلى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة ولي العهد نائب القائد الأعلى النائب الأول

لرئيس الوزراء، ولمملكة البحرين على استضافتها لفعاليات هذه الندوة العلمية التاريخية المهمة...

كما إنّ الشكر موصول إلى سمو الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، رئيس مجلس أمناء مركز عيسى الثقافي والرئيس الفخري للأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، حفظه الله على رعايته الكريمة لهذه الندوة المباركة، كما ويثمنون الجهود الكبيرة التي بذلها مركز عيسى الثقافي ممثلاً في المدير التنفيذي للمركز، رئيس اللجنة التنظيمية للندوة العلمية الدكتور خلدون أباحسين وكافة أعضاء اللجنة التنظيمية على إنجاح أعمال هذه الندوة، ويتقدمون بالتوصيات التالية:

أولاً:
مواصلة الاهتمام بتاريخ مملكة البحرين من خلال عقد المزيد من المؤتمرات والندوات العلمية التي ترفد تاريخ البحرين بالمزيد من الجهود العلمية الرصينة...

ثانياً:
تبني المشروعات العلمية والبحثية المشتركة، والتي تُعنى بنشر الوثائق والمخطوطات ذات الصلة، وذلك سعياً لإبراز الصورة الحضارية لمملكة البحرين ومحيطها الإقليمي...

ثالثاً:
العناية بنشر المزيد من الأبحاث والدراسات العلمية التي تتناول تاريخ العلاقات بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية من محاورها التاريخية والحضارية، وذلك من خلال التعاون مع الأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية...

رابعاً:
تعزيز المفاهيم الحضارية والإنتماء الوطني لأبناء دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وذلك من خلال تبني الأبحاث والدراسات التاريخية التي تخاطب سائر أفراد المجتمعات الخليجية وخاصة فيما يتعلق بصياغة المناهج التعليمية والمقررات الدراسية...

خامساً:

نشر أعمال الندوة العلمية عن تاريخ: "الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بين التدوين والتوثيق" في مجلد علمي تاريخي محكّم يتضمن مداخلات المشاركين فيها، فضلاً عن الأبحاث العلمية للباحثين الذين لم يتسن لهم حضورها...

سادساً:

تسليط الضوء على القيادات التاريخية والشخصيات المؤثرة التي كان لها دور تاريخي في أحداث المنطقة والتعريف بها، وذلك من خلال تخصيص الفعاليات الجادة، وتصنيف الدراسات العلمية الموثقة التي تخلد ذكراهم بدءاً من صاحب العظمة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة طيب الله ثراه...

سابعاً:

التعاون مع جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في مجال اهتمامات الجمعية واختصاصاتها، إلى جانب إستضافة الباحثين من مختلف الدول العربية والأجنبية للمساهمة في إثراء البحوث والدراسات المتصلة بتاريخ المنطقة...

وإنطلاقاً من توصيات الجلسة الختامية للندوة العلمية، فإن مركز عيسى الثقافي إذ يثمن الجهود التي بذلتها الشخصيات الفاعلة والمختصون والمفكرون والباحثون والمشاركون في هذه الندوة، فإنه سيمضي قُدُماً من أجل أن تسليط الضوء على هذه الملتقيات العلمية التاريخية، مؤكداً على الإنتفاع بها والاستفادة من معطياتها، ومركزاً في عين الوقت على الأخذ بأرائها وتفعيل توصياتها، تحقيقاً للمنفعة العامة، وخدمةً للبحرين وتاريخها وحضارتها...

والله ولي التوفيق...

الإثنين 12 مايو 2014م...
الدكتور خلدون أباحسين
مدير التحرير...

العلاقات السياسية بين حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة والسلطة البريطانية



دراسة وثائقية- تأريخية- سياسية- قانونية

إعداد الباحث:
الدكتور عبدالرحمن عبدالله الحميدان النجدي،،،

تمهيد:

بعد تأسيس دولة آل خليفة في الزبارة وفتحهم البحرين، كان آل خليفة يمارسون شؤون الحكم والسلطة بحرية واستقلاليّة كاملة، (اللهم فيما عدا بعض الأحوال الطارئة)، حيث كانوا آنذاك يباشرون تسيير شؤونهم الدّاخليّة والخارجيّة بأنفسهم، وذلك رغم الوجود البريطاني في المنطقة، ولكنّ هذا الوضع لم يدم طويلاً، حيث أنه وبعد مرور فترة على قيام الإتفاقيات والمعاهدات مع بريطانيا،استطاعت بريطانيا بسياستها الماكرة مرّة، وبقوتها العسكرية مرّة أخرى، من أن تقوض سلطة حكام آل خليفة، وذلك عبر التدخل في شؤونهم الداخلية والخارجية، تحقيقاً لأهدافها ومصالحها في الدولة خاصة والمنطقة عامةً...

وعلى الرغم من أنّ السلطة البريطانية نجحت في تحقيق أهدافها في نهاية المطاف، إلاّ أنّها واجهت خلال ذلك أندادًا من حُكام آل خليفة، تميّزوا بالحكمة والشدّة والحزم في التعامل مع السلطة البريطانية المُستعمِرة، فلم يكن من السهل التغلب عليهم على الرغم من بعض الخطوب التي ألمت بهم، فقد كان الشيخ "عبد الله بن أحمد آل خليفة" حاكمًا سياسيًا حازماً في وجه السلطة البريطانية، حيث أظهر الشدّة والقوّة في مواقف عديدة معها، وهو أوّل من تصدّى لسياستها الإستعمارية في بلاده، وقد واجهت بريطانيا من بعده الشيخ "محمد بن خليفة آل خليفة"، والذي لم يكن أقل قوةً وحزماً من سابقه، إلاّ أنّ السلطة البريطانية إستطاعت في النهاية وبإستخدام قوّتها العسكريّة التخلص منه ونفيه خارج البلاد...

وهنا يأتي دور حاكم آخر من حُكّام آل خليفة البارزين، الا وهو صاحب العظمة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة طيب الله ثراه، والذي عُرف بكونه الشيخ المتدين، الوطني الحكيم، العادل الكريم، والذي إستطاع فعلاً أن يحتل مكانًا مرموقًا، وأن يسجل درجةً عالية في سجل الحُكام الوطنيين المتصدين للسّياسات الاستعماريةِ والمواجهين لها، ليُنقش إسمه في صدارة لائحة الحكام الوطنيين البارزين في الخليج العربي، والذين واجهوا المُستعمر البريطاني وتصدوا له...

ولعل تقصير الباحثين والمختصين في تحليل الجانب السّياسي من علاقة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بالسّلطة البريطانية على مدى الفترة التي حَكَم فيها البحرين، كان السبب الرئيس إن لم يكن الوحيد لعدم المعرفة التّامة بوطنية هذا الحاكم الجليل، والإدراك الكامل لما فعله من أجل مشاركة النخب

الوطنية الفاعلة في القرار السياسي والإداري في البحرين، في الوقت الذي كانت فيه أغلب دول وشعوب المنطقة تعيش في سبات القدم السياسي، والتأخر الإجتماعي...

هذا وقد إستمر حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة للبحرين طيلة خمسة وستون عامًا، قضاها وهو يتعامل مع السّياسيين والعسكريين المستعمرين ممن غلبت عليهم صفات المكر والدهاء والاستغلال تحقيقاً لمصالح إمبراطوريتهم، دون الاعتبار لأدنى مبدأ من مبادئ الأخلاق والتعامل الإنساني والحضاري أو حتى الإلتفات ولو لجزء بسيط لبعض حقوق الشعوب المُستَعمرة... وبالرغم من ذلك فقد استطاع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة المحافظة على نظام الحكم، واستمرارية المُلك الخليفي في البحرين، وبمواجهة أعتى دول العالم سلطةً وقوّة...

حيث تمكن الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من التصدي للسّلطة البريطانية، بمواقفه وحزمه وامتناعه عن تنفيذ أوامر السلطة البريطانية ورغباتها، وذلك رغم تصديها لمواقف الشيخ الحاكم في الأحداث الاجتماعية والسّياسية، وإعتراضها على آراءه وأفكاره في نهجها السّياسي وهي تتدخل في الشأن البحريني، ما جعلها تسعى للتخلص من تصديه لها في أغلب فترات حكمه، وتقليص ما تبقى لديه من سلطة، مستغلةً المسائل التي تتعلق بالمشروعية السّياسية والقانونية تحقيقاً للوضع الجديد...

المواقف الأولى لحاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة مع السلطة البريطانية:

من المعلوم أنّ مصالح بريطانيا في الخليج العربي، بدأت عام 1616م، وأنّها اقتصرت في بداياتها على الأنشطة التجاريّة الصّرفة، حيث كانت تبحث عن أسواق ومواقع تزيد من قدراتها الاقتصاديّة والماليّة(1)، وقد كان ذلك قبل أن تضيف إليها الأنشطة السّياسيّة والعسكريّة التي تحوّلت مع مرور الزّمن إلى مرتكزات أساسيّة، في علاقاتها مع الدّول والكيانات السّياسيّة المتواجدة في المنطقة، وحيث أنّ البحرين تتميّز بموقع استراتيجي هام بالنسبة للتجارة والمواصلات في المنطقة، فضلاً عن الجوانب الأمنية فيها، فقد أصبحت محط اهتمامات لقوى ودول عربية وأجنبية، وهدفًا مستمرًا للأطماع الاستعمارية، وقد كانت بريطانيا العظمى على رأس تلك الدّول، فقد أولت بريطانيا هذه

الجزر اهتماماً متزايداً مع مرور الوقت، واستطاعت ربطها بسلاسل من المعاهدات والاتفاقيات فيما يتعلق بشؤونها الخارجية، ثم بالرغبات والطلبات والأوامر في شؤونها الداخلية، ولعل عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة رحمه الله (1869م-1932م) هو خير شاهد على الوجه القبيح لسياسة بريطانيا في البحرين والمنطقة، وذلك بعد أن بدأت بريطانيا ثم زادت وأكثرت وتمادت في تدخلاتها في شؤون بحرينية خالصة، ما يؤكد على ضرورة تسليط الضوء على اهتمامات بريطانيا بالبحرين، وبداية علاقات الطرفين ببعض، إلى جانب التعرض لعلاقة السلطة البريطانية بالشيخ عيسى بن علي آل خليفة في المراحل الأولى من حكمه، مع توضيحٍ لمحاولاتها للتدخل في الشؤون الداخلية للبحرين...

<u>بداية الاهتمامات البريطانيّة بجزر البحرين:</u>

حبّذت بريطانيا أن تجعل من البحرين موقعًا تضمن به تجارتها، وتتمكّن من خلاله الطوّافات التجارية البريطانية المسلحة من مراقبة تجارة الشركات في منطقة الخليج العربي كله، إذ إن بريطانيا وبحسب تصريحات ساستها "كانت حريصة على أن يكون هناك تعاون بين الدّولتين، من أجل الحفاظ على الأمن وإنسياب الحركة التجاريّة في الخليج العربي"...

وانطلاقًا من هذه السّياسة، قامت السّلطة البريطانية بتطبيقها على أرض الواقع، لتؤسس علاقة مباشرة مع الدّولة الجديدة، ومن هنا بدأت العلاقات السّياسية البحرينية – البريطانيّة، كما بدأت معها التدخلات في شؤون البحرين الخارجية، ولم تكتف بريطانيا بهذا النوع من التدخلات، بل وجدتْ أنّ مصالحها تكمن أيضاً في تدخلاتها في شؤون البحرين الدّاخلية...

ففي عام 1869م حضر الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إلى البحرين ليتولى الحكم، وقد صاحب ذلكَ تعبير وطني صريح ومباشر عمّ أرجاء البلاد وبشكل لم يظهر فيه أي اعتراض لا من قريب ولا من بعيد، سواء من داخل البلاد أو حتى خارجها، فما حصل كان في الواقع استفتاء، اختار فيه المواطنون وضعًا جديدًا يأملون فيه كل الخير وكل السلام...

ولقد أظهر الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إحتراماً للاتفاقيات والمعاهدات، ومنذ اليوم الأول لتوليه الحكم في البحرين وحتى نهاية سلطته، كما وإنتهج حكماً عادلاً حكيماً، إلى جانب تأكيده على ولاية العهد في الأبناء داخل نظام الحكم الخليفي، فقد كان هذا الموضوع يُمثّل مساحة كبيرة في فكر الشيخ

عيسى بن علي آل خليفة، حيث أعاد هذا الشيخ بحنكته مبدأ ولاية العهد في النظام السّياسي البحريني، وجعل الحكم وراثيًا ينتقل عبر الأب الحاكم إلى إبنه الأكبر، الأمر الذي يُعتبر مكسبًا عاما بالنسبة للنظام القانوني للحكم في البحرين واستقراره، وهو ما يتوافق مع أعراف حكم "آل خليفة" الذي بدأ مع تنظيم كيانهم الاجتماعي والسّياسي الخاص في دولتهم الزّبارة...

العلاقات السياسية بين البحرين وبريطانيا:

1- إقليم البحرين موقع مقترح لتجارة بريطانيا:

بعد أن فقدت بريطانيا نفوذها في (أمريكا الشمالية) أصبحت (الهند) أهم مستعمرة لديها، وقد كانت تصل إليها عبر طريقين مائيين وحيدين يؤديان إليها، هما البحر الأحمر والخليج العربي، فحاولت جاهدة أن يكونا في مأمن من أي اضطراب أو مشاكل تحد من تواصلها مع هذه المستعمرة، فبدأت اهتماماتها تتركز أكثر بالخليج العربي حتى لا يسقط في يدّ الغير، وخاصةً فرنسا التي باتت تتطلع أكثر إلى الشرق ومنافسة بريطانيا فيه...

وقبل أن يتم فتح البحرين وضمها إلى دولة آل خليفة في الزّبارة، وقعت أحداثا أثارت انتباه بريطانيا في هذا الإقليم كموقع استراتيجي في المنطقة...

فقد تمّ تعيين "توماس أدوورث" رئيسًا للوكالة التجاريّة في (سورات) بـ(الهند) وانهمك هذا الأخير مباشرةً بعد تعيينه، في البحث عن أسواق جديدة خارجها، وقد كتب في عام 1613م عن إقليم البحرين ما يلي :

"اقترح أن يأتي إلى البحرين، سفينة تتراوح حمولتها بين 200 و300 طن، وأعتقد أنّ هذه المنطقة ستستهلك الحمولة كلها"... [1]

ويعتبر اقتراح رئيس الوكالة التجاريّة البريطانيّة هذا هو أوّل بادرة اهتمام بريطاني بإقليم البحرين، وحينما ساءت علاقة بريطانيا بـ (إيران) عام 1700م، وسارت نحو طريق مسدود، تقدّم وكيل شركة (الهند الشرقية) في (إيران) السّيد "أوين" بمقترح آخر، رأى فيه:

"ضرورة احتلال إقليم البحرين الذي كان تابعا إسميا لـ (إيران)، لأنّه لن يكون مجرد موقع تضمن به الشركة نصيبها من منتجات (إيران) فقط، بل ستتمكّن من خلاله طوّافات الشركة المسلحة من مراقبة تجارة الشركة في منطقة الخليج العربي كلّها"... [2]

ونتيجةً للاضطرابات الأمنيّة بين حكومة (إيران) والولايات والموانئ التابعة لها، الواقعة على ساحل الخليج العربي عام 1750م [3]، شعرت بريطانيا بأنّ مصالحها تقتضي نقل مركزها السّياسي من (بوشهر) إلى إقليم البحرين، وازداد الاهتمام به أكثر عندما تحتم عليها التجاوب مع المطلب المقدّم من ممثلي شركتها للانتقال إلى إقليم البحرين للقضاء على الأسطول الإيراني هناك...

ويبدو أنّ فتح إقليم البحرين، وضمه إلى دولة آل خليفة في الزّبارة الناشئة عام 1783م، لم يعن لبريطانيا شيء، ولم تلتفت إلى ما كان يجري من تحولات سياسيّة جذريّة فيه، ذلك أنّ السّياسة البريطانيّة حينذاك، كانت شديدة الحرص على عدم الدّخول في الصّراعات التي تقع بين الدّول والقوى المحليّة، ما لم تؤثر بالطّبع على مصالحها التجاريّة [4]، إلاّ أنّ مصالحها بمرور الوقت، دفعتها إلى أن تؤسس علاقة مباشرة مع الدّولة الجديدة بقيادة حكامها آل خليفة...

2- بداية العلاقات التجاريّة والسّياسيّة بين البحرين وبين بريطانيا:

يرى بعض الباحثين والمؤرخين أنّ أوّل اتصال بين البحرين، وبين بريطانيا تمّ في عام 1799م، وليس بعده(2) ففي هذا العام، أرسل قادة الزّبارة والبحرين، وكيلاً عنهم إلى (بومبي) في (الهند) لشراء بعض السّفن من هناك، إلاّ أنّ حكومة (بومبي البريطانيّة)، رفضت مشروع الصّفقة التجاريّة، كما رفضت تقديم أية مساعدة أخرى، وذلك تحقيقا لرغبة إمام (مسقط) الذي كان ينوي غزوها، وقد تمنّت بريطانيا لهذا الإمام الانتصار على "عتوب" الزّبارة والبحرين... [5]

أما عن أوّل اتصال مباشر في شأن سياسي صرف، تمّ بين الدّولتين، فكان عبر مكاتبة، أجرتها السّلطات البريطانيّة من (بومبي) وفيها تبلغ بريطانيا شيخ البحرين، بأنّه سيلقى كل عون وتشجيع من الحكومة البريطانيّة، طالما أنّ شعبه لا يشتغل بالقرصنة، وحذرته في نفس الوقت، بأنّ انخراطه في هذا النشاط، يُوجب تطبيق إجراءات عليه، كالتي اتخذت في حقّ "القواسم"...[6]

وبعد ذلك أخذت الاتصالات تتطور باستمرار، خاصةً حينما قام ممثل شركة الهند الشرقية، برفقة المقيم السّياسي في (بوشهر) بزيارة البحرين، وقد عبّر خلال الزّيارة لقادتها بما يلي:

"أنّ بريطانيا حريصة على أن يكون هناك تعاون بين الدّولتين، من أجل حفظ الأمن ولانسياب الحركة التجاريّة في الخليج العربي"...[7]

وتعتبر زيارة النقيب "وليم بروس" المقيم البريطاني في الخليج العربي، إلى البحرين من أهم الاتصالات المباشرة التي أجراها الطّرفان رسميًا، فقد برهن "بروس" على صداقة بلاده، بعقده اتفاقيّة صداقة مع الشيخ "عبدالله"، وذلك بعد سؤالٍ وُجّه إليه، عمّا إذا كان البريطانيون أصدقاء أم أعداء؟ ولأنّ هذه الاتفاقيّة قد عقدها"بروس" دون الرّجوع إلى حكومته، فلم تعتبر اتفاقيّة رسمية...[8]

منظور حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة للصداقة البريطانية بعد توليه الحكم:

1- الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكمًا للبحرين:

في عام 1868م تولّى الشيخ علي بن خليفة آل خليفة حكم البحرين، وبعد مضي فترة قصيرة جدًا على توليه الحكم، وقعت معركة "الضلع" وفيها قتل الحاكم، وعاد الاضطراب مرّة أخرى، ولكنه لم يستمر، فكانت بداية نهايته، حيث اجتمع أعيان البلاد ورؤساء القبائل بالقائد العسكري للقوة البريطانية الذي طلب منهم اختيار حاكمًا عليهم، فأجمع الكل على أنّ إبنه الشيخ عيسى هو الشخص المرغوب والمناسب، فتم استدعاءه من قطر مكان تواجده[9]، بعد أن صرّحت القوى الوطنيّة الفاعلة والبيت الخليفي بضرورة إحضار القائد الجديد، حيث أن ما جرى لدى وصول الحاكم الجديد، عام 1869م وما صاحبها من تعبير وطني صريح ومباشر عمّ أرجاء البلاد وبشكل لم يظهر فيه أي اعتراض لا من قريب ولا من بعيد، سواء داخل البلاد أو حتى خارجها كان في الواقع استفتاء، اختار فيه المواطنون وضعًا جديدًا...

وحسب "فائق طهبوب" المتخصص في تاريخ البحرين السّياسي:

"فإنّ عمليّة الاستفتاء كانت ضروريّة، لأنّ بريطانيا كانت تريد التخلص من الشيوخ أسباب الخلاف، فوجدت في إحضار الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وتعيينه حاكمًا، يضمن بصورة أكيدة تعاونه معها، خاصةً وأنّ القوّة البريطانيّة المتمثلة في الأسطول البريطاني تقف بالقرب من إقليم البحرين"...[10]

بينما ذكر "لوريمر" :

"أنّ الشيخ "عيسى" نصّب حاكمًا على البحرين دون أي تدخل من السّلطات البريطانيّة"...[11]

وانطلاقًا من كل ذلك، حصل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة على بيعة شملت كل محيط حكمه، وقبل به الجميع، يحدوهم الأمل أن يتحقق الأمن والاستقرار، وتتحسن سبل معيشتهم في بلادهم...

ولم تمض إلاّ فترة وجيزة على حكمه، حتى تكشفت مزايا هذا الحاكم الفذّ، واتضحت مناهجه في الحكم، فقد استفاد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من دروس وعبر الأحداث والوقائع التي عاصرها أسلافه الحكّام، فأدرك القضايا التي يجب عليه تجنبها، والقضايا التي ارتأى التفاعل معها بطريقة إيجابيّة، وهو من جانب آخر ابتدع نهجًا جديدًا اعتقد أنّه الأنسب لاستقرار حكمه وقبول شعبه به...

وعلى ما يبدو فإنّ نجاح سياسة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة كانت حينذاك مرهونة، بركيزتين أساسيتين، أقام عليهما صرح ملكه، وبنى فوقهما نظامه السّياسي الجديد، فقد أولى في بداية حكمه، رعاية خاصةً لمسألة الاستقرار والأمن، والتي هي الرّكيزة الأولى في سياسته الدّاخليّة، فبات يسعى جاهدًا ليعيد الاستقرار والأمن لبلاده، وأبدى في ذات الوقت اهتماما بالغا بالوضع الاقتصادي وتحسينه، وهي الرّكيزة الثانية التي قامت عليها سياسته الدّاخليّة، فتحسين الأوضاع المعيشية لأفراد شعبه، سيضفي بالتأكيد على نظامه السّياسي الجديد حالةً من الاستقرار والأمن...

وقد كانت هاتان الركيزتان تشكلان آنذاك، المطلب الملح المتصدر لمطالب المواطنين بجميع أطيافهم، وعلى اختلاف أصولهم ومذاهبهم ومستوياتهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة، فترجم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة سياسته تلك، على أرض الواقع، فأقام العدل بين أفراد شعبه، وتدارك عواقب الخلافات والمشاكل بينهم، وبطبعه الحليم وسماحته وتريثه في إصدار أي حكم أو قرار، أصلح بين الأطراف المتخاصمة[12]، وتبيّن بأنّ تصرفاته وأسلوبه الهادئ في تعامله مع الآخرين، صفات خالف بها من حكم قبله ممن عُرف بالشدة...[13]

وبحسب ما ذكره الرّحالة الرّيحاني والباحث البحريني محمد علي التاجر:
"أنّ العدل كان معززًا في عهده، والحق يقال أنّه لم يظلِم إنسانًا عرضًا أو عمدًا في مدة حكم استمرت خمسة وستين عاماً، فكان دائمًا يتحرك نحو العدل والإنصاف"...

وبواصل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة دعم أمن بلاده واستقرارها، عن طريق تقريب القبائل والعربان إليه[14]، فضمن بذلك ولاءها وانتمائها لدولته، كما وتصدى للمجرمين واللصوص ومثيري القلاقل والشغب بشدة وحزم[15]، وذلك حين ظهروا إبان بداية حكمه...

ومن المبادئ التي جعلها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة منهجا ثابتًا وناجحًا لسياسته، والتي تتناسب مع الخصوصية الاجتماعيَة والاقتصاديّة لمواطنيه، هي تفعيل الأخلاق الإسلاميَة العربيَة الأصيلة واستخدامها في التعامل مع مواطنيه... فتعامله الحسن وما تحلى به من صفات العطاء والسّخاء والكرم الواسع، كل ذلك شكّل حلقة متينة ربطته بشعبه، فاتخذ منها سبيلاً لتوطيد حكمه وتعزيزه، لما فيها من قوّة البرهان والإقناع[16]، فعُرف بكرمه المنعوت بين حكّام العرب السّالفين، فأغدق على القبائل بالمال والسّلاح وأصايل الخيل(3)، وأكرم أبناء عمومته بالجواهر والبساتين، وقلّما استبقى من واردات بلاده شيئًا لنفسه، بل كان ينفقها كلها منذ أن كانت تعد بالألوف إلى أن أصبحت تعد بالملايين، وكان نصيب المحتاجين والضّعفاء والفقراء والمساكين من أهل البلاد ومن العربان الوافدين وفيرًا...[17]

وبفضل الهدوء النسبي الذي ساد المنطقة ورافق فترة حكمه بعد عام 1869م، شهدت تجارة الدّولة عودة الإنتعاش مرة أخرى، ويتأكد ذلك فيما ذكره المقيم البريطاني في (بوشهر) عام 1899م حينما أراد تعيين أحد الموظفين فيها فقال :

"إنّ التجارة البريطانيّة قد ازدهرت في البحرين في العقدين السّابقين ازدهارًا كبيرًا وأن تعيين موظف بريطاني في البحرين سيزيد في ازدهار هذه التجارة، حيث ستتجه الكثير من الشركات البريطانيّة إلى البحرين"...

وفعلاً، أصبحت البلاد في تلك الفترة، إحدى الرّكائز التي تبني عليها حكومة (الهند) إستراتيجيتها في منطقة الخليج العربي...[18]

2- احترام حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة للروابط القانونيّة والأخلاقية مع بريطانيا:

بعد انصرام فترة قصيرة على توليه السّلطة، وجد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، أنّه يمكن الاعتماد على بريطانيا، وجعلها عونًا يحمي دولته من الأخطار الموجهة إليه من الخارج، خاصة وأنّ البحرين في الفترة التي حكم فيها الشيخ عيسى مازالت محط أنظار الجيرة، وأطماع القوى العاملة والدول

القريبة منها، فقد أدرك من خلال التجربة التي مرّت عليه، أنّ المواقف البريطانية تجاه القضايا الحساسّة والمشاكل الخطيرة السياسية والعسكريّة، خاصة في بدايات حكمه، كانت تتوافق مع مصلحة مملكته، حتّى وإن كانت تلك المواقف البريطانية تستهدف في الأصل مصالحها وتُعزّز من مكانتها في المنطقة...

وفي حقيقة الأمر، فإنّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة لم يكن يملك خيارات أخرى، يحفظ بها أراضيه ويحمي وجود بلاده، ويديم نظامها السّياسي، فليس أمامه وقتذاك سوى الاعتماد على بريطانيا والقبول بما تفرضه من أوامر والتزامات تحد من استقلاله وتُقيد تعامله مع الآخرين...

إذ إن بريطانيا جَرّدت بلاده من وسائلها العسكريّة، ودَمّرت أسلحتها الحربيّة التي أثبتت التجربة بأنّها قادرة بواسطتها أن تحمي أراضيها وأملاكها التي كانت تسيطر عليها آنذاك، كما أنّ مواجهة السياسة البريطانيّة، وتحدي قراراتها من وجهة نظر الشيخ عيسى وهو في الحال الذي عليه، ستسفر في نهاية المطاف عن نتائج لن تكون في مصلحته، وهذا ما حصل لأسلافه السّابقين، ولن تكون أوضاعه في المستقبل أفضل من واقعه الآني...

ونعتقد أن الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أصبح يعتمد على بريطانيا في الدّفاع عن دولته واستقلالها، وهو مكرهًا ومجبرًا، فليس لديه حيلة سوى الارتباط بهذه الدّولة القوية، إضافةً إلى أنّه لم ينس الدّور الكبير الذي قامت به بريطانيا عندما هيأت المناخ السّياسي الدّاخلي المناسب لإجراء عملية ظهور أوّل بيعة شعبيّة شاملة، نصبته حاكمًا شرعيًا على دولته...

وانطلاقًا من كل ذلك، تجلّت حكمة سياسة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، فحرص بشدّة على كسب وُدّ بريطانيا ورضاها، وكشف احترامه للالتزامات والعهود التي قطعها (المعاهدات والاتفاقيات المبرمة معها)، كما لعبت الأخلاق دورًا مهما في احترامه للوعود التي قطعها، فأخلاقه العربيّة الأصيلة والإسلاميّة الحميدة، فرضت عليه الوفاء بوعده والصّدق في قوله...

وقد اتضح مدى علاقته القوّية مع بريطانيا من خلال ردود أفعاله في المستجدات السياسية، ومن ضمن هذه الرّدود، موقفه حينما كتب إليه "مدحت باشا" والي (بغداد)، يعرض عليه صداقة ومساعدة الدّولة (العثمانية) عن طريق تعاقد ودّي بينهما، فدفع الكتاب إلى أصدقاءه البريطانيين، وكتب إلى "مدحت باشا" يقول: "حسبي بريطانيا العظمى صديقة وحليفة"...

وعندما فاوضته الحكومة (الألمانية) عن طريق معتمدها التجاري المتواجد في البحرين، فكان جوابه لها: "لا أقدّم على بريطانيا العظمى أحدًا، ولا أعاون عليها عدوًا"...

وكثيرًا ما اعترض بعض رجاله على هذه الثقة، فكان يقول :
"إنّ بريطانيا العظمى أثبت الأمم الأوروبيّة في المعاهدات، فقد اعترفت باستقلال بلادي وحريّة حكومتي، ولا أريد أكثر من ذلك"...
ويبدو أنّ سياسة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة تجاه بريطانيا في تلك الفترة، كانت تتميّز ببُعد نظر وحكمة بالغة، فقد تعامل معها على أساس ما هو كائن، وليس على أساس ما يجب أن يكون، فالتفاعل مع الموجود والواقع هو عين السّياسة، فإضافةً لما حصل لشيوخ الدّولة السّابقين، فإنّ قراءته للتجارب التي وقعت في فترة الشيوخ اللذين سبقوه، وفي فترة حكمه جعلته يرجح كفة إيجابيات بريطانياعلى كفة سلبياتها معه...
هذه السياسة التي كان ينتهجها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة مع بريطانيا، هل تغيّرت بعد أن عانى من كثرة تدخلاتها في شؤون دولته الدّاخلية؟...

3- حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة يُعيد نظام ولاية العهد في دولة آل خليفة:

لقد كان موضوع ولاية العهد للأبناء داخل نظام الحكم الخليفي يحتل مساحة كبيرة في فكر الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، ويتبيّن ذلك من خلال طلبه وطرحه للموضوع على السلطة البريطانية، فقد هيئ الأجواء الداخلية وانتهز المناخ السياسي المناسب للحصول على الموافقة البريطانية، حيث أراد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أن يوصي بولاية العهد لأبنه الأكبر "سلمان"، غير أنّ هذا الأخير وافته المنيّة أثناء عودته من الحجّ عام 1897م[19]، ولذلك فقد قام في 7 فبرايرعام 1898م بكتابة رسالة إلى المقيم السّياسي مرفق بها وثيقة تتضمن تعيين إبنه الشيخ "حمد" وليًا للعهد، وأوصى بأن توافق السّلطة البريطانيّة على هذا التعيين، وكانت الوثيقة موقعة من قبل (44) شخصيّة نافذة من الأسرة الحاكمة ومن وجهاء وأعيان الدّولة كشهود فيها، فوافقت السّلطة البريطانيّة، وأيّدت تلك التوصيّة، ولكن بشرط إدخال إصلاحات في إدارة الجمارك، وعلى أن تكون مسؤوليتها في يد مدراء بريطانيين، ولما لم يحدث ذلك وقتها، تمّ تأجيل صدور الموافقة والإعلان الرّسمي عنها...

ولكن يبدو بعد ذلك أنّ مرض الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في ذلك العام، شجّع المسؤولين البريطانيين، على الموافقة على الوثيقة والإعلان عنها وذلك عام 1901م [20]، إذ ذكر تقرير كتبه المقيم السّياسي عام 1900م: "بأنّ صحة الشيخ عيسى لم تكن مرضية في هذا العام"...

ويظهر أنّ موافقة الحكومة البريطانيّة على الشيخ "حمد" وليًا للعهد ووريثاً لوالده بناءًا على طلبه، قد أراح الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، فأعرب عن سعادته باعتراف الحكومة البريطانيّة بخلفه، وكان الإعلان الرّسمي بذلك موضع أفراح في الدّولة [21]...

ومع أنّ نجاح الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في تعيين نجله الشيخ "حمد"وليًا للعهد، وإقناع السّلطة البريطانيّة بالاعتراف به(4)، يعتبر مكسبًا شخصيًا بالنسبة إليه، إلاّ أنّه من جانب آخر، أعاد مبدأ ولاية العهد في النظام السّياسي البحريني، وجعل الحكم وراثي ينتقل عبر الأب الحاكم إلى أبنه الأكبر، الأمر الذي يُعتبر مكسبًا عاما بالنسبة للنظام القانوني للحكم في البحرين واستقراره، وهو ما يتوافق مع أعراف حكم "آل خليفة" الذي بدأ مع تنظيم كيانهم الاجتماعي والسّياسي في دولتهم الزّبارة...

أما بالنسبة لأثر ما قام به الشيخ "حمد"على تسيير أمور الحكم، فقد أصبح خير مساعدٍ ومعين لوالده في إدارة شؤون الدّولة، وذلك طيلة ولايته للعهد، وإلى جانب مهام ولاية العهد، تولّى الشيخ "حمد" إمارة (المحرق)، كما وكان ينوب عن والده في القيام بمهام أساسيّة ترتبط بمصالح المواطنين، وتُعنى بعلاقة دولته مع السّلطة البريطانيّة، خاصةً في الفترة الحرجة التي مرّت بها البلاد بعد الحرب العالميّة الأولى، فكسب بذلك محبة المواطنين [22] من جهة، ورضا مسؤولي السّلطة البريطانيّة من جهةٍ أخرى...

أثر المتغيرات السياسيّة في علاقة حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بالسلطة البريطانية:

لا شك في أنّ بريطانيا لعبت دورًا فاعلاً في إشعال نيران الخلاف والصّراع الذي وقع في البيت "الخليفي"، والناتج عن طموحات كباره في الزّعامة، فقد عملت على تغذيته وزيادة حدته، فوقفت مرّة مع هذا الشيخ، ومرة مع ذاك الشيخ، وتخلّت مرّات عديدة عن هذا وذاك...

وفي عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، والذي بدأ يطوي صفحات الماضي القريب، ويحقق الأمن والاستقرار في بلاده، ويسعى في ذات الوقت لأن يكون

مستقلاً في قراراته، وحُرًا في تدبير شؤون حكمه وولايته على البحرين وعلى ما يتبعها من مناطق تقع تحت سيطرته، أرادت السلطة البريطانية وفقًا لما تطلبته مصالحها آنذاك، تطويع هذا الحاكم الأبي، وجعله أداة في يدها تستخدمها متى شاءت، فلما رأت منه حزماً وشدّة وعدم انصياع، حاولت تضييق الخناق عليه من خلال توليها بنفسها الشؤون المالية في البحرين، ولما كان دخل مؤسسة الجمارك يعتبر من الموارد الأساسية للدّولة، ارتأت السلطة البريطانية إضعاف الحاكم وتقليص قوّته في الدّاخل، عبر إبعاد شؤون الجمارك من مسؤولياته، الأمر الذي سيجعله في حاجة ماسة على الدّوام للأموال التي يدير بها جزءًا كبيرًا من شؤون دولته، وسيضطر الحاكم إلى المجيء إليها لحل أزماته المالية، وفي نفس الوقت ارتأت تقويض شؤون القضاء وأن تتولى بنفسها مسؤولية محاكمة الأجانب، وأن تختص بالقضايا التي يكونون طرفًا فيها، الشيء الذي يُعد انتقاصا من سيادة البحرين، وتضييقًا لسلطة شيخها، وقد كان لهاتين المسألتين أثرهما الكبير بالنسبة لكلا الطرفين، إذ وقف الشيخ عيسى بن علي آل خليفة موقفاً حازماً وشجاعاً أمام السلطة البريطانية المستبدة، وتصدى للكيفيّة التي انتهجتها هذه الأخيرة من أجل محاولة تقليص سلطته، وإنزال مقامه العظيم...

<u>مساعي السلطة البريطانية لتقويض سلطة حاكم البحرين:</u>

1- أنظار السلطة البريطانية على الشأن المالي البحريني:

لعل مسألة جمارك الدّولة، في تلك الفترة تبيّن لنا طبيعة علاقات الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بالسلطة البريطانيّة، وتكشف النقاب عن سياسة كل طرف تجاه الآخر...

فمن المعلوم أنّ جمارك الدّولة أسّست عام 1860م، وظلّت تحت سيطرة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة المباشرة بعد أن تولّى حكم الدّولة، حيث أمر بجمع عوائدها من قبل متعهدين محليين [23]، والذين كانوا من التجار (الهنود)، وأتفق معهم على أن يتولوا إدارتها مقابل نسبة من الأرباح، وأن تكون لديهم سيولة نقدية على الدّوام لتغطي احتياجات الدّولة عند اللزوم، وأن تحدّد التعرفة الجمركية على الوارد والصّادر باتفاق الطّرفين، وأن يكون العقد بينهما محدّد المدة...

ويعتبر دخل الجمارك من الموارد الأساسية للدّولة، لذلك ارتأت السلطة البريطانية إضعاف سلطة الحاكم وتقليص قوّته في الدّاخل، وذلك عبر إبعاد شؤون الجمارك من مسؤولياته، الأمر الذي سيجعله في حاجة ماسة على الدّوام للأموال التي يدير بها جزءًا كبيرًا من شؤون دولته، وسيضطره للمجيء إليها لحل أزماته المالية...
لذلك طالبت السلطة البريطانية بأن يجري إصلاحات في الجمارك(5)، واختارت موظف مختصّ لإدارة الجمارك، وقد رفض الشيخ عيسى بن عليّ آل خليفة ذلك [24]...
وتكشف لنا المراسلة التي جرت بين المعتمد البريطاني وبين رئيسه في (بوشهر) عن حزم الشيخ عيسى وتشدّده تجاه متطلبات ممثلي السّياسة البريطانية، وقد كان من ضمن ما جاء في هذه المراسلات:
"أنّ شيخ البحرين أبلغني بأنّه لم يعط أية وعود لأي موظف بريطاني عن قيامه في المستقبل بالاتصال أو التشاور مع المقيم السّياسي في الخليج العربي قبل تجديد عقد إيجار الجمارك بواسطة الهنود وطلب إحضار أية وثيقة أو رسالة تدل على عكس ذلك" [25]...
حيث تؤكد هذه الرّسالة أنّ مسألة الجمارك، كانت محل اهتمام وخلاف مستمر بين الطّرفين، وتبيّن أنّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة كان يتعامل مع المسؤولين البريطانيين طيلة تلك الفترة، وفق سياسة تقديريّة، تحقق على الأقل أدنى ما يرغب فيه، ومن دون أن يُلزم نفسه بأية واجبات مكتوبة(6)... وقد شكّل موضوع الجمارك أهم النقاط التي نوقشت بين اللّورد (كيرزون) والشيخ عيسى بن علي آل خليفة خلال زيارته للدّولة عام 1903م، والتي رفض خلالها الشيخ عيسى الحجج التي أستخدمها (كيرزون) لإغرائه، ومنها قبول نظام جديد للجمارك، يخلصه من أزماته المالية، ويزيد من دخل الإمارة، ويهيئ وضعًا ثابتًا لإبنه وخليفته الشيخ "حمد"، وقد كرّر الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أمام المسؤول البريطاني رفضه، إذ قال:

"إنّ المشكلة تخصّني، وأحبّذ تأجيل هذا الأمر حتى موتي"...

فكانت النتيجة أن وُجّه إليه إنذار بريطاني، ولكن الشيخ عيسى ثبت وأصّر على موقفه، واستمر الخلاف بينهما حتّى عام 1920م...
ويتّضح من خلال تطورات موضوع الجمارك، أنّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة كان حتى ذلك الوقت، يملك قدرًا فاعلاً من القوّة التي يستطيع بها

رفض رغبات وتوجيهات السّلطات البريطانية، وأنّ تلك الأخيرة لم تكن قادرة في ذلك الوقت على فرض إرادتها بالقوّة العسكريّة. فهل استمرت بريطانيا على نفس النهج؟

2- نجاح بريطاني في تقليص دور القضاء الوطني:

عملت السّلطة البريطانية على تكريس نفوذها القوي داخل البحرين، واستمرت في سياسة تقويض ما أمكن من سلطات داخلية يتمتع بها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة... ويبدو أنّ الفرصة المناسبة التي مكّنت ممثلي السّلطة البريطانية من تحقيق مرادهم وبشكل متدرّج، جاءت عام 1904م، وقد كان ذلك عبر وقوع حادثتين في نفس العام، وكلتا الحادثتين كان خدم إبن أخ شيخ الدّولة طرفًا فيها...

وتتلخص تفاصيل الحادثة الأولى في حصول خلاف وقع بين أحد خدم الشيخ "علي بن أحمد" وأحد العمال (الإيرانيين) الذين يعملون في وكالة (فون هاوس) الألمانية التجاريّة في البلاد، وقد حضر الشيخ "علي بن أحمد" إلى مكان الحادث، وتطوّر الشجار عندما تدخل صاحب الوكالة (الألمانية)، ونتج عنه قيام الشيخ بضربه، فتقدّم المضروب بشكوى إلى الوكيل السّياسي البريطاني، وأرسل شكوى أخرى إلى المقيم الألماني في (إيران) يستنجد به، وجرت اتصالات بين السّلطتين البريطانية و (الألمانية)، وقد قرّرت السّلطة البريطانية بعدها ما يلي [26] :

1- جلد أربعة أشخاص من المشتركين في الشجار بحضور الطّرف الأخر...
2- إيداع مبلغ ألف روبيّة في دار المعتمدية كتعويض للألماني...
3- أخذ تعهد من الشيخ عيسى بأن يتم نفى الشيخ علي لمدة ثلاثة أسابيع حتى يُتخذ قرار آخر بشأنه...

أمّا الحادثة الأخرى، فكانت مع أحد خدم كبار التجار (الإيرانيين) في المنامة، وتطوّر الشجار ليشمل أفراد من العاملين والخدم لدى كل من طرفي النزاع، وأصبحت الحادثة أشبه بالفتنة وانتهزت السّلطة البريطانية هذه الفرصة لتشيع وقتذاك أنّها المسؤولة عن حقوق الجالية الإيرانية، كونها المسؤولة عن حماية الأجانب داخل الدّولة، واعتبرت هذه الحادثة، كحركة معادية للإيرانيين[27]، وحينما بعث الشيخ "قاسم بن مهزع" المسؤول عن السّلطة القضائية، بعض الأفراد من أجل إخماد الفتنة على الفور وإجراء الصّلح بين الطّرفين، كانت

السّلطة البريطانية قد استطاعت إقناع (الإيرانيين) عن طريق عملائهم المندّسين في هذه الفتنة، بكون هؤلاء الأفراد الذين تمّ إرسالهم من قبل القاضي، جاءوا للاشتراك ضدهم في هذه الفتنة، وليس من أجل الصّلح [28]، لذلك رفض (الإيرانيون) عرض هذه القضية على القضاء، لاعتقادهم حسب الرّواية البريطانية، مشاركة مسؤول السّلطة القضائية الشيخ "قاسم بن مهزع" في الأحداث الأخيرة، وأنّ الحُكم لن يكون في صالحهم [29]...
وحينما وصل إلى علم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ما وقع من أحداث، حاول معالجة المشكلة، والقبض على مسببيها، فتدخل الوكيل السّياسي البريطاني على الفور قائلاً:

(إنّ الإيرانيين الذين في جزر البحرين أجانب، وأنّهم بالتالي تحت الحماية البريطانية...).

فردّ عليه شيخ الدّولة وهو يقول :

(... وهل أهل البحرين بأجمعهم ليسوا تحت الحماية البريطانية وهم رعيتي ؟... إنّ الإيرانيين مسلمون، وأنّ النزاع الذي حدث ستحسمه محاكم الشرع الموجودة في البحرين لذلك لا أقبل تدخلك في هذا الموضوع)[30]...

بعد تلك المحاورة التي أظهر فيها حاكم الدّولة الشيخ عيسى موقفه الحازم اتجاه توجيهات ومتطلبات المعتمد السّياسي، توالت المراسلات بين مسؤولي السّلطة البريطانية، فتحركت سفن بريطانيا في تاريخ 22 فبراير عام 1905م في إتجاه دولة البحرين، وأخذت كل سفينة موقعها المحدّد، وطلب من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أن يُلبّي، ويستجيب للطّلبات المقدمة إليه...

وفي عام 1909م أرادت بريطانيا أن تكون هي السّلطة المختصة التي تنظر في قضايا الأجانب داخل الدّولة بشكل رسمي، وبطريقة سياسية، تُعبّر عن قبول أصحاب الشأن الأصليين، فطلبت حكومة (الهند) من "كوكس" المقيم السّياسي في الخليج العربي، إبلاغ المعتمد السّياسي في البحرين بإجراء اتصال مع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، من أجل الحصول منه على طلب يتقدّم به إلى الحكومة البريطانية، يشتمل على إعفاءه من المسؤوليات القضائية المتعلقة بالأجانب في البحرين(7)...

3- الهيمنة البريطانية على الشأن الدّاخلي:

أولاً: الاندفاع البريطاني لتولّي السّلطة الداخلية بالكامل:

إن من أهم نتائج الحرب العالميّة الأولى، تغيّر ملامح المنافسة بين الدّول الكبرى وبريطانيا للسيطرة على الخليج العربي، فقد هُزمت (ألمانيا) وانقسمت الإمبراطوريّة (العثمانية)، وقامت الثورة في (روسيا)، وبرزت (بريطانيا) كأقوى دولة نفوذا وسيطرة، وأصبح الخليج العربي بحيرة بريطانية، أما في البحرين فقد بات موضوع حق تقرير المصير الذي أعلنت عنه الولايات المتحدة فور انتهاء الحرب العالميّة الأولى، يُلهم أفكار وطموحات حاكمها وشيوخها ومثقفيها...

ومقابل هذه الصّورة الجديدة، كان الوكيل السّياسي البريطاني يُبدي سخطًا وانزعاجًا شديدين كلّما واجه المطالب المنادية بالتوقف عن تدخله في الشؤون الدّاخلية...

ويُشير المقدم (كوكس) القائم بأعمال المقيم السّياسي في الخليج العربي بخصوص هذا الموضوع بما يلي:

"أوافق على مقولة المعتمد السّياسي في البحرين، والقائل بأن المنطق الغير مسؤول للرئيس "الأمريكي ويلسن"، قد وجد له صدى في شخصية الشيخ عيسى وأبنه الشيخ عبدالله(8) وأناس كثيرين في العالم، ربما تكون زيارة الشيخ عبد الله لأوروبا قد أعطت الشيخ عيسى إحساسًا بالأهميّة"[31]...

لذلك عمدت الحكومة (البريطانية) إلى اختيار معتمد سياسي يتحلّى بصفات تمكّنه من التفاعل مع المتغيرات الجديدة، وموجة التحديات التي بدأت تظهر من قبل أطراف رسميّة وشعبيّة...

وفي عام 1919م تمّ تعيين الرّائد "ديكسون" خلفاً للنقيب "باري" وهذا الشخص الجديد يحمل أفكارًا استعماريّة متطرفة، يتولى تنفيذها بأساليب غير ودية أحياناً وبطرق ماكرة أحياناً أخرى، وعلى ما يبدو أنّه كان شديد الإيمان بالمبدأ السّياسي التقليدي الذي تتبعه بلاده (فرق تسد)، فقد باشر المعتمد السّياسي تطبيق قانون المستعمرات الذي حاولت بريطانيا فرضه على الدّولة عام 1913م، وحالت حينذاك الحرب العالميّة الأولى دون تطبيقه، وقد جاء في قرار تطبيقه التالي:

"أنه يطبق على سكان البحرين أي قانون يتم تشريعه في المستقبل، من قبل الحاكم العام أو حاكم بومباي وفقا للوائح الملكية، ويمكن تطبيق أي قانون في البحرين، قد تم تشريعه في الهند ولو قبل تنفيذ هذا القانون، وأن القانون الجنائي السّاري المفعول في الهند يطبق على البحرين، ويرأس المقيم محكمة التمييز في البحرين، ويتمتع الوكيل السّياسي بصلاحيات قاضي الولاية، وله الحق في إعادة حكم القاضي، ولن يكون لحكم القاضي أي تأثير، إلا إذا صادق عليه الوكيل السّياسي، ويحق للمقيم النفي للهند، ويرسل تقريرًا عن المنفي للحاكم الهندي كما يطبق في البحرين القانون التجاري السّاري المفعول في الهند، ويطبق القانون المدني السّاري في الهند على البحرينيين"[32]...

ويظهر من خلال محتويات قانون المستعمرات الذي تمّ تطبيقه في الدّولة، أنّ الحكومة البريطانية قد اجتازت بالفعل مرحلة التدخلات في الشؤون الأساسية للشأن الدّاخلي، ووصلت لمرحلة التدخل في الشؤون الأكثر تفصيلاً وتفرعًا، محاولةً عبر ذلك حرمان حاكمها من أيّة سلطة ونفوذ في دولته، ليكون المعتمد السّياسي هو الحاكم الفعلي في هذه الدّولة...

ثانيًا: التصدي الوطني للاندفاع (البريطاني) نحو السّلطة:

في الوقت الذي تمّ فيه تطبيق قانون المستعمرات في دولة البحرين، كانت الثورات والانتفاضات ضد الاستعمار (البريطاني) تعم أهم مناطق نفوذه، خاصة في الدّول الإسلاميّة، كـ (مصر) و (أفغانستان) و (تركيا) و (إيران)، ولاشك أن هذا المدّ الثوري والرّفض الشعبي قد ترك أثرًا عميقا في أفكار ونفوس سكان الدّولة الصّغيرة وحاكمها الشيخ عيسى...
فقد رفض الشعب والحاكم ذلك القانون، لمنافاته للدّين والأعراف والقيم الاجتماعية، وتشكّلت مجموعة من الشخصيات الوطنية اجتمعت بحاكم الدّولة، وطلبت منه وضع حد لتطبيق هذه الأنظمة الدّخيلة، وإنشاء مجلس يضم ذوي الرّأي، ويخولهم حق انتخاب القضاة الشرعيين ورؤساء الدّوائر وعزل الأجانب، فاستجاب الشيخ عيسى لطلبهم، وامتنع المعتمد السّياسي البريطاني، مما جعل الوطنيين يعقدون مؤتمرًا وطنيًا، تمخّضت عنه عدة قرارات لم تنل رضى المعتمد السّياسي، وعلى إثرها اعتقل بعض الوطنيين وتم نفيهم إلى (الهند)[33]...

بعدها استمر المعتمد السَياسي يعارض أغلب القرارات التي يصدرها الحاكم، فعندما قدم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أوامره في شهر إبريل من عام 1919م بتعيين أحد وجهاء البلاد في المجلس العرفي وإقالة آخر(9)، احتجَ المعتمد على هذا القرار المنافي لقانون المستعمرات، وقوبل هذا الاحتجاج بإصرار على تنفيذ القرار، فتوقّفت أعمال المجلس بأمر من المعتمد34]، وتمَ إعادة تفعيل أعمال المجلس في شهر يناير عام 1920م، بعد مباشرة المعتمد السَياسي البريطاني الجديد أعماله في الدّولة، وعقد اتفاقا يُرشّح بموجبه نصف أعضاء المجلس البالغ عددهم عشرة، وقد فعل ذلك، وعين أشخاصاً جميعهم أجانب(10) ليتمكن من التحكم في قراراتهم ويضمن تنفيذهم لتوجيهاته...

ثم تكرّرت تدخلات المعتمد السَياسي الجديد، وأخذ يصدر قراراته في كل شأن داخلي، من ضمنها ما حصل أيضًا حينما تمّ تأسيس المجلس البلدي عام 1920م، فبحجَة الإصلاح وعدم إساءة التصرف في القرارات والإدارة كما يدعي، قرّر تعيين نصف أعضاءه البالغ عددهم ثمانية واختارهم أجانب أيضًا، ولم يكتف بذلك، بل فرض حضوره في اجتماعات المجلس كعضو فوق العادة، ليُراقب الأمور ويتأكّد من عدم حصول تجاوزات، وليكون في النهاية المرجع الذي يعود إليه الجميع...

وفي أوّل اجتماع للمجلس، تظاهر جموع من المواطنين مرددين هتافات معادية للبريطانيين، وقد قال المعتمد حينها:

"إنّ هؤلاء الناس قد أُرسلوا من قبل مجموعة معينة من بينهم "يوسف كانو"(11) وإنّ القصد منها التظاهر ضد المجلس الذي سيأخذ المسؤولية من المجالسَ الأهلية"[35]...

ويبدو أنّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة كان ما يزال يحتفظ في بعض الأحيان، على شيءٍ من الفعالية والقدرة التي يستطيع بها الحد من شمولية التدخلات البريطانية...

ففي عام 1920م، طلب المعتمد السَياسي (ديكسون) إحضار طائرة بريطانية إلى البلاد، لتبقى فيها بصورة دائمة، من أجل استخدامها في نقل البريد منها وإليها عبر إمارات الخليج العربي و(البصرة)، فلم يمتثل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة لطلب المعتمد، حيث اعتبره من ضمن التدخلات في الشؤون الدّاخلية، وارتأى أن حصول السّلطة البريطانية على امتياز جديد سيجعل دولته قاعدة جويّة بريطانية...

ويظهر أنّ التدخلات البريطانية في الشؤون الدّاخلية بجزئياتها وتفاصيلها، واجهت معارضة شديدة من قبل الحاكم الشيخ عيسى ومؤيديه، وعكست آثارًا سلبيّة على السّياسة البريطانية في الدّاخل، ويستدل على ذلك بما ذكره المعتمد السّياسي حينما كتب قائلاً:

"إنّ الأجواء السّياسية في البحرين سيئة، خاصة من قبل العرب الذين يزداد نشاطهم ضد دار الاعتماد، ويقف وراء ذلك النشاط الشيخ عيسى وعائلته، ونحن نعتقد أنّ مبدأ "ويلسن" لحريّة الأوطان الصّغيرة، إلى جانب ما يحدث اليوم في مصر والهند، وجميعها عوامل مؤثرة ومؤدية لهذه العداوة، لقد أصبحوا يعتقدون بأنه كلّما شبت نار القلاقل والثورات ونشطت المعارضة كلما اقتربوا إلى الاستقلال"(12)...

البقايا المؤثرة من سلطة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة:

1- الشيخ عيسى ونهج سياسي جديد:

لاشك أنّ ممثلي السّلطة البريطانية، قد نجحوا في انتزاع قدرًا كبيرًا من قوّة ونفوذ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، واستطاعوا بذلك تحجيم سلطته عن طريق أسلحة بلادهم الحربيّة، وعتادها العسكري المتقدم، وأصبح الشيخ أكثر قابلية للاستجابة لمطالبهم(13)، وقد فعلوا نفس الشيء مع الشيخ "قاسم بن مهزع" المسؤول الأول عن السّلطة القضائية(14)...

وعلى ما يبدو فإنّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة قد أُصيب بالإحباط نتيجة ما وقع له، وبات متأثرًا مما حدث ومما نتج عنه، وبدا ذلك ظاهرًا من خلال رسالته التي بعثها إلى الوكيل السّياسي في الدّولة حيث قال فيها:

"إنني حزين لما لاقيته... ولمكانتي في عيون الحكومة البريطانية، ودليل ذلك ظهور السّفن الحربيّة الإنكليزية، واتخاذها مواقع هجوميّة مثيرة للرعب، إلى جانب اعتقال إبني الشيخ حمد وأخذه رهينة على ظهر السّفينة الحربيّة، هذا إلى جانب الهجوم على منزل إبن أخي ومصادرة متاعه وخيله وجماله وكل محتويات منزله وبيعها في الكويت وبوشهر ومسقط، والإعلان للعالم كله عن الإجراءات الموجهة لي والتي في اعتقادي لا أستحقها من هذه الحكومة! وإذا

كان هذا نتيجة للاضطرابات الأخيرة، فقد أوفت الحكومة بواجبها، وتم تعويض جميع المتضررين ومع ذلك فإن ما حدث هنا، لا يقارن بما حدث في مناطق أخرى[36]...

وانطلاقا من هذا الموقف النفسي المتأزم، رسم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة نهجاً سياسيًا جديدًا يُلائم الواقع الذي هو فيه ويناسب المرحلة الرّاهنة التي تعيشها دولته، قاصدًا بذلك المحافظة على ما تبقى لديه من قوّة وسلطة، وفي ذات الوقت تخفيف الإجراءات التي تتخذ في حقه، ولعل الشكوى المرفوعة من قبله في حق الممثلين البريطانيين والموجّهة إلى كبار المسؤولين في الحكومة البريطانية، دليل على ذلك النهج السّياسي الجديد الذي بدأ العمل به...

فقد شرح في مقدمة الشكوى ما كان عليه الحال قبل 6 سنوات مضت على الأحداث الأخيرة، فكان في حالة مطمئنة ومرتاحًا من ممثلي الحكومة البريطانية، ولم يقم خلال تلك الفترة بأي عمل استفزازي، وكان يقوم بذلك دون تدخل من أحد، كما أنّ أهل بلاده جميعًا يعيشون في راحة من معاملته... أما بالنسبة للأمور الدّاخلية فقد قال:

"أنا حاكم البحرين مثل من سيبقى من حكّام هذا البلد، والفرق الوحيد فقط هو وجود ممثل لحكومتكم يرعى مصالح رعاياكم آنذاك، وكان الممثل السابق مسلمًا في ديانته، وتربطه علاقة طيبة بكل أهل البلاد من المسلمين، ولكن الـ6 سنوات خلت، وأصبح ممثلوكم سببًا للتقليل من شأني دون أي ذنب من طرفي"... ثم عدّد الشيخ في رسالته الأمور التي سببت له الظلم والجور [37]....

وعلى الرّغم من مجريات الأحداث التي لم تكن بالتأكيد في مصلحة الشيخ عيسى، إلا أنه واصل تهميش المتطلبات البريطانية، والتقاعس في تنفيذ الكثير من أوامرها التي ليست من جملة شؤونها واختصاصها، وهو السّبب الذي دفع بالمسؤولين البريطانيين إلى التصريح بـ : "أنّ الشيخ عيسى يفتقد الحزم ليكون حاكم تلك الجزيرة، وما ينتظرها من مستقبل من الممكن تطويره"(15)...

2- السَلطة البريطانية في مواجهة تشدّد الحاكم الأبي :

حينما أدركت السَلطة البريطانية بأنها غير قادرة على تطويع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بالكيفية التي ترغب فيها، شعرت بنتائج سلبية، فاستبدلت سياستها السّابقة معه، وأوعزت لممثليها باتباع سياسة جديدة، تحقّق المراد وفي نفس الوقت تُجنّبهم الاصطدام به، الأمر الذي سيؤثر بالطّبع سلبًا على علاقتهم بحكّام (الإمارات) في المنطقة، والذين يتابعون ما يحصل في تلك الدّولة، وذلك تبعاً لوجود تشابك لأكثر من عامل سياسي وإجتماعي وإقتصادي يجمعهم بها... وعليه فقد قررت السلطة البريطانية تأجيل تطبيق سياسة التشدّد معه، إلى حين يأتي الوقت الملائم لاستخدامها...

وفي تقرير سري[38] بعثه سكرتير دائرة الخارجيّة في حكومة (الهند) إلى الرّائد "كوكس"عام 1905م يؤكّد له ضرورة استخدام السّياسة الجديدة مع الشيخ"عيسى"، حيث ورد فيه ما يلي:
"أنّ حكومة الهند تطلب منكم أن تنتهزوا أحداث الفترة الأخيرة، وتستغلوها للضغط على الشيخ عيسى، حتى يستجيب لمطالب الإصلاح الإداري، وعلينا أن نتقدم كلانا إلى الشيخ باقتراحات مشتركة ومتفق عليها، تجنبنا التهديد المدفعي، أما السّر في الوصول إلى اتفاق مع الشيخ، فهو اتباع سياسة التقرب منه، وكسبه إلى جانبك دون انتظار أوامر حكومة الهند"...

وقد استطاعت بريطانيا ومن خلال نواياها السّيّئة، انتزاع أكثر مما قُصد من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، من أمور تتعلق بقضايا العرب والمسلمين، والتي أرادها أن تكون تحت سلطة القضاء في بلده، لكنها تحوّلت إلى السلطة البريطانية...

حيث إنه وعلى ما يبدو فإنّ هذه الأخيرة كانت تستهدف من خلال سعيها الحصول على طلب من الشيخ عيسى يتناول إحالة قضايا الأجانب عليها يُقدمه شخصيًا عن طريق رسمي ومكتوب، وإدخال القانون القضائي الذي تّمت صياغته لسواحل الخليج العربي وجزره، والذي أُخذت بعض مواده من قانون (زنجبار) لعام 1906م وقانون (الصّومال) لعام 1899م، ما يُعطي المعتمد السّياسي صلاحيات قضائية تمكّنه من التعامل مع الحالات المدنية [39]، إلاّ أنّ قيام الحرب العالميّة الأولى أجّلت العمل به...

وتمضي السّياسة البريطانية على هذا المنوال في علاقتها بدولة البحرين طيلة العقد الثاني من القرن العشرين، فهي تزج يدها في كل شأن ترى أنه من الضروري التدخل فيه، تحقيقاً لنواياها ومصالحها...

وفي عام 1912م ارتأى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بعد التشاور مع منفذي المجتمع المدني في بلاده إلى تأسيس مجلس استشاري(16)، يساعده في تدبير شؤون الدّولة، فاشترط الوكيل السّياسي البريطاني أن يتولّى تعيين نصف عدد أعضائه وأن يعتمد أيضًا، أسماء النصف الآخر الذين يعينهم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة...

إلاّ أنّ الشيخ عيسى مازال وحتى قبل نهاية العقد الثاني من القرن العشرين، يملك من الجرأة والمواجهة ما يكفي لتعطيل كثير من خطط وأوامر ممثلي بريطانيا ولا يكترث لمطالبهم وتوجيهاتهم...

المواجهات البحرينية - البريطانية ومشروعية السّلطة الجديدة:

إن السّياسة الداخلية التي اتبعها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة والتي كانت تُعنى بتحقيق المصالح الشعبية والوطنية، وتُركز على استقلال البحرين وحرية القرار السّياسي فيها، وعلى وجه الخصوص محاولاته المستميتة والمستمرة في أن لا تمس السّلطة البريطانية سيادة البحرين الدّاخلية، ولا تقترب من شؤونها التسييرية والتنفيذية المرتبطة بالمصالح العامة وشؤون الحكم في الدّاخل، دفعته هذه السياسة، إلى احتضان أبناءه الوطنيين الشيوخ منهم والنخب الاجتماعية والشخصيات السّياسية، فقد أتاح لهم المجال مرّة، وشاركهم مرّة، وغضّ بصره وسمعه مرّة، ودعمهم مرات عديدة، وبالتّالي أسفرت سياسته تلك في نهاية المطاف، عن ظهور طرف وطني شعبي بدأت براعمه تنمو وتظهر من خلال انتقاده للسّياسة البريطانية في البحرين والبلاد العربية والدّول المُستَعمَرة، والتفات هذا الطرف حول حاكمه وشيخه في مواقفه وقضاياه، الأمر الذي أثار انتباه السلطة البريطانية، فخشيت في الحال من تطور الأوضاع، فأسرعت إلى اتخاذ سياسة أكثر شدّة في حق هذا الطرف، وكانت الغلبة بالطبع لمن يملك القوّة والسياسة الاستعمارية الماكرة، فقد وجّهت السّلطة البريطانية سهامها القاتلة للطرف الضعيف واستطاعت بإجراءات استعمارية الحد من نشاط الحركة الوطنية، وزرع بذور الفتنه بين أفراد الشعب الواحد...

وهنا لا بد من تسليط الضوء على الكثير من نواحي التَقدم في البحرين التي حصلت إبان حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة واحتضانه للحركة الوطنية، إلى جانب ما إتخذته السلطة البريطانية من إجراءات تصعيدية في حق الوطنيين من أبناء البلاد وبالذات الحاكم الشيخ عيسى، وعملها على نزع سُلطته من حُكمِه، إضافةً إلى مشروعية الوضع الجديد السياسية والقانونية...

<u>بناء أسس الدولة الحديثة واحتضان الحاكم للحركة الوطنية:</u>

إن المشاهد الاجتماعية والاقتصادية والسَياسية في البحرين بعد مطلع القرن العشرين وحتى عام 1923م وهو العام الذي أبعدت فيه السَلطة البريطانية الشيخ عيسى بن علي آل خليفة عن حكمه، يكشف وبوضوح مدى ما وصلت إليه البحرين من تقدم وتحضر إذا ما قورنت ببقية دول ومشيخات المنطقة...

فقد تميّز عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بنوع جيّد من الانفتاح والتسامح وقبول الغير، فعاشت الأديان والطوائف وكذلك الأجانب على اختلاف أصولهم على أرض البحرين، في ظل أمن وحماية شيخها، وفتحت البحرين أبوابها لاستقبال الجديد والحديث من الأفكار والوسائل المادية المبتكرة وقتها، وقد حرص الشيخ عيسى على أن يكون ذلك كله في إطار ضوابط الشريعة الإسلامية، فالشيخ الحاكم جعلها دستورًا في بلاده عندما ولّى "قاسم بن مهزع" مسؤولاً عن تطبيق الشريعة وممارسة القضاء، ومنحه كامل الصلاحيات والاختصاصات، فالشيخ المهزع هو من قال للمسؤولين البريطانيين: "إنّ السّياسة الشرعيّة، يجب أن يَعمل بها علماء المسلمين وقضاتهم في البحرين"...

ومن خلال الدين والقيَم والأصالة العربية وموهبة الحاكم وخبرته، ظهر الحكم الرشيد طيلة عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، فتكاتف هذا الحاكم مع أهل العلم والنخب الوطنية والمثقفة في وجه التَسلط والتَحكم المتزايد من قبل السَلطة البريطانية، فقد احتضن الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أبناءه الشيوخ والمثقفين الوطنيين، ليشكلوا جميعًا نواة حركة وطنية حديثة، تُنبأ عن بداية ظهور معارضة منظمة قدَ تُسبب حرجًا للمُستَعمِر في المستقبل القريب، وتضعه في زاوية لا يرغب فيها لا على المستوى الداخلي المحلي ولا على المستوى الدَولي، ولا تصب في مصلحة المُستعَمِر ذاته، ولذلك مارست

السّلطة البريطانية، سياسة متشدّدة في حق الوطنيين من أبناء البلاد، واتخذت إجراءات قاسية في حق الحاكم، وسوف نتطرق إلى تفاصيل ومواقف وآراء موثقة في ذلك فيما يلي...

دور حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في تحضر البحرين وتقدمها:

1- ملامح التغيير نحو الدّولة الحديثة :

لاشك أنّ السياسة البريطانيّة مطلع القرن العشرين وهي تُحاول فرض منظومتها القانونيّة والسياسيّة في البحرين انطلاقًا من مصالحها الخاصة، عن طريق إجراء إصلاحات عامة تكون ملائمة لرغباتها وتُهيئ لما تنوي فعله إذا ما قرّرت جعل البحرين أحد المراكز الرئيسة في المنطقة، أحدثت تغييرات اجتماعيّة وتطويرًا في اقتصاد البحرين وكان لابدّ وأن يُرافق ذلك ظهور وعي سياسي لدى المواطنين، وتحوّل في أفكار المثقفين منهم... فقيام بريطانيا بتعيين معتمد سياسي(17)، وإلزام الدّولة باتفاقيات تتعلّق باستغلال مصادر الثروات الطّبيعيّة، وفتح مكاتب البريد واللاّسلكي(18)، وتماديها في رسم وتدبير شؤون البلاد الدّاخليّة، بدءًا من شؤون الجمارك وشؤون القضاء، وانتهاءً بشؤون أخرى مختلفة، يؤكّد رغبتها الشديدة في تمكين مؤسساتها السياسيّة والإدارية، من التغلغل في شرايين حياة المجتمع الدّاخلي، مع خلخلة التركيبة العشائرية والنظام السياسي القبلي...

ولأن المجتمع البحريني يتميّز بتراث عريق في مختلف أوجه المعيشة البحريّة والتجارية والزّراعيّة، وبالتالي درجةً جيّدة من التّحضر، فإنّ هذه الخصوصيّة دفعته إلى التفاعل الفوري مع مجريات الأحداث والمتغيرات التي شهدتها المنطقة والعالم في تلك الفترة، فتأثّرت بذلك نواحي الحياة العامة في الدّولة، وبدأت تتشكل في الدّولة مؤسّسات أهليّة وحكوميّة ذات طابع ثقافي وسياسي وإداري وتجاري، اتسمت بالتنظيم والاستمرارية...

وعُدّت المؤسسات الأجنبيّة متمثلة في الإرساليات العربيّة الأمريكية، المصدر الوحيد للثقافة الأجنبيّة، وعلى الرّغم من محدوديتها [40]، فإنّها أنشأت مركزًا صغيرًا عام 1892م، ضمّ مدرسة لتعليم اللّغة الإنجليزية، ومكتبة عامة، وبدأ

هذا المركز يزاول نشاطه دون معارضة شديدة، وشجّعه إقبال بعض الشباب للإطلاع والتعليم قبل أن تتضح نواياه الأساسيّة [41]...

أمّا المستشفى التابع للإرساليّة، فقد أدّى بعض الخدمات للمرضى، واستهدف من خلال خدماته تلك، نشر الوعي التبشيري، فكانت الاستشارة الطبّيّة والدّواء لا يقدمان إلاّ للذي يحضر صلاة الصباح، وبسبب نشاط المركز كان عدد بيع المطبوعات المسيحيّة من (400) ذكرت في نشرة عام 1892م، وزادت إلى أكثر من (620) حسب نشرة عام 1905م [42]، وبالرّغم من مقاصد هذه المؤسسة الأجنبيّة المشبوهة، فإنّها قد أثرت إيجابًا في إدخال النظام الصحي الحديث إلى البلاد...

وعلى ما يبدو فإنّ ملامح الحركة الوطنيّة الساعية إلى نشر الثقافة العربيّة والإسلاميّة وبث الوعي السياسي، والتصدّي بالتالي للنشاط الثقافي الأجنبي، قد بدأت تبزغ مع عام 1913م، فتمّ تأسيس نادي (إقبال أوّال) في (المنامة)، وكان يمكن لهذا النادي أن يستمر، ويثري الحياة الفكرية والسياسيّة في البلاد، ولكنه لم يستمر في تقديم خدماته إلاّ أشهر قليلة، بسبب إغلاقه لعدم تقدّمه بطلب حصول على موافقة رسميّة من السلطة [43]...

تمكّن المواطنين بعد ذلك من الحصول على خدمات ثقافية واجتماعيّة متعدّدة ومتنوعة، عن طريق إدخال التقنيات والآلات الحديثة في الدّولة، حيث أدخلت أوّل مطبعة حجرية عام 1913م [44]، ووضعت أوّل آلة تلغراف عام 1918م، واستخدم أوّل مولد للطاقة الكهربائية عام 1920م [45]...

خطت الدّولة بعد انتهاء الحرب العالميّة الأولى 1919م خطوات سريعة نحو هيكلة حكومة الدّولة الحديثة، فبدأت بفتح دائرة للتسجيل العقاري والمساحة [46]، وتنفيذ مشروع تعليمي حديث، وذلك بافتتاح أوّل مدرسة تعليميّة... هذا وقد كان لفكر المثقفين الإصلاحيين آنذاك، دخل كبير في تنفيذ هذا المشروع التعليمي الحديث، سبقه تشكيل مجلس معارف(19)...

وعلى نفس النهج، أنشأت الدّولة أوّل الأجهزة الإدارية الأساسيّة، فنفذت في عام 1920م مشروع أوّل بلديّة فيها، وهي بذلك تُعد ثالث دولة عربيّة بعد (مصر) و(سوريا) في مجال إنشاء المجالس البلديّة [47]، ثمّ أخذت الأجهزة

الإدارية في الزّيادة خلال تلك الفترة، إلاّ أنّها لم تصل بعد إلى الطّابع التنظيمي الإداري الحديث، إلاّ عام 1926م...

2- الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ودفعه التوجّه الشعبي نحو العمل الوطني:

لقد واجهت معظم المحاولات البريطانيّة التي استهدفت استقلال الدّولة الخارجي والدّاخلي قبل مطلع القرن العشرين، معارضة ونشاط سياسي وعسكري من قبل حكّام البحرين الذين سبقوا الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حيث كانوا يرومون دوماً المحافظة على استقلاليّة قرارهم السياسي، وجعله وطني المصدر، وقد عاضدهم وساندهم في تحقيق هذا الغرض، هذه القبيلة أو العشيرة أحيانا أو تلك في أحيان أخرى، ووقفت معهم هذه النخبة الموالية أو ذلك الشخص النافذ المخلص...

أمّا في مطلع القرن العشرين، فقد ظهر على السطح السياسي ما يمكن أن يُطلق عليه حركة وطنيّة أو أعمال وطنيّة بالمعنى المفهوم حديثًا، حيث تولّى القيام بها بعض الشخصيات الوطنيّة التي قرّبها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وأتاح لها المجال بالقدر الذي أراده أن لا يُثير السّلطة المُستعمِرة في بلاده، فوقفت في الصف المواجه للسلطات البريطانيّة، ولعل أهم ما كان يميّز تلك الحركات والشخصيات حينذاك، هو ولاؤها الوطني، وعدم اعتماد سلوكها الوطني على القبليّة أو الطّائفية، ومن ضمّن أهم الأسماء التي عملت إلى جانب الحاكم المتزعّم لمعارضة الساسة البريطانيين، الشيخ الرّئيس "قاسم بن مهزع" الذي قال عنه المندوب البريطاني: "أنّه من مثيري الإضطرّاب في البحرين ضدهم" [48]، والسيد عبد الوهاب الفيحاني، والشيخ "أحمد بن مهزع" شقيق الشيخ "قاسم بن مهزع"، ولذلك فقد بدا واضحًا بأنّ مطلع القرن العشرين، أعتبر بدايةً للعد التنازلي لمستوى التأثير القبلي على النظام السياسي في الدّولة، وبدايةً للعد التصاعدي لمستوى التأثير الوطني عليه...

فقد كانت هناك ممارسات مختلفة تسعى للدّخول رسميًا للمشاركة في صنع قرار سياسي في الدّولة، وبرزت محاولات مختلفة تستهدف عرقلة أهداف السياسة البريطانيّة، في الوقت الذي يحاول فيه الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة منع المتنفذين البريطانيين من تحقيق مآربهم...

ولعلَ الخطوة التي أقدَمت عليها بعض الشخصيات الوطنيّة لإنشاء تنظيم سياسي يهدف إلى مساعدة الحاكم في قراراته السياسيّة، تعد الأولى من نوعها نحو إنشاء مؤسَسة شعبيّة سياسيّة مستديمة، تشارك في تسيير شؤون الدَولة، وتدفعها تجاه مشارف الدّيمقراطيّة الحديثة...

وقد كان ذلك عندما أقدَمت بريطانيا عام 1911م، على إصدار قرار يمنع الاتجار في الرّقيق والسلاح، فاعترض بعض الأهالي على هذا القرار، لعدم مراعاته أعراف هذه التجارة في المنطقة وداخل الدّولة، فلجأ الأهالي إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة يطالبونه بالتدخل، فعقدوا اجتماعًا معه، انتهى باقتراح تشكيل لجنة استشارية من الأهالي، تساهم بمعيّة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وتُشاركه في منع السلطة البريطانيّة من الاستبداد بآرائها والحدّ من فرض قراراتها داخل البحرين...

وقد شُكلت هذه اللّجنة بالفعل، ومَنح الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أعضاءها أوراقاً ووثائق تتعلّق بهذا التشكيل السياسي الجديد، وأخذ منهم تعهدًا بالطّاعة والالتزام بالأوامر [49]...
وهكذا تأسّست رسميًا من النواحي الشكليّة، أوّل مؤسّسة سياسيّة شعبيّة في الدّولة تهدف إلى مساعدة الحاكم في تدبير جانب من شؤون الدّولة، ولكّنها على أرض الواقع لم تتمكن من مباشرة عملها، فقد سعت أطراف أخرى للقضاء عليها في مهدها، وتمكّنت من إقناع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بسوء نيات أعضاء اللّجنة المشكّلة، وأنّهم سيكونون بديلاً عنه في مفاوضاته مع السلطة البريطانيّة، ولذلك فقد تمّ حلّها(20)، بيد أن هناك من يرى بأنّ سلطة الحماية البريطانيّة هي التي سعت لحلها [50]...

وفي الجانب المقابل، أرادت بريطانيا أن تقطع شوطًا مهمًا لإحكام سيطرتها في البحرين، فأعلنت عن قيام مجلس البحرين التنفيذي عام 1913م [51]، وذلك لتطبيق الأنظمة المتبعة في (الهند) على البلاد، على أن يكون المقيم السياسي البريطاني في (بوشهر) مسؤولاً عنه، إلاّ أنّ السلطة البريطانيّة أجّلت تنفيذ المشروع بسبب قيام الحرب العالمية الأولى...

احتضان الشيخ عيسى بن علي آل خليفة للحركة الوطنية:

1- الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ودوره في إنحسار القديم القبلي:

لقد أراد الشيخ عيسى أن يكون في البحرين، قواعد شعبية وطنية استشارية، تساهم بآرائها في بعض المسؤوليات السّياسية التي باتت أكثر صعوبة وهو يواجه السّلطة البريطانيّة، كما وأراد منها أيضاً أن تكون عونًا له في فتح أبواب الحداثة والتّحضّر في بلاده، وقد أدّت مبادراته تلك وطريقة تسييره البلاد مطلع القرن العشرين، إلى انحسار المجتمع التقليدي بروحه العشائرية، وظهور أنماط فكرية، ومفاهيم جديدة، برزت من خلالها شخصيات سياسيّة تنوعت انتماءاتها الاجتماعيّة والاقتصاديّة والفكرية، والتي وجدت نفسها مضطّرة إلى التحرك بفاعليّة نحو المشاركة في تحديد مصير بعض المشاريع الوطنيّة، والمساهمة في تطوير وتقدّم بلادها، حتى ولو كان قدر مشاركتها يسيراً، وأن تكون ضمن فضاء السلطة السياسيّة بشكله الواسع، وتتفاعل مع الرغبة الصريحة التي يُبديها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في مناسبات عدة، إلى جانب تفاعلها مع رغبته الضمنية التي تتجلى في عدم ممانعته لمواقف وتصرفات أبناءه الشيوخ وأصحابه الوطنيين تجاه أعمال وطنية والسكوت عليها...

وفي نهاية العقد الثاني من القرن العشرين، ومع نمو الوعي القومي والوطني، ظهرت دعوات ومطالب متباينة في مقالات ومنشورات كُتبت في صحف عربيّة، كما قُدّمت عرائض ومخاطبات وجّهت إلى السلطات البريطانيّة ورُفعت إلى الحاكم، وكانت لشخصيات ومجموعات وطنيّة، ذات أطياف مختلفة، وامتزجت هذه الدعوات والمطالب بين ما هو قومي وبين ما هو وطني، وبين ما هو شعبي وبين ما هو فئوي، وبين ما هو كلّي وبين ما هو جزئي، ومنها على سبيل المثال ما حصل من معارضة بعض كبار تُجار البحرين تأسيس أوّل بلديّة فيها، الأمر الذي استوجب تغيير قانون الجمارك، وارتفاع الضرائب، وإلغاء الاستثناءات الممنوحة لهم(21)...

وكان دور تجار البحرين كبير في تنفيذ العديد من المشاريع الوطنيّة واستطاعوا أن يكونوا فاعلين أساسيين في إحياءها، كما لم يقتصر نشاطهم

على المشاركات العاديّة، بل امتّد ليشمل شؤونًا كانت وقتذاك جديدة وغير عاديّة على المجتمع البحريني...

وعندما ظهرت فكرة إنشاء مجلس المعارف عام 1919م، والتي كان للتجار نصيبًا في بلورته، فإنهم أدّوا دوراً أساسياً في إنشاءه وترجمته على أرض الواقع، وشاركوا في الصراع الدّائر بين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وبين السلطة البريطانيّة فيما يتعلق بتشكيل المجلس، كما وكان لهم حضورًا بارزًا في نشاطاته، خاصةً وأنّ هذا المجلس تكوّن من أهم الشخصيات المعارضة للنفوذ البريطاني، مِنْ أمثال: "عبد الوهاب الزّياني" و"قاسم الشيراوي" و"عبد الرّحمن الزّياني" و"شاهين الجلاهمة" و"محمد بن راشد بن هندي" و"عبد الله الدّوسري" و"محمد بن صباح البنعلي" [52]... وقد ترأس المجلس الشيخ "عبد الله بن عيسى" إبن الحاكم...
وإلى جانب ذلك فقد حوّلت النخبة الوطنيّة المثقفة، مجالسها الخاصّة، وبالذّات في جزيرة المحرق ثاني أهم جزر البلاد إلى مقراتٍ يجتمع فيها أعيان البلاد وعلماءِها، ونخب الشباب الذين درسوا أو سافروا إلى (الهند)، وتشرّبوا هناك روح المقاومة الوطنيّة ضد الاستعمار؛ وقد تصدّر مجلس الشيخ "إبراهيم بن محمد" والشيخ "عبدالله بن عيسى" هذه المجالس [53]...

وعلى الرّغم من ميل أغلب المجالس نحو العمل التثقيفي، إلاّ أنّ العمل السياسي أخذ مكانًا بارزًا في نشاطاتها، فانطلاق فكرة إنشاء مجلس بلدي، والسعي لإنشاء مجلس للمعارف عام 1917م، كان ثمرة من ثمرات أنشطة هذه المجالس؛ وقد كان كل ذلك وأكثر يحصل بتشجيع أو برضا ومعرفة كاملة من قبل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، ويُؤكد ذلك سفر إبنه الشيخ "عبدالله" إلى بريطانيا عام 1919م، وذلك لتقديم مذكرة احتجاج على تطبيق قانون المستعمرّات، فضلاً عن تحركات شخصيات وطنية، لتقديم الشكاوى والعرائض إلى المقيم البريطاني في (بوشهر)، بالإضافة إلى جمع التبرعات التي بلغت (50 ألف) روبيّة [54]، ومن هنا يتكشّف بوضوح أنّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة هو الزعيم الروحي والفعلي للحركة الوطنيّة الحديثة، والتي بدأت فعّالياتها تظهر على السطح...

2- توسع أنشطة الحركة الوطنيّة:

إنّ الأنشطة والممارسات المكثفة والمختلفة التي تولّت القيام بها الحركة الوطنيّة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وبتشجيع من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، أقنعت سلطة الحماية البريطانيّة في البلاد بوجودها، وتأكّدت بأنها بدأت تأخذ طابع التنظيم، وأنها تنتهج مسالك لا تتوافق مع مصالحها، خاصةً مع زيادة أنشطتها الثقافية والسياسيّة بمعرفة ودراية بل وتشجيع الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، الأمر الذي دفع المعتمد البريطاني إلى إدخال أسماء الناشطين في لائحة رُكنت بمكتبه، وضمّت أسماء سابقة وأسماء لاحقة مثل:
(حسين المناعي، وعلي الفاضل، والحاج أحمد بن خميس، والحاج عبد الرّحمن الوزان، وأحمد البوفلاسة، والحاج علي الصيرفي، ومعهم كل أعضاء نادي "إقبال أوال" المنحل، فضلاً عن جميع أعضاء النادي الأدبي بالمحرق ومن ضمنهم أيضًا أسماء لا يحملون جنسيّة البلاد ومنهم الأستاذ حافظ وهبة والشاعر خالد الفرج وعبد العزيز العتيقي، والأخيرين من الكويت ويعملون مدرسين في مدرسة الهداية الخليفية) [55]...

وقد ذكر (ديكسون) بأنّ المصادر التي تغذي عدم رضا العرب عن سياسة بريطانيا في البحرين هي [56]:
1) الدّعاية التي روّجها أنصار الخلافة الإسلاميّة في الهند(22)...
2) الصحف المصرية التي بدأت تصل إلى البلاد والتي تحتوي على مقالات معاديّة لبريطانيا...

وقد قسّم الباحث البحريني "مبارك الخاطر" الحركة الوطنيّة خلال تلك الفترة إلى أربعة قوى أساسية وهي:

1- قوّة مجلس التعليم الأهلي الوحيد في البلاد، وأعضاؤه يعبرون عن آراء الحزب الوطني المصري المناهض للإستعمار، ويقولون بما تقول به صحيفة (اللّواء) لمصطفى كامل، ورصيفتها (الأخبار) للرافعي، و(الشورى) لمحمد علي الطّاهر...
2- قوّة مجلس التجارة والغوص، والذي أرادت سلطة الحماية احتواءه بإحداث تشريعات جديدة للغوص والتجارة لتحد من نشاط أعضاءه في مجال التجارة والسياسة القبليّة أيضاً...

3- قوّة المثقفين، والمتمثلة في بقايا أعضاء نادي (إقبال أوال) التي انضمت إلى النادي الأدبي في المحرق، مكوّنة مع أعضاءه قوّة ثالثة، تميّزت عن غيرها، بأنّها الأداة الإعلاميّة المؤثرة للقوى الوطنيّة، فقد برز نشاط هذه القوى على الصعيد الدّاخلي بإقامة الحفلات والندوات لزوار البحرين من أقطاب حركة الإصلاح العربي، مثل الأستاذ "محمد الشنقيطي" والزّعيم "الثعالبي" و"أمين الرّيحاني" و"حافظ وهبة"، وأبرزتها أيضا على الصعيد الخارجي بنشر مساويء الاستعمار البريطاني في البحرين على صفحات جريدة الأخبار، والشورى القاهريتين...

4- قوة مؤسّسة القضاء الأهلي في الدّولة وعلى رأسها القاضي "قاسم بن مهزع" الذي كان مهوى أفئدة الناس في البلاد، ووالدهم الرّوحي...

السلطة البريطانية في مواجهة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة:

يعتقد بعض الباحثين أنّ ما حصل بين السلطة البريطانية وبين شيوخ آل خليفة من خلافات ومواجهات، هو التباس لدى هؤلاء الأخيرين في فهم المعاهدات والاتفاقيات، وبدورنا ارتأينا خلاف ذلك كما سيتبيّن، ومن جانب آخر، فإنّ المتغيرات الداخلية في البحرين، ووصول المجتمع البحريني إلى درجة لا بأس بها من الوعي الثّقافي والسّياسي، وتجاوز مرحلة القبلية، أدّى إلى بزوغ نخب وشخصيات وحركة وطنية احتضنها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وبأشكال مختلفة من التّفاعل والتصرفات، وباتت تشكل إرباكًا لمصالح السّلطة البريطانية، مما دفع هذه الأخيرة لممارسة سياسة استعمارية في حق الجميع، بل امتدت يدها لتطال الحاكم نفسه وتنزع سلطته من ملكه...
وبعد أن حقّقت السلطة البريطانيّة أهدافها المرسومة والرّاميّة إلى نزع سلطة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من حكمه للبحرين، اضطر إبنه ووليّ عهده الشيخ "حمد" ووريثه الشرعي والذي كان سنداً لوالده الحاكم في قضيته ومواقفه من السلطة البريطانيّة، وتحت وطأة الظّروف الحرجة التي تمر بها البلاد وعلى مضض أن يتحمل مسؤوليّة السلطة في البلاد، حفاظا على استقرار الدّولة، وحرصًا منه على استمرار النظام السياسي وإدامة حكم "آل خليفة" وذلك بمساعدة كبار الأسرة الحاكمة...

ومن الجانب الآخر، فقد واصل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة رفضه للإجراءات البريطانيّة الأخيرة التي جرّدته من السلطة، وكان يدعمه في هذا الأمر نُخبة من الوطنيين، فضلاً عن مساعديه السابقين، متخذًا الوسائل الدبلوماسية والسياسيّة لمواجهتهم، ويبدو أنّ عزاءه الكبير فيما حصل، هو انتقال السّلطة إلى وريثه الشرعي الذي ارتضى أن يكون ولي عهده ونائبه في حياته...

ولأن هذا الوضع الجديد، قد تكرّس فعلاً على هذه الشاكلة، كان لزامًا علينا أن نبحث في مشروعية الوضع الجديد من نواحيه السياسيّة والقانونيّة...

السلطة البريطانية وإجراءاتها التعسفية:

1- بريطانيا وتجاوز مفاهيم ومعاني المعاهدات والإتفاقيات:

يرى بعض الباحثين أنّ هناك التباسًا لدى شيوخ البحرين في فهم الاتفاقيات والمعاهدات المعقودة مع بريطانيا، الأمر الذي أدّى إلى حدوث صراع حول حدود الصّلاحيات [57]، ولكننا نرى خلاف رأيهم... فشيوخ البحرين كانوا يدركون تمامًا ما كانت تعنيه الاتفاقيات والمعاهدات دون أي التباس أو غموض في فهمهم لها، فالشيخ عيسى بن علي آل خليفة مثلاً، كان يعلم أنّ الإتفاقيات والمعاهدات التي أبرمها معهم، تمنعه من ممارسة العديد، إن لم يكن بعد ذلك جميع الشؤون الخارجيّة لدولته، وتحرمه من التعامل مع أي دولة غير بريطانيا إلاّ بإذن منها، كبيع أو تأجير أو إشغال اي جزء من أراضي دولته لأي دولة أخرى دون موافقتها، أو أن يستورد ويصدر الأسلحة، ولكنه في ذات الوقت يُدرك بأنّ محتويات هذه المعاهدات والإتفاقيات لا تمنعه من ممارسة كافة الحقوق المتصلة بالشأن الدّاخلي، أو تحرمه من تدبير شؤون بلاده وتسيير أمور شعبه، فلو ورد في الإتفاقيات والمعاهدات غير ذلك، لما أبرمها أصلاً لا مع بريطانيا ولا مع غيرها، وهو الأمر الذي فعله شيوخ الدّولة السّابقين...

ومما يؤكّد ما ذهبنا إليه، هو خلو الإتفاقيات أو المعاهدات من أي نص أو بند يتعرّض لموضوع الشؤون الداخلية، أو لموضوع كيفيّة تدبير وتسيير شؤون الدّولة، كما ويُعزّز هذه الرؤية أيضًا، مسألة الفهم البريطاني ذاته للإتفاقيات والمعاهدات، فقد وضّحت بريطانيا أكثر من مرّة وعبر مراحل زمنية مختلفة،

أنّ الرّوابط القانونية التي تربطها بإمارات المنطقة، وعلى الأخص دولة البحرين، هي ما ورد في الإتفاقيات والمعاهدات من إلتزامات وحقوق محدودة، ولا تتجاوز شؤون أخرى، وهو الأمر الذي أكّدته مراسلات المسؤولين البريطانيين، والتي بيّنت عدم رغبة بريطانيا في التدخل في الشؤون الدّاخلية للخليج العربي، أكثر مما تقتضيه بنود الاتفاقيات من أجل حفظ السّلام في مياه الخليج العربي [58]، وقد صرّحت بريطانيا بذلك بشكل خاص في علاقتها بالبحرين، وذلك من خلال ما كتبه المقيم السّياسي في الخليج إلى سكرتير حكومة (بومباي) حيث ذكر ما يلي:

"أنه على الضباط الذين يتحملون مسؤولية الحفاظ على المصالح البريطانية في البحرين أن يحترموا مكانة شيخ البحرين كحاكم مستقل، ذي سيادة، وذلك بدقة تامة، وعليهم أن يعلموا بأنّ أي انحراف في هذا الموقف بمثابة خرق لأوامر الحكومة البريطانية" [59]...

وقد سبق لحكومة بريطانيا أن أنهت خدمات المقيم السّياسي (بيلي) التابع لها في الخليج العربي، وذلك بعدما توجّه إلى جزر البحرين، بقوّة حربيّة ليعتقل شيوخ البحرين عام 1869م وينفيهم خارج البلاد دون الرّجوع إليها، وبعد أن كرّر نفس الأسلوب غير الودّي لمعالجة المشاكل التي سبّبت معركة (دامسة) في شبه جزيرة (قطر) عام 1887م، حيث اعتبرت كل ذلك تدخلاً في شؤون الدّولة الدّاخلية [60]...

وعلى ذلك، يتأكّد لنا، أن لا غموض والتباس في فهم وتفسير الرّوابط القانونية مع بريطانيا لدي شيوخ البحرين، خاصةً لدى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة المتمسّك بمفاهيمها ومعانيها...

أما الخلافات والمواجهات التي حصلت بين الطرفين، فقد كانت نتيجة للخروج البريطاني المتعمّد على الإتفاقيات والمعاهدات والروابط القانونية، إذ لا يوجد من يحاسب بريطانيا آنذاك، طالما كانت هي المتهم وهي الشاهد وهي القاضي وهي الحكم في وقت واحد؛ وهي عندما ارتأت أن تجعل من جزر البحرين، مركزًا لسلطتها في الخليج العربي، ونقطة تجاريّة مهمة لمصالحها التجاريّة، أكثرت تدخلاتها في أمور تعتبر أكثر من داخلية، حيث دفعتها قوّتها العسكريّة

ونفوذها في المنطقة، إلى أن تمارس أي عمل أو تصرف يتوافق مع أهدافها ومصالحها...

2- تطبيق سياسة إستعمارية في حق القوى الوطنية:

بعد أن شعرت بريطانيا بأنَ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وصل إلى مرحلة يُمكن أن يُقال فيها بأنّه أصبح شخصاً لا يُلبي أوامرها ولا يطيع رغباتها بالطريقة التي تُريدها، ويتصرف في ذات الوقت دون اكتراث لقوّتها ومكانتها، كما ويسمح لأبنائه ومن معهم بانتقاد سياستها، ولا يبدي أي اعتراض على تحركاتهم، أو على الأقل يُبدى امتعاضه من تصرفاتهم، فقد ارتأت بريطانيا أن تتصدّى أولاً للحركة الوطنية وشخصياتها قبل أن تستخدم سياسة المواجهة المباشرة معه، ولذلك عملت على توفير غطاء قانوني لها، مُستندةً على مشروعية تُكسبها حصانة ووقاية من ردّات الفعل التي قد تظهر هنا أو هناك، فأقدمت على صياغة نصّ إجرائي تستطيع به مُحاسبة كل من يُخالفه أو يُبدي إعتراضاً عليه، حيث اعتبرت بريطانيا: "أنّ كل من يتصدّى لإنتقاد السياسة البريطانيّة داخل البلاد، أو برفض هذا التدخل كليّة يُعد متدخلاً في شؤون بريطانيا الدّاخليّة"...

وانطلاقًا من ذلك دخلت بريطانيا في صراع مع القوى الوطنيّة في البلاد، واعتمدت على قوّتها العسكريّة في المنطقة، فتمكّنت من نفي بعض تلك الشخصيات ومنهم "قاسم الشيراوي" و"حافظ وهبة"(23)، ثمّ نفت بعد ذلك أحد زعماءها البارزين وهو الشيخ "عبد الوهاب الزّياني"...

وعلى نفس السياق ومن ضمن الإجراءات التي قامت بها السلطات البريطانيّة أيضًا في حق الوطنيين، هي حلّ النادي الأدبي وحلقة المثقفين، وذلك بقصد تقويض الدّعامة السياسيّة المحليّة الرّافضة لما تُسميه بريطانيا بالإصلاحات التي أصبحت الموضوع السياسي الرّئيس في البلاد...

ومن جراء ذلك الصراع انقسم مجتمع البحرين، وتجاذبته تيارات الرّفض والتأييد لسياسة السّلطة البريطانيّة، فاتخذت الطّائفة الشّيعية الموقف المؤيد لسياستها، خاصةً وأنّ المعتمد السياسي الجديد حينذاك "ديلي" تمكّن من كسب

ثقة هذه الطّائفة، بعد أن نجح في إبقاء الحاكم وحيدًا عندما عمل على إقصاء مؤيديه، وفي ذلك يقول المؤرخ البحريني محمد التاجر:

"قام ديلي بتحريض الشيعة للقيام بإضراب وفي هذا الصدد، أوعز إلى الشعب الجعفري بمقاطعة الحكومة، فنفذوا الأمر، واستاءت الحكومة المحليّة من ذلك الأمر، وعلمت مصدر الحركة، فاتصلت بالأهالي للتفاهم معهم، فانتدبوا مجموعة من أعيانهم، واقترح الأهالي بعد ذلك مطالب تنحصر في 13 مادة، صادقت عليها الحكومة، فهدأت الأحوال نوعًا ما، فاختط الميجر "ديلي" خطة للتفريق عملاً بسياسة فرّق تسد، وجعل من سماسرة السياسة لإغراء الحزبين على بعضهما بعضاً، وكلّما أضطهد أحد استغاث بالميجر "ديلي" فيجيبه ألستم رجالاً وهم رجال، قابلوهم بالمثل، وإذا لم تجدوا سلاحًا، فنحن نعطيكم السلاح لتثأروا منهم" [61]...

وهكذا استغلت السلطة البريطانيّة الأوضاع لمصلحتها للتفريق بين طوائف وفئات المجتمع (24)، ووجدت ضالتها في بعض أفراد الطّائفة الشّيعية وأسست منهم حزبًا يؤيّدها [62] في صراعها مع الحاكم...

ويمكن إجمال القول، بأنّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بمواقفه السياسية وآراءه المستقلة واحتضانه للحركة الوطنيّة(25)، أصبح بنفسه والشخصيات الوطنية هدفاً للسلطة البريطانية التي أقدمت بالفعل في الوقت المناسب لسياستها، على اجتثاث كل ما يُعتبر عامل سياسي وطني، يُمكن أن ينمو ويتطور ويُشكل واجهة سياسيّة تحد من انطلاقها، ويُعرقل تنفيذ أهدافها في البحرين والمنطقة...
فهل اكتفت السّلطة البريطانية بما قامت به من أجل تفريد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة واحتواءه وتشويه صورته بأنه استنفذ عطاءه وقدرته على حكم البحرين؟...

3- السلطة البريطانية تنزع سلطة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة:

بدا أنّ قوّة السّاسة البريطانيين في البلاد تتزايد، في الوقت الذي يضعف خصومها في هذا الصّراع الدّاخلي، فقد ركّزت السّلطة البريطانية اهتماماتها على مسألة توظيف سلبيات المجتمع البحريني، بحيث أصبحت التجاوزات

الدّاخلية الناتجة عن الأعراف الاجتماعيّة والاقتصادية المتولّدة من بيئة المجتمع ومناخ المنطقة مَنفذًا لسياستها، وإستخدمت الخروقات التي يرتكبها بين حين وآخر بعض أفراد وفئات إجتماعية وإقتصادية نافذة في الدّولة، كحجّة لتدخلاتها...

وقد إستمر الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في ذلك الوقت على نهجه السّابق، يمارس الدّور الأصعب في هذه المعادلة من أجل التوفيق بين المتناقضات الاجتماعيّة والمصالح الاقتصادية المتعارضة، وتجنب حدوث تصادم واحتكاك قد يؤدي إلى زعزعة الأمن والاستقرار، ويبدو أنّ سياسته التي امتدت حتى نهاية الحرب العالميّة الأولى قد لاقت نجاحًا واضحًا طيلة تلك الفترة، ولكنها أصيبت بانتكاسات خطيرة بعد أن قرّرت السّلطة البريطانية دخول المرحلة النهائيّة من سياسة مدّ يدها في الشأن الدّاخلي للبحرين، ومن أهم تلك الانتكاسات ما حدث عام 1923م، فقد كانت السلطة البريطانية في البلاد في حاجة شديدة لمثل هذا الحادث، كي تتمكّن من اتخاذ أخطر قراراتها السّياسية في تلك الفترة، ولتقرّر بعدها نزع السلطة من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة...

فقد وقع شجار بين (النجادة السّعوديين) و (الإيرانيين) في سوق المنامة(26) وأدّى هذا الشجار إلى بعض الخسائر البشريّة بين الجانبين، وكما هو معتاد، وقف المعتمد السّياسي إلى جانب الطّرف الأجنبي ضد الطّرف العربي، وألقى باللآئمة على وكيل "آل سعود" في البحرين [63]، وأخذت الأحداث بعد ذلك طابعًا مذهبيًا [64] عندما تكرّر الشجار، وذلك بعد مرور عشرون يومًا على الحادث الأوّل، حيث بلغت وفياته 7 إلى 8 أشخاص، وعدد كبير من الجرحى، وتحرّكت على أثره جهات داخلية وخارجيّة لها علاقة بطرفي النزاع ووجدت السّلطة البريطانية ضالتها في هذه الأزمة التي شارك وتضرّر فيها عدة أطراف، وحانت لديها فرصة سانحة يتم من خلالها إبلاغ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة قرار عزل سلطته في الحكم(27)، وعندما أبلغ بالقرار، رفض أن يتنازل عن سلطته وقال: "تستطيعون قتلي وتقطيعي ولكنني لن أتنازل ولن أتقاعد أبدًا" [65]...

فوُجّه إليه إنذارًا من نائب الملك، فردّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بكتاب أبلغ فيه المقيم السّياسي بما يلي:

"أرجو التأكيد كتابيًا على ما أخبرتك به مشافهة، بأن طلبك تنازلي عن الحكم مرفوض من قبلي ومخالف لإتفاقياتي مع الحكومة البريطانية، لقد إختارني الناس حاكمًا في البحرين بعد مقتل والدي، وعليك أن تشاورهم، وليس لأحد غيرهم حق في هذا الأمر" [66]...
ولكنّ المقيم السّياسي في الخليج العربي أصرّ على تنفيذ القرار وذكر التالي:

"أنّ الحكومة البريطانية أخذت قرارها من منطلق مصلحة الناس في عزلك، لكبر سنك وعدم قدرتك على الإدارة الحكوميّة وأخبرك أن لاحق لك بالتدخل في أمور حكومة البحرين والتي تحوّلت إلى أبنك حمد" [67]...

فكرّر الشيخ عيسى بن علي آل خليفة رفضه التنازل عن الحكم وقال:

"إني أعلم بأنّ مصيري في يد الحكومة البريطانية وأنها تستطيع قطع رقبتي ولكنّي لن أتنازل"...

فقرّرت السّلطة البريطانيّة أن تعقد مجلساً لعزل سلطة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وفي تاريخ 26 مايو عام 1923م إنعقد المجلس، وتمّ إقصاء سلطته، وبات حاكماً من دون سلطة، وانتهت بذلك مرحلة هامّة من مراحل تطوّر النظام السّياسي في البحرين...

المشروعيّة السّياسيّة والقانونية للأوضاع الجديدة في البحرين:

1- المشروعيّة السّياسيّة للحكم الجديد:

الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة مسؤولاً أول في الحكومة:

إن ما حصل من صراع سياسي متصاعد حول من يقود السّلطة في البحرين بين الحاكم وإبناءه والوطنيين من جهة، وبين بريطانيا من جهة أخرى، وانتهى بانتصار الطّرف الأقوى عسكريًا وسياسيًا ودوليًا، جعل الصّف الثاني في الحكم، يُدرك ما آلت إليه الأوضاع الدّاخليّة، ويشعر بتداعياتها على نظام الحكم واستمراريته وحريّة واستقلال البلاد، لذلك فقد أضطرّ إلى أن يستسلم لمجريات الواقع، فأوقف نشاطاته التي ترمي إلى مواجهة الخصم وتحديه،

تحسباً وحرصاً منه على أن لا يفقد ما تبقى من قدراته ويخسر المكتسبات التي تحقّقت في عهد حاكمه الوطني...

وبعد إقصاء الشيخ عيسى بن علي آل خليفة عن السّلطة، فإنّ من كان يمثل المقابل في وجه السّلطة البريطانيّة ويتحمل مسؤوليّة المحافظة على دولة "آل خليفة" هو الشيخ "حمد" ولي العهد(28)، وذلك بمعية أخويه الشيخ "محمد"، والشيخ "عبدالله" وبمساندة العائلة الحاكمة، وبدعم من أعيان الدّول ووجهاءها، إلى جانب شيوخ القبائل، وأغلب من كان يعتمد عليهم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إبان حكمه...

ومن منطلق الخوف من تصاعد الأوضاع المترديّة، ارتأى الطّرف الحاكم، أنّه من الضّروري أن يسود النظام السّياسي في البلاد، وأن يدام حكم "آل خليفة" في الدّولة الصّغيرة، التي كانت تتوق وقتذاك إلى الإستقرار، وهو الوضع الذي لن يتأتّى إلاّ بتقديم تنازلات كبيرة، وتضحيات ثمينة، لذلك اضطرّ هذا الطّرف إلى قبول كل ما أسفر عنه الصراع الأخير، وما فرضه واقعه، وأن يرضخ لمتطلباته، كما أدرك أنّ من الحكمة، بل من الواجب عليه أن يبادر على الفور انتهاج سياسة جديدة قوامها بُعد النظر، وتجنّب ردود الأفعال الغير مدروسة، وتوقع نتائج التّصرفات العاطفيّة الفوريّة، وأن يسير في نفس اتجاه التيار السّياسي الذي فرضته بريطانيا القوية، حتى تمر الأزمة، وتتضح الرّؤية للتّفاعل من جديد مع المستجدات المستقبليّة...

وهذا ما حصل بالفعل، فقبل إنعقاد مجلس عزل سلطة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، الذي قرّرته السّلطة البريطانيّة، حصلت مداولات عديدة بين المقيم السّياسي، وبين أهم شخصيتين في العائلة الحاكمة، وهما الشيخ "حمد" ولي العهد، الحاكم الشرعي بعد والده، والذي قال عنه والده أنه تلقى تهديدًا من قبلهم لكي يكون بديلاً عنه، وشقيقه الشيخ "عبدالله" خصمها القوي، وذلك من أجل التنسيق والعمل على نقل السّلطة بصورة سلسة وهادئة [68]، وبعد أن جاهدا ولم يُوفقا في إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه في السّابق، الأمر الذي جعل الشّقيقين يُحاولان إقناع والدهما الحاكم بقبول الوضع الجديد[69]...
ثمّ انعقد مجلس العزل، وفيه تصدّر كبار شيوخ العائلة الحاكمة الحضور الذي احتشد في هذه المناسبة، خاصةً شقيقي الشيخ "حمد"، الشيخ "محمد" والشيخ "عبدالله"...

كما حضر مجلس العزل الوجهاء وممثلو القبائل والطّوائف، الذين تلقوا توضيحات كلٌ على حدة، من المقيم السّياسي، والذي أبلغهم بالقصد من تلك التغييرات، وأهميّة إصدار القرار من جهة واحدة، بدلاً من أن يكون مصدره متعدد الجهات، كما هو جارٍ في الفترة الأخيرة من حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة[70]، وقد ألقى الشيخ "محمد" خطابًا بهذه المناسبة نيابة عن شقيقه الأكبر [71]...

وفي الجانب الآخر، إستمر الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في رفض الإجراءات البريطانية التي أتخذت في حقه، مستخدمًا في ذلك الوسائل السّلميّة، وسالكًا الطّرق الدبلوماسية، يُطالب من خلالها عبر شكاويه ومكاتباته التي يرفعها إلى كبار المسؤولين في الحكومة البريطانيّة، بإعادته إلى سلطانه وسلطته(29)...

كما ونشط كذلك بعض مؤيدي الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وبعض الوطنيين، وأظهروا إعتراضاتهم على القرارات التي نفّذها المسؤولين البريطانيين، متّخذين ذات الوسائل السّلميّة التي انتهجها شيخهم الحاكم المنزوع السّلطة، وقد حاولوا إيصالها إلى الجهات المعنيّة بهذا الأمر، سواء القريبة منهم أو البعيدة، كما وعرضوا الموضوع على أيّة جهة، قد تؤثر في إلغاء أو تعديل تلك الإجراءات [72]، وهم متمسكين بشدّة في ذات الوقت باستمرار النّظام السّياسي العام، وحريصين كذلك على أن لا يخرجوا عن طاعة شيخهم الجديد صاحب السّلطة، الذي يُمثل الحلقة الجديدة، في سلسلة شيوخ "آل خليفة"، علماً بأنّ الشيخ "حمد" لم يمنع تحركاتهم، أو يبدِ أي اعتراض على نشاطهم بالرغم من أنّه قدَ استلم السّلطة آنذاك...

ولعل في موقف الشيخ القاضي "قاسم بن مهزع" الذي ناصب السّلطة البريطانيّة العداء طيلة مدة خدمته في القضاء، ما يعبّر عن حال الجبهة المعارضة، فقد بعث رسالة إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بعد أن تمّ عزله من السّلطة جاء فيها:

"وأمّا أنا قاضيك، فقد ملأت قلبي حسرة، كلما أتذكرها يتجدّد عليّ قولك لرئيس الخليج : أكتب لي خط رسمي على عزلي...
فأوّاه، هلاّ قلت أنني ملك مملكة، آبائي التي ملكوها بسيوفهم ودمائهم...

ثم الآن أنصحك أيضا بالمداراة واجتماع الكلمة مع ولدك الذي استخلفته بنفسك، ولا تتحامق ولا تعتب، ولا تظهر ما في حوجاك من غضب" [73]...

مراكز المشروعية السياسية للحكم الجديد:

من المعلوم والمسلّم به، أنّ الشيخ "حمد" قبل أن يتولّى فعليًا تسيير أمور السّلطة، كان يتبوأ ولاية العهد، وفي حقيقة الأمر فإن الشيخ "حمد" يُعتبر الشخص الوحيد، صاحب الحق الرّسمي في تولّي السّلطة والحكم من بعد والده مباشرة، وهو مالك لشرعيّتها السياسية والقانونية ابتداءً من مطلع القرن العشرين، وقد استمر وضعه الشرعي هذا حتى وقعت الأحداث الأخيرة، والتي على أثرها اتخذت السّلطة البريطانيّة إجراءاتها ضد المسؤول الأوّل في الدّولة ألا وهو الشيخ الحاكم وصاحب السّلطة...

هذا وقد ساند الشيخ "حمد" والده الحاكم في قضيّته السّياسيَة، وفي أموره الماليّة حتى نهاية المطاف، كما ورفض بشدّة أن يتولّى الإمارة في ظل حياة أبيه، وأبى إلاّ أن يكون كما هو كائن بالفعل، وقد إعترض ثمّ واجه المسؤولين البريطانيين مَن أجل أن يُعيد الأمور لنصابها، وبعد أن وجد أن لا حل لتلك الأزمة، كان لزامًا عليه أن يقبل الوضع الجديد، وإلاّ ساء الأمر وتردّى الوضع وجرّ من بعده أوضاعًا أخرى مختلفة، على نحو غير محمود، وقد أكّد الشيخ "حمد" ذلك في خطابه للمواطنين والذي ألقاه بعد الانتهاء من مراسم مجلس عزل سلطة الحاكم فقال:

"إنني أوّل المساعدين لوالدي في قضيته، وإني قابلت كبار موظفي الخليج العربي من السّلطة البريطانيّة مرارًا لتسوية شؤونه الماليّة، وإني أكبر أبناءه سناً، فأنا ولي عهده، وقضيت حياتي في ظله متمتعا بأفضاله وكرمه، فلما كان ما كان في السّنوات الأخيرة، ووقعت تلك الأمور التي دعت بريطانيا إلى التدخل لصيانة الأمن وحفظ النظام في البلاد، جاءني المقيم السّياسي "نوكس" وطلب إليّ أن أتولّى الإمارة فرفضت طلبه(30)، إذ خشيت إغضاب والدي، الذي يحيط به فئة من السّياسيين، وقد اجتهدت في التوفيق بين مصالح الدّولة البريطانيّة، ومصالح أبي، ولكنني لم أفلح، لأسباب لا محل لذكرها الآن، ولمّا لم يعد في استطاعة والدي المثابرة على القيام بالإمارة

بسبب شيخوخته، رضيت أن أكون وكيلاً عنه، وقد فعلت ذلك مضطراً لا مختاراً" [74]...

ويبدو جلياً من خطاب الشيخ "حمد" أنّ الظروف إضطرته لأن يكون في هذا الموقف الحرج، فهو مع والده الحاكم قلبًا وقالبًا، وفي ذات الوقت، مع الحكمة وممارسة سياسة فطنة وحكيمة، تُكرّس لنظام الحكم في البحرين وتُحافظ على المكتسبات التي تحقّقت أثناء حكم والده؛ وفي حديثه أيضًا، لم يُخف الشيخ "حمد" عن مواطنيه الحرج الكبير الذي هو فيه، فقد كشف لهم عن مواقفه فيما حصل، كما حَرص في نفس اللحظة، على أن لا يُثير السلطة البريطانية صاحبة القوّة والنفوذ آنذاك ويُبدي بعض المجاملة لها، فمارس نائب الحاكم الجديد وولي العهد في بداية تحمله المسؤولية، السّياسة الخَلاّقة، مع سياسة التوازن والوسطيّة، لتحقيق المصالح العامة ولما فيه خير البلاد ومنفعتها...

أما فيما يتعلق بالسّياسة البريطانية، فعلى الرغم من ممارسات السّلطة البريطانية الأخيرة المتمثلة بزج نفسها في تفاصيل شؤون البلاد السّياسيّة الدّاخلية، والتي تُشكل وضعيّة غير مشروعة، ولا تتوافق والمفاهيم القانونيّة للإتفاقيات والمعاهدات مع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، فإنّها قد فعلت ذلك آخذةً في عين اعتبارها حينما أحدثت تغييرات في مؤسّسة الحُكم، أن لا تتجاوز النطاق القانوني والسّياسي العام لنظام السّلطة والحكم في البحرين، وأن لا تخرج عن الأعراف المتّبعة في تولّي الحُكم لدى "آل خليفة"، لذلك تولّى الشيخ حمد بن عيسى السلطة في البلاد بعد والده حسب نظام الحكم...

2- المشروعيّة القانونيّة لسلطة الشيخ حمد:

أولاً : الشيخ عيسى بن علي آل خليفة يسود ولا يحكم:

عندما أقدمت السّلطة البريطانية على نزع سُلطة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من حُكمه في بلاده، فإنّها بفعلها هذا قد جرّدته من سُلطته التنفيذية ومن مسؤولية تسيير دولته، ولكنّها لم تُجرده من المُلك والحُكم، فتصرفات السّلطة البريطانية الاستعمارية حينذاك كانت حذرة وتخشى ردود أفعال المحيط القريب من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وخاصة الصّف الثاني في نظام الحُكم والمرتبطين به، فضلاً عن الفضاء البعيد منه، الذي تعيش فيه

الجَيرة القريبة المشابهة في نظامها، للنِّظام السّياسي المعمول به في البحرين...

فالحُكم وما يعنيه من سيادة وسُلطة، يختلف عن الحُكم الذي يعني السّيادة المُتفردة والحاكميّة الرمزية، فتدبير شؤون الدّولة وتسيير أمورها يُعتبر سُلطة، وقدْ تجتمع مع السيادة، فيسود فيها الحاكم ويتسلط ويحكم، وقد تنفصل عنها، فيسود فيها ولا يحكم، وهذا الأمر يُعد شكلاً من أشكال النّظم السّياسيّة في عالم اليوم، وعلى رأسها النظام السّياسي في بريطانيا نفسها، وحيث كان ذلك فإنّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بعد نزع سلطته يَسُود، ولكنه لا يملك سُلطة التسيير والتدبير بعد الإجراءات الجديدة، ومما يؤكّد حقيقة هذه الوضعية، وبأنّه كان حاكمًا ما يلي:

1= عندما طُرحتْ مسألة تنازل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة عن سلطته، أبلغته السلطة البريطانية خلال لقاءها به: "نحن في الحقيقة نطلب من الشيخ حمد أن يكون وكيلك الذي سيرجع إلى مشورتك" [75]...

2= إنّ السّلطة البريطانيّة ذاتها قد صرّحت أكثر من مرّة، وذهبت إلى أنّ الشيخ "حمد" ليس إلاّ وكيلاً ونائبًا عن والده الحاكم، ومن ذلك ما أشار إليه المقيم السّياسي في تقرير تضمّن خطاب الشيخ "حمد" خلال انعقاد مجلس عزل سلطته حيث قال: "بأنّ الشيخ "حمد" ذكر بأنّه الآن نائبًا عن والده، ويمتلك الصّلاحيات والسّلطة" [76]...

3= خطاب الشيخ "حمد" لمواطنيه خلال مجلس العزل، حيث قال:

"رضيتُ أن أكون وكيلاً عنه... وقد فعلت ذلك مضطرًا لا مختارًا"...

4= ونعتقد أنّ الاحتفال الرّسمي والشعبي الكبير بمناسبة استلام الشيخ "حمد" الحُكم، والذي أقامه المسؤولون البريطانيون، بمشاركة حكومة الدّولة عام 1933م [77]، وذلك بعد وفاة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة رحمه الله بشهرين تقريبًا، يعتبر خير دليل يؤكّد صحة ما ذهبنا إليه لبيان حقيقة الوضع من نواحيه السّياسيّة والقانونيّة...

وهكذا يتبين بأنّ توفُّر ركائز المرجعيّة القانونيّة والسّياسيّة لحكم الشيخ "حمد"، هي التي جعلته يتحمل مسؤوليّة استلام السّلطة نيابة عن والده، بعد أن وجد أن لا مفر إلاّ بقبول الأمر الواقع...

ثانيًا : موقف الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من السّلطة الجديدة:

كما علمنا فإنّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، لم يُقصَ من حُكمه ومُلكه، وإنّما أبعدت السّلطة البريطانية سُلطته، وهو لم يتنازل عنها طوعًا، فاستمر يُطالب بها حتى بعد أن تولّى إبنه وولي عهده تسيير شؤون الدّولة، فهو كما قال: "أنه يعلم بأنّ مصيره في يد الحكومة البريطانيّة، وأنّها تستطيع قطع رقبته، ولكنه لن يتنازل"...

فالشيخ عيسى بن علي آل خليفة استمر في المطالبة بعودته إلى ما كان عليه في السّابق، ونرى أنّ موقف الشيخ عيسى الرّافض للإجراءات التي اتخذتها بريطانيا في حقه، وتمسكه بهذا الموقف في جميع المناسبات الرّسميّة، كان من أجل ردّ سلطته التسييرية والتدبيرية، دون التّعرض لمسألة مُلكه وحُكمه الذي لم يُمس بل أصبح رمزيًا، فقد ظلّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكمًا للبلاد، وتؤكّد المناسبات التي مرّت خلال تلك الفترة هذا الوضع، فمثلاً حين تمّ تعيين "بريدوكس" مقيمًا سياسيًا جديدًا في (بوشهر) محل "تريفور"، أرسل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة برقية تهنئة له بوصفه حاكمًا للبحرين [78]، وكان يتعامل بروتوكوليًا مع الغير على أنّه الحاكم من دون اعتراض البريطانيين أو الشيخ "حمد" متولّي السّلطة في البلاد، وهذا بدوره يؤكّد على أنّ الشيخ عيسى كان الحاكم الرمزي، وأنّ الشّيخ "حمد" نائبه ووكيله وصاحب السُلطة الأول في البحرين، أمّا ما يتعلق بتقديم الشيخ عيسى شكاوى ومطالبات ترمي إلى إعادة مكانته السّابقة، فحقيقة أمرها تهدف إلى ردّ سُلطانه واختصاصاته ومسؤولياته، ليمارس ويباشر بنفسه مهام الحكم، ومهام السّلطة التي افتقدها دون التّعرض لإبنه وليّ عهده الشّيخ "حمد"...

ثالثًا : موقف الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من الشيخ "حمد":

عندما سعى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة لدى السّلطات البريطانيّة مطلع القرن العشرين، من أجل الموافقة على تعيين إبنه ووريثه الشيخ "حمد" وليًا

للعهد، ليكون خليفته من بعده، فإنه في نفس الوقت أراد أن يكون نائبًا عنه في إنجاز المهام والقيام بمسؤوليّة الدّولة، علمًا بأنّ مؤسّسة ولاية العهد، تعني أحقية ولي العهد وأولويته في تولّي مقاليد الحكم في حال غياب الحاكم أو تعذر قيامه بمهام الحكم...

وعليه فإنّ رغبة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حينذاك لم تقتصر فقط في اطمئنانه على استقرار النظام السّياسي في حياته وبعد وفاته، وفي استمرار إدامة حكم "آل خليفة" في الدّولة، بل تجاوزت تلك المسائل إلى مسألة أخرى أرادها أن تكون، وهي قبول المسؤولين البريطانيين وغيرهم الأعمال التي سيقوم بها الشيخ"حمد" نيابة عنه، وعدم اعتراضهم عليها...

فمسألة إنابة الشيخ "حمد" بشكلها العام لم تكن مسألة جديدة، أو من فعل السّلطات البريطانيّة، ذلك أنّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة قد أبدى رغبة شديدة في تعيين إبنه الشيخ "حمد" كولي للعهد وكنائب عنه أيضاً، وذلك بعدما رأى فيه القدرة والاستطاعة في إدارة الحكم، فأظهر إلحاحًا وإصراراً للحصول على موافقة كل الأطراف المعنيّة بالأمر، وقدّ صرّح دون لبس أو غموض بذلك في الرّسالة الموجّهة إلى السلطات البريطانيّة وعبّر عنها بما يلي:

"... بأنّ محبكم محتاج إلى مُعاون ومُساعد لي في الأمور التي تنوب الحكومة... ولما كان إبني الشيخ حمد، به الكفاية والسّداد..."(31)...

ويبدو مما ورد في الرّسالة، أنّه توكيل عام وإنابة عنه، تخصّ كل ما يتعلق بشؤون الحكومة السّياسيّة والإداريّة حيث قال: "معاون ومساعد لي في الأمور التي تنوب الحكومة"...

وعلى ذلك فإن الشيخ "حمد" قد حصل على إنابة من والده الحاكم ليمثل حكومة البحرين قبل الأحداث الأخيرة بثلاثة وعشرون عامًا، وقد استمرّ هذا الوضع حتى بعد التطوّرات الأخيرة التي حرمته من السّلطة، وفي اعتقادنا أنّ ما يُعزز رؤيتنا هذه، هي مواقف الشيخ عيسى بن علي آل خليفة التالية:

1- عدم قيامه بأي إجراء قانوني أو إداري عادي أو رسمي في حق مؤسّسة ولاية العهد، أو في مسألة الإنابة القانونيّة، على الرّغم من نزع سُلطته...

2- عدم تعرضه لذات الشّيخ "حمد" أو لوضعه الجديد الذي جعله مسؤولاً حكوميًا أوّل في الدّولة، لا من قريب ولا من بعيد...

3- توجيه كل ردود أفعاله نحو المسؤولين البريطانيين، الذين اتخذوا الإجراءات الأخيرة في حقه...

وانطلاقًا من هذه المواقف والحقائق تتأكّد موافقة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة على الشّق الذي يتعلق بمواصلة إبنه الشيخ"حمد" نيابته عنه في تسيير وتدبير شؤون الدولة، وفي ذات الوقت يستمر هو من خلال الشق الآخر بمطالباته السُلطة البريطانية التي ترمي إعادة سلطته إليه، فكل اهتماماته كانت مُوجَهةً بالكامل نحو السّلطة البريطانيّة، ويبدو أنّ نصائح قاضيه المخلص "قاسم بن مهزع" قد توافقت مع سياسته ومفاهيمه نحو إبنه وولي عهده عندما قال له:

"... ثم الآن أنصحك أيضا بالمداراة واجتماع الكلمة مع ولدك الذي استخلفته بنفسك، ... ولا تعتب، ولا تظهر ما في حوجاك من غضب..."...

ويظهر من ذلك بوضوح أنّ انتقال السّلطة إلى إبنه الشيخ "حمد"، قد هوّن على الشيخ عيسى ما حصل بسبب السّياسة البريطانية الأخيرة تجاهه، وخفّف من وقع تداعياتها السّلبيّة عليه، وبعد مرور فترة من الزمن على الأوضاع الجديدة، تأكّد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، بأنّ نظام الحُكم مستمر على الوجه الذي رسمه عندما كان هو صاحب السّلطة، الأمر الذي جعله يطمئن ويبتعد شيئًا فشيئًا عن الحياة السياسيّة بالرّغم من أنه كان الحاكم الرمزي للبحرين حتى وفاته رحمه الله وهو يُصلّي صلاة الفجر وذلك عام 1932م، ومن ثَمّ تولّى من بعده إبنه الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة الحُكم والمُلك في البلاد عام 1933م، وذلك ترافقًا مع السّلطة التي كانت في يده منذ العام 1923م، وبهذه المناسبة فقد أقيمت الاحتفالات في البلاد بعد مرور شهرين على وفاة الشيخ عيسى...

"فرحم الله صاحب العظمة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، الشيخ المحب لبلده وشعبه، السّياسي الوطني المناضل، الحاكم المخلص لعروبته وإسلامه، وطيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته"...

التوصيات:

إن الحقائق الموثّقة التي وردت في بحثنا المخصّص عن علاقات الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بالسّلطة البريطانية، والأطروحات التي تخلّلت أسطر مواضيعه، لا تُمثل إلاّ جزءًا يسيرًا من عظمة هذه الشخصية المُميّزة، وقد حاولنا من خلال هذا البحث المتواضع، إبراز ما كان غامضًا أو ما كان مُهملاً أو ما كان مُلتبسًا أو ما كان مغيّبًا في أحد الجوانب السياسيّة المهمة في حياة هذا الشيخ الوطني الأبيّ الحازم في تعاملاته مع المُستعمِر المُستغِل، وأن نبيّن أنّ تاريخ البحرين الحديث يزخر بِحُكّام وشيوخ وطنيين مخلصين لبلدهم وشعبهم، ضَحوا بمراكزهم وأموالهم ونفوذهم من أجل مبادئ سامية، ومواقف نبيلة، وأبوا أن يكونوا دُمى ولُعب في أيادي القوّة السّياسية والعسكرية النافذة ليس في البحرين أو المنطقة فحسب، وإنّما في العالم بأسره، ولعل التقصير أو حساسية بعض المواضيع، حالت طيلة الأعوام الماضية دون أن يأخذ هذا الشيخ حقه الكامل من المَجد والعلياء والرّفعة، ومن أن تأخذ البحرين والمنطقة والدّول العربية حقّها من الفخر والتباهي، لذلك نرى أنّ الوقت قدّ حان للقيام بما يلي:

<u>أولاً :</u> تسليط الضوء تاريخيًا وتعليميًا وإعلاميًا وتثقيفيًا على الجانب الذي يُعنى بحياة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة السياسيّة، خاصة علاقته بالسّلطة البريطانية ومواقفه الوطنية الحازمة تجاه رغباتها وأوامرها وأهدافها الاستعمارية...

<u>ثانيًا :</u> تسمية بعض المعالم الوطنية في مدن البحرين أو ما يتعلق بالمعالم والصروح السياسيّة، والشوارع والميادين فيها بإسم الشيخ الوطني عيسى بن علي آل خليفة...

<u>ثالثًا :</u> القيام بعمل تليفزيوني (فيلم وثائقي أو مسلسل تمثيلي) يتعرض لشخصية الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ويُركز على أهم جوانب هذه الشّخصية، وعلى وجه الخصوص السّياسية منها، وذلك من أجل تكريس وتأكيد إنجازات الحُكم الخليفي الذي تخلّله حُكّام عظماء غير عاديين في وطنيتهم وعروبتهم وإسلامهم، فما أحوجنا اليوم لذكر ذلك وطرحه على شعب البحرين والمنطقة العربية والعالم كافةً...

المراجع والمصادر:

[1] دليل الخليج العربي، ص1269-1270...

[2] المرجع السّابق، ص1270...

[3] د.محمد كريم إبراهيم، و د.طالب الغريب، البحرين في الوثائق (البريطانيّة)، مجلة الوثيقة العدد(30)...

[4] خلفية البحرين التاريخيّة قبيل وجود "محمد علي" في الخليج العربي، مجلة الوثيقة العدد(9)، وكذلك قصة الصراع السّياسي، 1904م-1956م...

[5] سجلات مكتب الهند لندن، مختارات بومباي، ص3071، وأيضا دليل الخليج، جـ/2...

[6] صبحي أحمد محمود، البحرين ودعوى (إيران)، ص99-100،الإسكندريّة، 1963م...

[7] سجلات مكتب الهند لندن، مختارات بومباي، العتوب مرجع سابق، ص368-369...

[8] خلفية البحرين التاريخيّة قبيل وجود "محمد علي" في الخليج العربي، مجلة الوثيقة العدد(9)...

[9] ملوك العرب، مرجع سابق...

[10] تاريخ البحرين السّياسي، ص288...

[11] دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، الجزء(3)، ص1356...

[12] الشيخ "محمد بن خليفة"، مجلة الوثيقة العدد(31)...

[13] الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة"، مجلة الوثيقة العدد(19)...

[14] عقد اللآل في تاريخ أوال، ص145...

[15] د.علي أبا حسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، ص25...

[16] ملوك العرب، ص762، وكذلك عقد اللآل في تاريخ أوال، مرجع سابق، ص145...

[17] الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" مجلة الوثيقة، مرجع سابق، العدد(19)...

[18]تجارة البحرين منذ فتح العتوب وحتى ظهور النفط، مجلة الوثيقة، العدد(7)...

[19] الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" مجلة الوثيقة، العدد(19)، مرجع سابق...

[20] مقتطفات من تاريخ "الشيخ حمد" مجلة الوثيقة العدد(43)...

[21] رسالة من "جاسكين" المساعد السياسي في البحرين إلى المقيم السّياسي في الخليج العربي، رقم 1901/22، بتاريخ 18 فبراير 1901م...

[22] تقرير ديلي عن الوضع السياسي في البحرين، بتاريخ نوفمبر1921م...

[23] الخليج العربي، ص400...

[24] البند (3) من مذكرة المقيم السّياسي في الخليج العربي إلى الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" بأمر من حكومة الهند، في 25 فبراير 1905م، تحت رقم 3/96 من الوثائق المنشورة في كتاب سبزآباد مرجع سابق ص306...

[25] رسالة رقم 4414، ص27، صادرة من النقيب (بريدوكس) المعتمد البريطاني في البحرين إلى رئيس الخليج العربي في (بوشهر) على شكل تقرير مؤرخة في 8 ديسمبر 1904م...

[26] وثيقة من سجلات البحرين للأعوام الممتدة من 1892م-1923م، رقم1/40 من أوراق الدّائرة السّريّة في الخارجيّة البريطانية...

[27] دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، جـ3، مرجع سابق...

[28] القاضي الرّئيس "قاسم بن مهزع"، ص64...

[29] وثيقة من سجلات البحرين رقم 78/26 على شكل رسالة من النقيب بريدوكس إلى الرّائد كوكس في 19 نوفمبر 1904م، البند رقم 1...

[30] دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، جـ3، مرجع سابق...

[31]مراسلة رقم S246 لعام 1919م، سري للغاية صادرة من المقيميّة والقنصلية العامة في بوشهر إلى الحاكم المدني في الخليج العربي، بغداد...

[32] سبزآباد مرجع سابق، من ص341-352...

[33] سي.أو/1932/7/727، 10نوفمبر1932م، نقلاً عن العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، مرجع سابق ص35-36...

[34] سبزآباد، مرجع سابق، ص452...

[35] مهدي عبدالله الناصر، مرجع سابق، ص29-30...

[36] وثيقة من سجلات البحرين الجزء الثالث على شكل رسالة موجهة من شيخ البحرين "عيسى بن علي آل خليفة" إلى النقيب "بريدوكس" الوكيل السّياسي في البحرين مؤرخة في 3 مايو 1905م...

[37] وثيقة من سجلات البحرين الجزء الثالث على شكل رسالة بعث بها الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" إلى نائب الملك في الهند، ونسخة منها إلى سكرتير حكومة الهند مؤرخة في 2 أكتوبر 1965م...

[38] وثيقة من سجلات البحرين الجزء الثالث على شكل تقرير سري تحت رقم1873 E.B مرسل من سكرتير دائرة الخارجيّة في حكومة الهند إلى الرّائد "كوكس" المقيم السّياسي في الخليج العربي، مؤرخ في 17مايو 1905م البند رقم (3)...

[39] مراسلة رقم 1863، صادرة من المقيمية البريطانية العامة في بوشهر، مؤرخة في 31 يوليو...

[40] الصحافة في الكويت والبحرين، منذ نشأتها حتّى الاستقلال، ص49...

[41] دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج3، مرجع سابق، ص1408...

[42] المرجع السابق، ج6، ص3441...

[43] القاضي الرّئيس، مرجع سابق، ص147...

[44] صفحات من تاريخ المساحة والطّابو، بقلم المهندس "مناف حمزة"، مجلة الوثيقة، العدد(30)...

[45] المرجع السابق...

[46] رجل وقيام دولة، مرجع سابق، ص103...

[47] القاضي الرّئيس، مرجع سابق، ص62...

[48] المرجع السابق...

[49] المرجع السابق...

[50] تاريخ البحرين الحديث، مرجع سابق، ص41...

[51] القاضي الرّئيس، مرجع سابق، ص167، وكذلك البحرين، قصة الصراع السياسي، مرجع سابق...

[52] القاضي الرّئيس، مرجع سابق، ص50...

[53] سبزآباد، مرجع سابق...

[54] المرجع السابق...

[55] القاضي الرّئيس، مرجع سابق، ص164...

[56] قضايا التغيير السياسي والاجتماعي، ص275...

[57] البحرين قصة الصراع السّياسي، 1904م-1956م، مرجع سابق، ص34...

[58] إل. بي. اس/82/3/ ص93، من دائرة الهند (غرانت دوف) إلى خارجيّة لندن، 30 يوليو 1872م...

[59] إل. بي. اس /5 /272، مجلد 14، 3 بي547/47-10، 25 يناير 1873م...

[60] سبزآباد، مرجع سابق، ص147...

[61] عقد اللآل في تاريخ أوال، مرجع سابق، ص152-153...

[62] البحرين قصة الصراع السياسي، مرجع سابق، ص51...

[63] تلغراف رقم 398 صادر من المقيم السّياسي في بوشهر، مؤرخ في 27/4/1923م...

[64] تلغراف رقم 2160 المعتمد السّياسي في البحرين إلى المقيم في بوشهر في 10/3/1923م...

[65] تلغراف/بي 6، صادر من المقيم السّياسي في بوشهر إلى سكرتير حكومة الهند في 20 مايو 1923م...

[66] من سجلات حكومة الهند، إس. تي. بي / آر. أو. أي...

[67] من سجلات حكومة الهند، رسالة رد من المقيم (نوكس) المقيم السّياسي في الخليج العربي إلى الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" في 24 مايو 1923...

[68] التقرير المفصل لإجراءات مجلس العزل الذي كتبه المقدم "نوكس"، في 31 مايو 1923م...

[69] المرجع السّابق...

[70] من سجلات البحرين تلغراف مرسل من سكرتير حكومة الهند مؤرخ في 29 مايو 1923م، نسخة موجهة إلى طهران والبحرين...

[71] المرجع السّابق...

[72] عقد اللآل في تاريخ أوال، مرجع سابق، ص157، وأنظر كذلك سبزآباد ص535-539...
[73] القاضي الرّئيس "قاسم بن مهزع"، مرجع سابق، ص83...

[74] الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة"، مجلة الوثيقة العدد(43)، مرجع سابق...

[75] التقرير المفصل لإجراءات مجلس العزل الذي كتبه المقدم "نوكس" في 31 مايو 1923م...

[76] من سجلات البحرين تلغراف مرسل من المقيم السياسي في الخليج العربي إلى سكرتير حكومة الهند (ملخص قرارات مجلس العزل)...

[77] الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" القسم الأوّل، مجلة الوثيقة العدد(16)، مرجع سابق...

[78] من سجلات مكتب الهند IOR-R/15/2/131، تلغراف رقم بي 6 من المقيم السّياسي في بوشهر إلى سكرتير حكومة الهند، في تاريخ 20 مايو 1923م...

الهوامش:

(1) تؤكد الوثيقة رقم 106 /1 سي لعام 1927م الصّادرة من المقيمية السّياسية والقنصلية العامة البريطانية في (بوشهر) إلى وزير خارجية (الهند) الاتجاهات الأولى التي رافقت تأسيسها حيث جاء في فقرتها الأولى:
(يعود تاريخ مصالحنا في الخليج العربي إلى عام 1616م، إذ كان من الضّروري في عام 1615م إيجاد أسواق لتصريف منتوجاتنا الفائضة في مصنع سورات وأنّنا أقمنا في عام 1624م بناء مصنع في بندر عباس لذا كانت مصالحنا في البداية تجارية محضة). أنظر: كامل الوثيقة في الملحق رقم (7)، من كتاب الكويت في الوثائق البريطانية، 1752م-1960م ص47...

(2) يرى د.فائق طهبوب في كتابه: تاريخ البحرين السياسي أنّ أول اتصال جرى بين الطرفين، تمّ عام 1805م: انظر ص 86، ورأى الباحثان د.محمد كريم وطالب الغريب في بحثهما المتعلق بالعلاقات البريطانيّة – البحرينية في مجلة الوثيقة العدد (30) أنّ أول اتصال رسمي كان عام 1816م، وذلك عندما قام النقيب "وليم بروس" بزيارة البحرين، وكذلك ارتأى الباحث عباس العصفور في كتابه صراع الخليج العربي ضد المطامع الأجنبية في العصر الحديث، بغداد 1973م ص144-145...

(3) أشار الريحاني في كتابه، ملوك العرب إلى: أنّ الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" وهب في جلسة واحدة أربعين رأساً من الخيل الأصيل، ص764...

(4) في مذكرة رقم 3 / 96 مقدمة من المقيم السّياسي إلى الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" مؤرخة في 25 فبراير 1905م، الفقرة رقم (3) تذكير للحاكم بأنّ بريطانيا وافقت على ولاية الشيخ "حمد" وأنّها تجاوبت مع طلباته...

(5) يذكر لوريمر في كتابه دليل الخليج العربي، (أن حكومة الهند أرادت عام 1899م تحسين نظام الجمارك في البحرين ليصبح أكثر فعالية وإنتاجاً، إلاّ أن الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" رفض مساعي حكومة الهند)...

ويقول "لوريمر" بعد ذلك: (إنّ السّبب الحقيقي لرفضه هذه الإصلاحات، هو أنّه كان يرى في قبول رغبة البريطانيين في هذا الصّدد، وقبوله عمل موظفين منهم في جمع ضرائبه، أمر مهينًا لكرامته واستقلاله)...

(6) نجد أهميّة موضوع الجمارك وإصلاحها في البند رقم (7) من رسالة سريّة تحمل رقمE.B/823 تقع في الجزء الثالث من سجلات البحرين مرسلة من سكرتير دائرة الخارجية في حكومة الهند إلى الرّائد "كوكس"، وقد احتوت أن موضوع (إصلاح الجمارك في البحرين من الأمور الملحة للمناقشة وقد تم التأكد من أهميتها في زيارة نائب الملك اللّورد "كيرزون" عام 1903م، حين أكد الشيخ أهميّة الموضوع كما أكّدت المراسلات عندما تمّ تعيين وكيل سياسي إعطاء مسألة الجمارك الأولوية في النقاش)...

(7) أرادت بريطانيا حرمان الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" من تسيير الشؤون القضائية المتعلقة بقضايا الأجانب في دولته، ولكن ليس عن طريق القوّة كما حصل سابقًا مع أسلافه، بل عن طريق الضغط الغير مباشر، مع استغلالها لأي ثغرة أو حتى عبارة لغوية قد تصدر ضمن مراسلاته معها، وللمزيد حول ما يتعلق بتفاصيل هذا الموضوع أنظر: كتاب سبزآباد، مرجع سابق من ص 352-341، وقد أصبحت في البلاد بعد ذلك محكمة أجنبية تحاكم الأجانب المقيمين، ومحكمة شرعية وطنية تحاكم مواطني الدّولة، وما كان يُرسل إلى القاضي الشيخ "قاسم" من قضايا تخص الأجانب هي القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصيّة، وبعد أن يصدر الشيخ حكمه في القضية، تعاد إلى محكمة بيت الدّولة (المحكمة المختصة بمحاكمة الأجانب الجديدة) كما يسمونها في ذلك الوقت، لتأمر بتنفيذ الحكم أنظر: صفحات من تاريخ القضاء في البحرين للشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة مجلة الوثيقة العدد (43)...
(8) هو ثالث أبناء الحاكم الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة"، وأصغرهم سناً، ووالدته هي بنت الشيخ "محمد بن خليفة" الحاكم السّابق للدّولة، السّيدة القوية المتنفذة في الدّوائر الرّسمية، كان الشيخ "عبدالله" نائباً لوالده، وممثلاً له في مجالات ونشاطات مختلفة، فحصل على خبرة في الإدارة وفي الشؤون السّياسية للبلاد، إلى جانب مسؤوليته المباشرة عن قريتي (جدحفص) و (سنابس)، كذلك شغل أهم منصب ريادي في تلك الفترة، فكان أول وزير للمعارف وأوّل رئيس للمجلس البلدي، أنظر:(سبزآباد) مرجع سابق ص444...

(9) أصدر الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" أوامره بتعيين الحاج "عبد النبي بن رجب" بدلاً من الحاج "أحمد على يتيم" وذكر للمعتمد خلال مواجهته معه، أنه يمارس صلاحيته كحاكم وأنه ينوي تعيين عضوين آخرين...

(10) عيّن الحاكم كل من"عبدالله الدّوسري"، و"عبد الرّحمن الزّياني"، و"عبد العزيز القصيبي"، و"يوسف فخرو"، و"عبد علي بن رجب"، أما الأعضاء الخمسة المعينين من قبل المعتمد، فهم: "محمد شريف"، "حاجي عبد النبي بوشهري"، والهنديان البوذيان "يتكا مداس" و"سيث بواد"، و"حافظ خان بهاني"، و"محمد علي البهرة"...

(11) أحد وجهاء البلاد والذين كانوا يعملون في القطاع الخاص، أسّس شركات تجارية عديدة داخل وخارج الدّولة مازالت تحمل اسمه حتى الآن توفي عام 1945م ورد عنه في أوراق دار الاعتماد في البحرين على لسان "ديكسون" ابتدأت أشك في نوايا "يوسف كانو" وأعيد النظر في ادعاءه بأنه يؤيد الإنجليز إنه السّبب في كثير من الاحتكاكات بين المعتمد والحاكم، كما أنه يؤمن بطريقة السّلطان "عبد الحميد" (في إثارة الناس بعضهم ببعض ثم تمثيل دور المنتصر!)...

(12) جاءت هذه العبارات في تقرير كتبه المعتمد السّياسي "ديكسون" مع نهاية خدمته في نوفمبر عام 1920م، وهي الفترة التي زادت فيها الأنشطة المضادة له ولتدخلاته...

(13) ورد في الرّسالة رقم10/1 الصّادرة من الرّائد "كوكس" إلى حكومة (الهند) في البند رقم (12) ما يلي:
(زارني وللمرة الأخيرة الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" ووجدت أنّ نظرته قد تغيّرت، وأكّد لي طاعته الكاملة للحكومة، فطلبت منه إثبات ذلك في المستقبل، خاصةً إذا ما اتخذ المعتمد السّياسي صديقًا ومستشارًا له !)، كما ورد في نفس الرّسالة البند رقم (7):
(طلبت من الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" الذي أصبح متعاونا وطيّعًا الآن)...

(14) قامت السّلطة البريطانية باعتقال الشيخ "قاسم بن مهزع" وتمّ حبسه على ظهر بارجة حربية لعدة أيام، وقد ذكر الرّائد "كوكس" في رسالته المشار إليها سابقًا:
(أنّنا انتهزنا هذه الفرصة لكي يكون الشيخ قاسم عبرة للآخرين، فقد كان يشعر بأنه إنسان مهم، وكان يظن أنّ أهميته تعفيه من زيارة دار الاعتماد قبل ذلك !) كما وُجّه إليه إنذارًا بعدم ممارسة أي نشاط سياسي في البلاد، ولكنه أصرّ على موقفه وقال:(إنّ السّياسة الشرعيّة، يجب أن يعمل بها علماء المسلمين وقضاتهم في البحرين، وأن أهل البحرين هم والإيرانيين ذوو دين واحد وشريعة واحدة)...

(15) ورد هذا التصريح في تقرير سري يحمل رقم E.B.1873. من سجلات البحرين الجزء الثالث وتحت بند(2) كما يحتوي أيضاً على رد حكومة الهند على التصريح القائل بعدم صلاحية الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" لحكم الدّولة حيث جاء كالتالي: (أنّه لمن المؤسف أن تدفعنا سياسة الإمبراطورية بعدم الإفصاح عن حقيقة نوايانا لحماية هذه الجزيرة التي ترى في تصورك إمكانية تحويلها إلى مركز للسلطة البريطانية في مياه الخليج العربي، رغم أنّ تلك الصّورة المرسومة الواضحة لديك، تبقى رغم اقتناعنا بها في طي الكتمان، حيث أنّ الوقت لم يأت بعد للإعلان عنها، لذا ورجوعا لرسالتك واقتراحاتك أجد أنّها لو نوقشت حاليًا فسوف تتعارض مع آراء صاحب الجلالة، وسوف تكون غريبة على المنطق السّياسي التي تتبعه حكومته في الخليج العربي)...

(16) يري بعض الباحثين، أنّ هذا المجلس عبارة عن لجنة استشارية من الأهالي تُساهم مع الشيخ في منع الوكيل من الاستبداد في رأيه، وقد شُكّلت اللّجنة بالفعل، ومنح الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" أعضاءها أوراق ووثائق، وأخذ منهم تعهدًا بالطاعة ولزوم أوامره، ولكن اللّجنة لم تتمكن من مباشرة عملها، إذ تأثر الشيخ "عيسى" برأي أحد القضاة حيث أبلغه بأنّ اللّجنة ستكون بديلاً عنه في مفاوضة السّلطة البريطانية، أنظر: البحرين قضية الصّراع السّياسي، مرجع سابق ص 46، بينما يرى آخرين، أنّ اختصاص المجلس كان للنظر في الأمور الإدارية والخلافات وبعض القضايا، وكذلك لتقديم الشورى للحاكم، أنظر: كتاب سبزآباد مرجع سابق ص348...

(17) تعتبر البحرين أوّل إمارة في الخليج العربي يعيّن فيها معتمد سياسي، (1900م)، الأمر الذي يدل على النوايا البريطانيّة نحو تحويل البحرين إلى محميّة بريطانيّة...

(18) يبدأ التاريخ البريدي في البحرين عام 1886م، حين تمّ فتح دائرة بريد في المنامة، تحت إشراف أحد الأوربيين ويدعى "أوشيا"، وكانت تابعة في كل شيء للنظام الدّاخلي الهندي، وكانت بريطانيا تؤكّد لمعتمديها السياسيين بأن لا يقتصر عملهم على النشاط التجاري، بل على مدّها بالمعلومات عن الهند والشرق، وخاصةً عن النشاط الفرنسي، فقد كشفت حرب السنوات السبع (1756م-1763م)، مدى الأضرار التي تترتب بسبب تأخر نقل الأخبار عن طريق رأس الرّجاء الصالح الذي تستغرق أسرع رحلة (11) شهراً، بينما نقل الأخبار عبر الخليج العربي، فصحراء الشام يتم في (5) أشهر، ونتيجة لهذا التأخر، ظلّت السلطات البريطانيّة والفرنسيّة تجهل أخبار الحرب في أوروبا بعد قيامها بعام، وقد وجدت بريطانيا في بعض المناطق مرادها، أو اعتبرت أنّ جزر البحرين، موقعًا مهمًا لتجارتها ومدّها بالمعلومات أوّلاً بأوّل، أنظر: في ذلك "نشأة البريد وتطوره في البحرين في العصر الحديث"، د.علاء موسى، بغداد، مجلة الوثيقة، مرجع سابق...

(19) افتتحت المدرسة التعليميّة الحديثة في البلاد، قبل منتصف الثاني من عام 1921م، وبسبب الظروف الصعبة التي واجهت القائمين عليها، تكوّن مجلس أعيان، من كبار رجال الدّولة المهتمين بالتعليم لإدارة شؤون المدرسة، وقد تمّ جمع قرابة (300 ألف روبيّة) من الإعانات لإقامتها، ونظرًا لضيق اليد استعان المجلس بالحكومة لتغطيّة العجز المالي، وتمكّنت المدرسة بذلك من تجاوز صعوباتها والتغلب على المشاكل التي كان يثيرها المعتمد السياسي حينذاك "بيلي"، وتعتبر مدرسة الهداية الخليفية، أوّل مدرسة حديثة في الخليج العربي، أنظر: في ذلك صحافة الكويت والبحرين، مرجع سابق، ص58 وما بعدها، إلاّ أنّ السيد راشد الزّياني يشير إلى أنّ التعليم النظامي في البحرين بدأ قبل ذلك التاريخ حيث يقول: (الواقع غير ذلك، فالتعليم النظامي في البحرين ابتدأ قبل افتتاح هذه المدرسة بسنتين أو ثلاث، في مدرسة الحاج علي بن إبراهيم الزّياني بـ (المحرق)، والذي قدّم مبنى مدرسة كان قد بناها خصيصًا لتكون مدرسة دينيّة تلحق بالمسجد المجاور لها، وكانت مكوّنة من (9-10) صفوف، وذلك عندما لم يجد مجلس المعارف مكانًا لائقًا لاستخدامه كمدرسة،

وقد تتلمذ فيها الأستاذ أحمد العمران ومحمد يوسف فخرو وأحمد الجلاهمة، وغيرهم وكان مدير المدرسة الأستاذ (حافظ وهبة) أنظر: ذكريات وتاريخ، لراشد الزّياني...

(20) تمكن قاضي المحرق ويدعى شرف اليماني، من إقناع الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" بعدم جدوى وجود اللّجنة وأنها ترغب في تهميشه، ولتكون في مكانه في المفاوضات مع البريطانيين، وحينما علم الأهالي بما قام به هذا القاضي توجهوا إليه، فما كان منه إلا الفرار واللجوء إلى دار المعتمد البريطاني، أنظر: في ذلك التحفة النبهانيّة مرجع سابق وكذلك سبزأباد مرجع سابق...

(21) لم يرغب كبار تجار الدّولة في تأسيس بلديّة، فقد اعترض التاجران (كانو) و(يوسف فخرو) على إنشاءها، كونها ستسبب إلغاء الامتيازات التي كانت تمنح لهما وللقصيبي من قبل عضو المجلس العرفي والهندي (جنجرام يتكا مداس) الذي يعاملهم بطريقة خاصة، أنظر: سبزأباد، ص537...

(22) كانت في الهند حركة إسلاميّة قوية جذبت إليها كثيرا من الرّواد المسلمين العرب، بالإضافة إلى وجود المدارس والتجمعات الإسلاميّة الهنديّة التي كان لها صولات في مقاومة الاستعمار والحركة التبشيرية مستهدفة إحياء الرّوح الإسلاميّة، وكان تجار الخليج العربي يجتمعون بالطّبقة المثقفة من المسلمين الهنود، وقد أقامت الجاليات العربيّة الخليجية والوكلاء التجاريين بعض المدارس العربيّة وأنشؤوا بعض المؤسسات ذات الاهتمامات الثقافية الحديثة...

(23) حدث نفي المجموعة التي تضم (حافظ وهبة) استنادا إلى اتفاق عام 1919م الذي أعطى للبريطانيين صلاحيّة إخراج جماعات أجنبيّة من البحرين، أنظر: p.s 4 /10 /1039 عام 1919م...

(24) استغل الإنجليز الاختلاف المذهبي ووظفوا نتائجه لخدمة موقفهم، ولم يكن استغلالهم هذا الاختلاف خدمةً للإنسانيّة بقدر ما كان خدمةً لأغراض سياسيّة، وبالنسبة للأحوال المعيشية، فلا جدال أنّ قسماً من الشيعة كان يعيش في ظل ظروف قاسيّة في ذلك الوقت كغيرهم من السنة في البلاد، أو غيرهم

من السنة أو من الشيعة في مناطق أخرى في الخليج العربي، فقسوة العيش تجعل المرء يشعر بنوع من الاضطهاد الطَبقي، فإذا ما اقترن هذا الشعور باختلاف المذهب، وتزامن مع تصرفات غير مسؤولة تصدر عن هذا أو ذاك من أصحاب السلطة سواء سلطة الحكم أو أي سلطة أخرى فإن الاستعداد للتمرد يكون في ذروته ولذلك نجحت السلطة البريطانيّة في تسيير قسم من الشيعة واستخدامهم كأداة مؤثرة في صراعها مع الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة"، ولقد كان التحريض البريطاني هو العامل المصطنع، أنظر: البحرين قصة الصراع السياسي، مرجع سابق ص91/92...

(25) ذكر ديكسون في رسالة له: (أن سياسة الشيخ "عيسى بن علي آل خليفة" ناتجة عن إحاطة نفسه بفئة من الشباب على رأسهم إبنه الشيخ "عبدالله" وبقيّة المعارضين للوجود البريطاني)...

(26) تتلخص الحادثة في أن أحد الخدم لدى "عبدالله القصيبي" سرق ساعة يد، شوهدت في متجر أحد الباعة الإيرانيين معروضة للبيع فحضر "القصيبي" ليطالب باسترجاعها، وحدثت مواجهة كلامية انتهت بتدخل مسؤول البلدية "محمد شريف" الذي دفع المبلغ، ولكن الحادثة تطوّرت بعد أن حضر جريحان إيرانيان نتيجة اعتداء، فأتفق "القصيبي" و"محمد شريف"على أن يُعرض أطراف الشجار على المعتمد السّياسي، وعلى أن يسبق ذلك تحقيق تمسك بضرورة إجراءه "القصيبي" فثار الموجودين من الجاليتين السّعودية والإيرانية، وبدأت معركة واسعة بينهم، تطوّرت إلى الحد الذي طلب فيه المعتمد السّياسي سفن حربية بريطانية لإنهاء الحوادث التي عكست آثارها على مواطني البلاد سنة وشيعة، أنظر: المذكرة الصّادرة من دار الاعتماد في البحرين والمؤرخة في 13/5/1923م، وكذلك البرقية رقم 440 والصادرة من المقيم السّياسي والموجهة نسخة منها إلى "طهران" ونسخة إلى "البحرين"...

(27) يذكر المقيم السّامي في الخليج العربي في برقية بعث بها إلى سَكرتير حكومته في الهند: (إنّ الأحداث الأخيرة وفرت لنا فرصة لن تعوض ولن تتكرر)...

(28) يذكر "ديلي" في تقريره عن الوضع السّياسي في البحرين:
(وفي رأيي أنّ "الشيخ حمد" هو الشخصية المطلوبة، وهو في الحقيقة الشخص الوحيد المرغوب من الأهالي)...

(29) تتضمن سجلات البحرين في جزءها الرّابع العديد من الشّكاوي والمكاتبات التي رفعها الشّيخ "عيسى بن علي آل خليفة" للمسؤولين البريطانيين، كما وردت بعض ردوده المكتوبة ضمن التّقرير الذي كتبه المقدم "نوكس" الذي يشرح فيه الإجراءات التي تمت باسم الإصلاح في 31 مايو 1923م...

(30) من ضمن محتويات رسالة الشّيخ "عيسى بن علي آل خليفة" إلى المقيم السّياسي قوله:
(وبعد يومين أجبروا الشيخ "حمد" بكل وسيلة وهدّدوه أيضاً إذ رفض استلام السّلطة بدل والده)، وكانت الرسالة موقعة من قبل ثلاثة مؤيدين له وكان ذلك في 25 أكتوبر 1923م...

(31) رسالة الشّيخ "عيسى بن علي آل خليفة" إلى "ويلسن" مؤرخة في 28 رجب 1314هـ، ص53، ورسالة المقيم السّياسي برقم 37 سي.ايه، بتاريخ 13/6/1898م، ومذكرة من الخارجيّة في دلهي بتاريخ 27 نوفمبر 1939م.

نشأة التعليم الحديث في عهد حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة



دراسة توثيقية-تاريخية لنشأة التعليم في البحرين...

إعداد الباحث:
الدكتور حمادي ذويب،،،

تمهيد:

إنّ النظر في تاريخ نشأة التعليم النظامي الحديث في البحرين، يندرج في إطار الاهتمام بالعوامل التي أسهمت في تحوّل البلدان العربيّة من طور الدّول التقليديّة إلى أطوار الدّول الحديثة، وفي تغيّر الفكر العربي الإسلامي من طور المحافظة على القديم إلى طور البحث عن التجديد...

وقد أدركت المجتمعات العربيّة ومنها المجتمع البحريني، من أعلى هرمه السياسي إلى أسفل قاعدته الشعبية؛ أنّ التعليم كان ولا يزال الأداة الرئيسيّة في البلدان المتقدّمة، والتي قال عنها المؤرّخ التونسي "أحمد بن أبي الضياف" (ت1874م): "إنّ القوم قد سبقونا إلى الحضارة بأشواط"، وذلك لتطوير المعارف والعلوم في كلّ المجالات الاقتصاديّة والاجتماعية والعسكريّة وغيرها؛ والتعليم في البلدان المتطلّعة إلى النموّ لا تتعلّق به هذه الغاية فحسب، وإنّما تُناط به أيضاً غاية حضارية، تكمن في اللّحاق ببقيّة دول العالم التي امتلكت أسباب الإرتقاء بشكل ذاتي لا تبعي...
ولمّا كان التعليم العصري أو "التعليم على النّمط الغربي" في البحرين قد بلغ قرابة القرن من العمر، فإنّه بلا شكّ يستحقّ أن يؤرخ له، وذلك استخلاصاً للتجارب والعبر، وترسيخاً لمقوّمات الهويّة البحرينيّة العربيّة الإسلاميّة... ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الشّأن، هو أنّ الاهتمام بموضوع تاريخ نشأة التعليم في البحرين، لم يعد حكراً على الدراسات الأكاديميّة، وإنّما تجاوزه إلى الرّعاية السّياسيّة من لدن السلطات البحرينيّة الحالية، وذلك على غرار ما شهده العام 2004م، من إصدار وزير التربية والتعليم السيد ماجد علي النعيمي قراراً وزارياً بتشكيل فريق عمل خاصّ بلجنة توثيق تاريخ التعليم بالبحرين، يتكوّن من (16) إختصاصياً ومسؤولاً بالوزارة، وذلك تنفيذاً لتوجيهات صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى حفظه الله ورعاه، بشأن توثيق تاريخ التعليم في مملكة البحرين(1)...
هذا ولم يقتصر الاهتمام بهذا الموضوع على وزارة التعليم البحرينية، بل تعدّاه إلى وزارة الثقافة، حيث إجتمعت وزيرة الثقافة الشيخة مي بنت محمد آل خليفة خلال العام 2013م، بوكيل وزارة التربية والتعليم للموارد والخدمات الشيخ هشام بن عبد العزيز آل خليفة، وذلك بحضور السيد علاء الحبشي مستشار الترميم بوزارة الثقافة... حيث برز في هذا الإجتماع،

الاهتمام بمشروع ترميم مدرسة "الهداية الخليفيّة" باعتبارها النقلة الرسمية الأولى بإتجاه التعليم النظامي، فضلاً عن كونها نقطة انطلاق حقيقية في مسيرة التعليم في البحرين(2)...

جذور الحركة التعليمية في البحرين:

إنّ من الأهميّة بمكان الاعتناء بجذور الحركة التعليمية في البحرين، وذلك ينبع من كونها أوّل بلدان الخليج العربي، التي اعتمدت نظاماً حديثاً في التعليم، ويعود السبب في ذلك إلى إقتصادها المزدهر، فضلاً عن تعرّضها وبحكم موقعها الجغرافي إلى تأثيرات الثقافات والإيديولوجيات الأخرى(3)...
ويبدو أنّ انتقال التعليم في البحرين من المنهج التقليدي إلى المنهج الحديث، قَدْ مرّ بعدة مراحل رئيسيّة تتضمن:
= فترة التأسيس وذلك خلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين...
= فترة النموّ والتي حدثت خلال الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين...
= فترة التطوّر الحديث، وذلك بدءاً من ستينات القرن العشرين وحتى يومنا الحاضر...

كيفية نشأة التعليم وتطوره إبان حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (1869م-1932م):

في بحثنا هذا سنقصر إهتمامنا على الفترة الأولى التي مرّ بها التعليم في البحرين، وهي فترة التأسيس، وذلك لتوضيح كيفية نشأة التعليم وتطوره إبان حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (1869م-1932م)...
ولعله مما تجدر الإشارة إليه، هو أنه ليس من اليسير البحث في تاريخ التعليم في هذه الفترة التاريخية، حيث يصطدم الباحث بصعوبات جمّة في هذا العمل، فمن جانب هناك حقيقة عدم اكتمال التقارير والوثائق الخاصّة بالفترة الممتدّة ما بين العام 1919م والعام 1939م، ما يضطر الباحث للّجوء إلى المصادر الأوّلية، وذلك على غرار الأفراد الذين عملوا داخل النظام التعليمي في تلك المرحلة الزمنيّة، والذين وفرت إجاباتهم معلومات قيّمة من شأنها إعادة نسج عناصر تاريخ النظام التعليمي غير الموثّق في أيّامه الأولى(4)...

وعلى الجانب الآخر، فهناك صعوبات تكمن في عدم توفّر المعطيات في كثير من الأحيان عن تأسيس مدرسة بعينها، وبالأخص فيما يتعلّق بالمدارس الخاصّة في أغلب الأحيان، فـ"مدرسة الرجاء" على سبيل المثال، وهي أوّل مدرسة خاصّة أسّست في البحرين، والتي كانت تعرف سابقاً بـ"مدرسة الإرسالية الأمريكية"، لا تتوفّر عنها أية وثائق خاصّة بروّادها الأوائل، وإلى جانب ذلك ومما يزيد الأمر عسراً، هو التضارب الحاصل في شهادات وتواريخ تأسيس بعض المدارس...

ولكن ومهما كانت الصعوبات التي تتعلق بالبحث عن القديم، فإنّ الجانب الأكبر من تاريخ التعليم في البحرين الحديثة، تتوفّر عنه شهادات ووثائق تؤرخه وتضيء للباحثين دروبه ومحطّاته، كما وتوثق أطره العامة والخاصة...

<u>الأطر العامة والخاصة والعوامل الدوليّة والعربيّة التي حفّت بنشأة التعليم الحديث في البحرين:</u>

من الضروري بمكان أنّ نستحضر بصورة عامة العوامل الدوليّة والعربيّة التي حفّت بنشأة التعليم الحديث، وأن نستدعي في عين الوقت الإطار البحريني الخاص، والذي اجتمعت فيه إرادة التحديث لدى حاكم البحرين، وأهاليها، ونخبتها المتنوّرة والمثقّفة... حيث أنه ومن اللافت للنظر في هذا السياق، هو أنّ نسق الإصلاحات وتحديث الدولة قد تسارعت وتيرته على غرار تأسيس نظام ولاية العهد في عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وما ترتّب على ذلك من إصلاح لنظام المحاكم والشرطة والتسجيل العقاري والتعليم النظامي، فضلاً عن تأسيس الإدارة الحكومية عام 1919م، وذلك من خلال إنشاء أوّل مجلس بلدي لمدينة المنامة...

ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّ رياح التحديث التي هبّت على النظام التعليمي البحريني في أوائل القرن العشرين، لم تكن منفصلة عما يحدث في البلدان الإسلاميّة عامة، وفي بلدان الخليج العربي خاصة(5)...

ومما لا شكّ فيه هو أنّ البحث في تاريخ التعليم الحديث في البحرين باستحضار إطاريه العام والخاص، يمكّن الباحث من الوقوف على أهمّ العوامل التي ساعدت في نشأة هذا الفعل المعرفي والاجتماعي والسياسي والحضاري الذي يسمّى "التعليم"، فما هي أهم هذه العوامل؟

العوامل المساعدة في نشأة التعليم الحديث في البحرين:

لا يمكن في نظرنا فهم ظاهرة نشأة التعليم الحديث في البحرين في أوائل القرن العشرين، من دون إعمال الرّأي في العوامل المختلفة والمتنوّعة، والتي تضافرت من أجل تيسير بروز هذه الظاهرة في سياق اجتماعي تقليدي محافظ يسعى فيه ممثّلو النخبة البحرينيّة إلى الانخراط في عصرهم وفي محيطهم العربي والإسلامي، والذي كان يشهد فورة فكريّة وإصلاحيّة، يتوق من خلالها روّاد الفكر والإصلاح إلى اللّحاق بركب الحضارة الذي إنتقل إلى أوروبا...

= أهمّية العامل السياسي في نشأة التعليم الحديث في البحرين:

وفي هذا السّياق، فإن العامل السياسي كان أحد العوامل المحوريّة التي أسهمت في قدح شرارة المسعى التحديثي للتعليم البحريني، "فإن كان التعليم مظهراً من مظاهر السياسة والاقتصاد والاجتماع في أيّ بلد في العالم، فقد كان في البحرين بشكل أوضح وأظهر وأجلى، ولقد تداخلت العلاقات من وجهة سياسيّة وأثّرت في التعليم بشكل أو بآخر"(6)...

ومما يعضد هذا الرّأي، هو أنّ الاستقرار السياسي الذي ساد البحرين إبان فترة تولّي الشيخ عيسى بن علي آل خليفة للحكم بين عامي (1869م-1932م)، بدأ يؤتي ثماره على كافّة المستويات ومنها مستوى التعليم، فبعد انتهاء التطاحن القبلي بسبب التنافس على السلطة، "أخذت البحرين تشهد استقرارًا ملحوظاً في السياسة والاقتصاد، وخاصةً عند تولّي الشيخ عيسى بن علي آل خليفة للحكم بين عامي 1869م-1932م"(7)، حيث إن هذا الاستقرار لم يأت بشكل اعتباطي، وإنّما تحقق نتيجةً لسياسة رشيدة اتّبعها الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وهي تقوم على الرفعة والكرم وإيثار المنفعة العامّة على المنفعة الشخصيّة، إلى جانب العدل بين الرعيّة...

وقد اعتمدنا في تفصيل خصائص هذه السياسة الرشيدة على شهادة من الأهمّية بمكان أوردها الكاتب اللبناني "أمين الريحاني" (ت1940م)، في كتابه "ملوك العرب"، والذي كتبه عام 1924م حيث يقول: "كان الشيخ عيسى كريماً جواداً، فقد أنعم على القبائل التي كانت معه في قطر بمبالغ

جسيمة من الأموال يوم تقلّد الإمارة، حتّى أنّه لم يكن يرى غير الكرم في بعض الأحايين سبيلا إلى توطيد الحكم وتعزيزه، وقلّما استبقى من واردات البلاد شيئا لنفسه، بل كان ينفقها كلّها... على وفود العرب وأفراد عشيرته ثمّ على الإصلاحات العامّة... أمّا العدل فقد كان غالباً معزّزاً في عهده، والحقّ يقال إنّ الشيخ عيسى لم يظلم إنساناً عرضاً أو عمداً، في مدّة حكم زادت على نصف القرن، فقد كان دائماً يتحرّى العدل والإنصاف"(8)...

وإضافة إلى ذلك فقد كان الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، مغرماً بالأدب والشعر، يشجّع الشعراء والأدباء والعلماء، وله من الإنتاج الشعري قصيدة قصيرة في سبعة أبيات جواباً عن رسالةٍ منظومة وجهها إليه الشاعر الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، كما وله إنتاج نثري تمثّل في كثير من الرسائل السياسيّة المذكورة في المؤلّفات التاريخية والسياسيّة التي تروي تاريخ البحرين(9)...

لكن كلّ هذه الخصال التي توفّرت في شخصيّة الشيخ عيسى السياسية، ليست كافية في نظرنا لتفسير سرّ رعايته للتعليم العصري، وذلك دون أن نضيف إليها خصلةً لا يكون الحاكم بغيرها رجل دولة، ألا وهي الإنصات لنبض الواقع والمجتمع والتفاعل مع تيّاراته وأحداث عصره... فقد كان الشيخ عيسى مطّلعا على أنشطة المثقفين البحرينيين في عهده، وعلى سعيهم للإستفادة من آراء روّاد الإصلاح في البلدان العربيّة وخاصّة في مصر، وقد كان دوماً "يحاول أن يتفاعل مع هذه التوجّهات الإصلاحيّة"(10)...

وإلى جانب ذلك، فقد كان الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة رغم شخصيّته المحافظة، مطلعاً أيضا على التطوّر الذي حصل في أوروبا، والذي بدأت آثاره تظهر في بعض البلدان العربيّة، وذلك بفضل إنشاء التعليم العصري وتحديث الدولة، فأراد هو كذلك أن يكون لبلاده نصيب من التطوّر والتحديث.. وتعضد هذا الرّأي شهادة أمين الريحاني القائل: "ولم يكن الشيخ عيسى يميل إلى الجديد والتجديد، بل كان منذ حداثته محافظا كلّ المحافظة على القديم.. وظلّ كذلك حتّى أصابه في آخر أيّامه سهم من روح الزمان وحاقت به سنن الرّقي والعمران، فقام يساعد في إنشاء المدارس ويأمر ببناء المحاجر والمرافق العامة في بلاده... وقد وضع أوّل حجر في أوّل مدرسة بيده وخصّها براتب شهري"(11)...

وممّا يؤكّد أهمّية العامل السياسي في نشأة التعليم الحديث في البحرين، هو الدّور المركزي الذي اضطلع به الشيخ عبد الله بن عيسى بن علي آل خليفة، والذي يبدو أنّ زيارته إلى بريطانيا بعد الحرب العالميّة الأولى، قد جعلته يقف

على مدى التطوّر العلمي الذي بلغته هذه الدّولة الأوروبيّة، ويتمنّى النسج على منوالها في بلاده... وهذا ما سعى إلى تحقيقه على أرض الواقع، وذلك من خلال تولّيه لرئاسة مجلس إدارة مدرسة الهداية الخليفية، والتي تعد أوّل مدرسة نظاميّة في البحرين، أسّست عام 1919م، فضلاً عن إنشاءه مدرسة لتعليم البنات وذلك عام 1926م، إلى جانب بقائه مشرفا على المدارس الحكوميّة، وذلك بالتعاون مع لجنة التربية والتعليم وحتى عام 1930م...

إسهام العامل الثقافي والإجتماعي في نشأة التعليم الحديث في البحرين:

يبدو جلياً أن العامل الثقافي والاجتماعي، من العوامل التي أسهمت في نشأة التعليم الحديث في البحرين، حيث إنّ المجتمع البحريني لم يكن معزولاً عن محيطه العربي والإسلامي، كما وإنّ نخبته العلميّة من الأدباء والمثقّفين، كانت متواصلةً على الدوام مع الحركات الفكريّة والأدبيّة، وخاصّةً في البلدان العربيّة، ومن تجليّات هذا التّواصل حضور الصحف والمجلات العربيّة "التي كانت تصل عن طريق الهند بواسطة تجّار اللؤلؤ، وأوّل ما وصل منها كان (المقتطف) من القاهرة و(العروة الوثقى) الصادرة عام 1884م من باريس"(12)...
ويتبين من ذلك بأنّ مصر كانت المركز الرئيسي الذي تصل منه المطبوعات المختلفة ومنذ أواخر القرن التاسع عشر، وكان أبناء البحرين يتلقّفوها بنهم معرفي للاطّلاع على محتوياتها، حتى وإن فاتت تواريخ صدورها، وذلك وفق شهادة أمين الريحاني الذي كتب قائلاً: "كانت الكتب والمجلات والصحف المطبوعة تصل من مصر إلى البحرين عبر الطريق البحري منذ عام 1870م، لتتلقّفها النخبة القادرة على القراءة في ذلك الحين، ولأنّ السفينة المحمّلة بتلك الغنيمة المعرفيّة لم تكن تصل إلاّ مرّة واحدة في الشهر، فقد كانت الصحف تأتي على شكل رزمة كبيرة لتواريخ فائتة بالفعل، ولكنهم كانوا مع هذا يتلقّفونها بشوق هائل"(13)...
وقد أدّى الإتصال الثقافي بين النخبة البحرينية والمشرق العربي عامة ومصر خاصّة، إلى تأثّر واضح بحركة الإصلاح المصرية وبزعمائها، من أمثال؛ (جمال الدين الأفغاني)، و(محمد عبده)، و(محمد رشيد رضا)... فبالنسبة ل(جمال الدين الأفغاني) فقد تغيّر الموقف منه، وأصبح مرحّبا به بعد أن كان غير معروف في الأوساط البحرينيّة(14)... أمّا (محمد عبده) فقد كانت كتبه تتردّد في البحرين، وخاصّة بعد انفتاح المجتمع البحريني بعد الحرب العالمية

الأولى على أشتات من مصادر الثقافة والفنّ وخروجه من محيطه الخليجي إلى أجواء عربيّة أخرى(15)... بينما كان لمجلة (محمد رشيد رضا) "المنار" وقع خاصّ على أهالي البحرين، فهي تتضمّن ما يفيد قراءتهم لها وتفاعلهم معها، فضلاً عن إرسالهم أسئلة إليها على غرار "أسئلة من البحرين عن حكم الحج وترك الملوك والأمراء وبعض العلماء له لصاحب الإمضاء" ... ومن الشهادات التي توثّق اطّلاع النخبة البحرينية على المجلات العربية شهادة أمين الريحاني أثناء حديثه عن الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة قائلا: "فقد كان مولعا بالأدب والشعر يفضّلهما على السياسة، وهو شيخ الأدباء والشعراء في البحرين، ومن خيرة رجالها... هو رجل عصري في آرائه وأحكامه يطالع المجلات العربيّة ويتبع الحركة الفكرية والثقافية في العالم"(16)...

ولا شكّ في أنّ التأثيرات الإصلاحيّة والتجديدية لم تكن تأتي من مصر وحدها، وإنّما كانت بلدان أخرى تسهم بشكل أو بآخر في تغيير النمط المحافظ للمجتمع البحريني وثقافته، ومن ذلك مثلاً التأثير الهندي الذي كان يتحقّق بواسطة البحرينيين الذين يُرسلون للدراسة في المدارس والجامعات الهندية، ففي عام 1910م، أُرسل أحمد بن حسن إبراهيم المولود في "فريق كانو" في عام 1895م مع قريبيه جاسم وعلي إبني محمد بن أحمد كانو إلى جامعة عليكرا الإسلاميّة المشهورة في الهند، وذلك للدراسة مدّة أربع سنوات هناك، حيث كان "السيد أحمد خان" قد أسس هذه الجامعة لتكون بمستوى الجامعات الإنكليزية العريقة كأكسفورد وكامبردج(17)... حيث أنه من المعروف أنّ "السيد أحمد خان" من زعماء الحركة الإصلاحية والتجديدية للفكر الإسلامي في الهند...

ولا شك بأن هذه الإرساليات الطلابية إلى جامعات بلدان مختلفة، قد مثّلت وسيلة أساسيّة اكتشف من خلالها الطلاب البحرينيون المعارف والمناهج الحديثة في العلم والتعليم، ولذلك كانوا عند عودتهم إلى البحرين يرغبون في النسج على منوال البلدان التي زاروها وتعلّموا فيها، وذلك على غرار الإرساليّة التعليمية التي ضمّت الشاعر (عبد الرحمن المعاودة)، و(أحمد العمران) الذي تولّى لاحقا وزارة المعارف، فضلاً عن (راشد بن عبد الرحمن الزياني)، والتي كانت وجهتها إلى الجامعة الأمريكية في بيروت وذلك عام 1928م(18)...

أثر تأسيس الأندية الثقافية والأدبية في تنشيط الحركة التعليمية في البحرين:

لقد كان تأسيس الأندية الثقافية والأدبية في البحرين في أوائل القرن العشرين، من الأحداث البارزة التي نشّطت الحركة الثقافية فيها، كما وجهتها في عين الوقت نحو التعريف بالمستجدات الإصلاحيّة والتجديدية الحاصلة في البلدان العربية والإسلامية... وقد كان من أبرز هذه الأندية نادي "إقبال أوال"، والذي تأسس عام 1913م، وذلك على يد مجموعة مثقفة من شباب المنامة، حيث كانت فكرة إنشائه الأصلية تقوم على تكوين مكتبة عامّة، تكون بديلا لمكتبة الإرساليّة المسيحية الأمريكية التي كانت موجودة آنذاك... هذا وقد أصبح مقرّ هذا النادي ملتقىً ثقافياً يسعى إلى توفير كتب التنوير والإصلاح، فضلاً عن مجلات حركة الإصلاح في مصر وخاصّة مجلّة "المنار"، كما وحاول أعضاء هذا النادي ربط الصلة مع أصحاب هذه الصحف والمجلات العربية، فكانت لهم عدة مراسلاتٍ مع الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلّة "المنار"، والذي دافع عنهم حينما أُتخذ قرار بإغلاق هذا النادي...
وإلى جانب ذلك فقد تم في تلك الفترة تأسيس النادي الأدبي في المحرّق، والذي يُعدّ من النوادي المهمّة أيضاً، وذلك في عام 1920م، والذي كانت أهمّ أنشطته التي أسهمت في تأصيل البعد الإصلاحي والتحديثي للحركة الثقافية والتعليمية في البحرين في أوائل القرن العشرين، استضافته لعدد من العلماء المصلحين، ومنهم (أمين الريحاني) و(عبد العزيز الثعالبي)، وإلى جانب ذلك فقد كان النادي يلعب دوراً تكميلياً يضاف إلى الدور المدرسي الذي تقوم به المدارس، فهو يوفّر للتلاميذ وسائل المطالعة من كتب ومجلات، كما ويمكّنهم من الاحتكاك برجال العلم والمعرفة من داخل البحرين وخارجها، وغير ذلك مما ينمي فيهم حبّ الوطن والتفاني في خدمته، وهذا ما يتجلى واضحاً من إحدى شهادات عضو من أعضاء النادي الأدبي هو الأستاذ (أحمد العمران)(19)...

- تأسيس مدرسة جوزة البلوط عام 1899م:

لقد تبين لنا بأنه من الضروري في سياق بحثنا عن مختلف العوامل التي أسهمت في نشأة التعليم الحديث في البحرين، ألاّ نغفل عن أحد أهمّ العوامل التي فرضت نفسها على أرض البحرين، والذي تمثل في تأسيس مدرسة

جوزة البلوط عام 1899م، وهي مدرسة صغيرة في شرفة منزل الإرسالية المسيحية الأمريكية(20)... حيث جاءت فكرة المشروع من أجل تعليم أطفال أمين سجن متهم بالارتداد عن الإسلام والتحول إلى النصرانية(21)...

ومن جانب أخر فقد بيّن بعض الباحثين بأنّ البحرين لم تعرف التعليم العصري إلاّ في السنوات الأولى من القرن العشرين، وذلك عندما بدأت البعثات الأجنبية التبشيرية بإقامة مدارس لها على أرضها، علماً بأن هذه المدارس كانت غالباً صغيرة، ولا تتسع لأكثر من عشرين طالباً(22)...

وهكذا اكتشف البحرينيّون عن كثب نمطاً آخر للتعليم غير التعليم الديني في الكتّاب، وهو ما جعل الباحث (عيسى أمين) يقرّ بأنّ مدرسة المبشّرين كانت أوّل مدرسة تستقبل الطلاب وتعلّمهم تعليماً راقياً في البحرين، والتي احترمت قيم طلاّبها والمجتمع الذي تعمل فيه رغم كونها جاءت من الخارج، وفي عين الوقت فإنّ حرص الآباء على إرسال أبنائهم الصغار إلى "المطوع" لتحصينهم بتعلّم قراءة القرآن وحفظه، قد حقّقت معادلة استفادة أولئك الأبناء من علوم تلك المدرسة دون تأثّر بتوجهاتها التبشيرية(23)، وهي التوجهات التي إنتقدها أمين الريحاني معتبراً أنها السبب وراء محدودية الإقبال على هذه المدارس، حيث ذكر ذلك قائلاً: "إنّ المرسلين أنفسهم ليعلمون ذلك وهم في مدة خمسين سنة لم يتمكنوا من هداية خمسة من المسلمين فما الفائدة من التبشير إذن؟ حبّذا مدارس أمريكية لا مفزعات دينية فيها تهرب المسلمين"(24)...

ولئن ساهمت هذه المدرسة في تعريف البحرينيين بالثقافة الغربية وبأسلوب التعليم العصري، فإنّ محتواها التبشيري دفع إلى التصدّي لمفاهيمها والتفكير في بدائل لها، وذلك من خلال تأسيس نواد ثقافية ومدارس عصرية تنسجم مع روح العصر دون إهمال أسس الدين وأصوله...

دور حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في نشأة التعليم الحديث في البحرين:

لقد كانت للشيخ عيسى بن علي آل خليفة رحمه الله أياد بيضاء في نشأة التعليم الحديث في البحرين، فقبيل عام 1919م فكّر عدد من وجهاء البحرين في ضرورة تأسيس مدرسة أهلية منظمة لتعليم أبنائهم تعليماً حديثاً، فتقدّموا إلى الشيخ عيسى بطلب السّماح لهم بفتح مدرسة أهليّة في البحرين تكون بمثابة نواة للتعليم الحديث، فاستجاب الشيخ الحاكم للفكرة وشجّع على تنفيذها، وذلك إدراكا منه لأهمية مواكبة التعليم في البحرين لما يحدث في الدول المتقدّمة

وفي بعض الدّول الإسلامية، هذا ولم يقتصر دور الشيخ عيسى على التشجيع المعنوي للتعليم، بل امتدّ ليشمل المساندة العينيّة الملموسة، وذلك من خلال المبادرة بتخصيص مساحة الأرض اللازمة لإقامة هذه المدرسة هبة منه للإسهام في هذا المشروع...

ولعلّ الدّور المركزي الذي اضطلع به الشيخ عيسى بن علي آل خليفة تمثّل في إضفاء الصّفة الشرعيّة على تأسيس المدرسة الحديثة الأولى في البحرين، رغم وجود فريق من علماء الدّين لم يكن موافقا على هذا المشروع، وقد تمّ ذلك من خلال إرسال الشيخ عيسى براءة تأسيس المدرسة إلى القائمين على مشروع إنشائها، إذ حدث ذلك خلال جلسة العمل الأولى لهم، والتي عقدت برئاسة الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة بتاريخ 13 ربيع الثاني عام 1338هج الموافق للرابع من يناير عام 1920م، هذا وقد حضر هذه الجلسة 47 من وجهاء البحرين ومن نخبتها المثقّفة، حيث يروي السيد (عبد الحميد المحادين) بأنّ الاجتماع: "كان بدار الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة وبرئاسته، وأثناء الاجتماع دخل مندوب الملك المعظم حاملا مرسومه الكريم لنجله المحترم رئيس الجلسة فتناوله بيد الإجلال والتعظيم وفضّ أختامه وأمر من يتلوه على مسامع الحاضرين فتناوله الفاضل (يوسف كانو) وهذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عيسى بن علي الخليفة إلى حضرات الأجلاء الكرام الذوات المجتمعين في ما يرضي رب العالمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد فإنني أنهي إليكم ابتهاجي العظيم وشكري الجزيل على اجتماعكم واتفاقكم في سبيل هذا العمل الخيري الجليل سائلا المولى جل شأنه أن يوفّق الجميع لما فيه رضاه يوم تلقاه إنّه سميع مجيب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في 13 ربيع الثاني 1338 (الموافق 4 يناير 1920م) فشكر الحاضرون تعطّف الملك المعظّم ودعوا له بدوام التأييد"(25)...

هكذا إذن كانت أحداث التعليم الأولى في عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وهو الذي جعل إبنه عبد الله بن عيسى يمثّله على أرض الميدان من أجل تحقيق مشروع المدرسة الأولى الحديثة فعلياً، وإلى جانب ذلك فقد كان الشيخ عيسى حاضرا في المحطات الرئيسيّة لهذا الحدث التاريخي المتمثل في إنشاء أوّل مدرسة حديثة في البحرين، وقد تجلّى ذلك في حضوره يوم الاحتفال بوضع الحجر الأوّل لهذه المدرسة يوم الاثنين الرابع من شهر ربيع الأولى

عام 1339هـ الموافق لـ 15 نوفمبر عام 1920م، حيث وصل الشيخ عيسى يومها على الساعة الثالثة بمعيّة وليّ عهده الشيخ حمد ونجله الثاني الشيخ محمد: "فاستقبله الحضور بما يليق بجلالته من الإجلال، فقابلهم حفظه الله بما عُهد به من البشر والحفاوة والترحاب، وأقبل على نجله رئيس الإدارة الشيخ عبد الله وقال: سنضع الحجر الأوّل في أساس المدرسة أوّلا، وبعد ذلك نقصد السرادق للجلوس وسماع الخطب فقال له: على أمركم يا مولاي، فتقدّم جلالة الملك إلى حيث يوضع الأساس ووضع يده المباركة على الحجر الأساسي وأمر بتمكينه في الأرض، وناوله البنّاء قليلا من الإسمنت فوضعه بين الحجرين، وهذا الحجر الأثري في أساس سور مدرسة الهداية الخليفية الجنوبي من ناحيته الغربية على بعد ذراعين من زاوية السّور، ثمّ قصد جلالته السرادق وتبعه الجميع وبعد أن استراح هنيهة أديرت فناجين القهوة ثم ألقيت الكلمات"(26).

ومن الجدير بالذكر هو وجود شهادات تبرز بأنّه في نفس هذا العام الذي تمّ فيه وضع حجر الأساس للمدرسة النظامية الأولى، كان الشيخ عيسى مشرفاً بنفسه على الدّعم المالي لمشروع المدرسة: "ويشير ديكسون إلى أنّ العرب وعدوا في اجتماع عام 1920م مع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بتقديم 120 ألف روبية لهذا المشروع بينما لم تزد مساهمة الإيرانيين عن 700 روبية، وقد وعد الإيرانيون بتقديم مساعدة أخرى قدرها 100 ألف روبية بشرط أن تدخل دراسة اللغة الإنجليزية والفارسية في المنهج، لكن الحكومة رفضت هذا الطلب وتراجع الإيرانيون عن وعدهم بالمال"(27)...

والظاهر أنّ هذا الرّفض مصدره الشيخ عيسى نفسه، والذي لم يرق له فيما يبدو منطق الاشتراط على الحكومة، وهو ما تؤكّده الشهادة التالية: "ويذكر الميجور ديكسون في أوراقه الخاصّة التي اطّلع عليها المؤلّف (الرميحي) في مكتبة دراسات الشرق الأوسط في جامعة أكسفورد بانجلترا بأنّ الـ 700 روبية التي جمعها الإيرانيون قد أرجعها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إلى يوسف بن أحمد كانو (أحد كبار التجار في البحرين آنذاك) ليعيدها إلى التجار الإيرانيين بعد أن رُفضت شروطهم"(28)...

وهنا نجد أنه من الضروري لفت الإنتباه إلى أنّ رعاية الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين للتعليم لم تبدأ بتاريخ 1919م، فقبل سنوات من ذلك التاريخ تجلّت هذه الرعاية من خلال أعمال كثيرة منها أنّه: "أوقف بعض الدكاكين بسوق المنامة لتكون وقفا على الدراسة الدينيّة، وكان ذلك في عام

1308هـ الموافق عام 1890م، وكان اسم المدرسة، وكما نصّت وثيقة الوقف (مدرسة أحمد المهزع)"(29)...

ويبين لنا مصدر آخر أنّه عند رجوع الشيخ أحمد المهزع من رحلته الدراسيّة بجامع الأزهر الشريف طلب من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بواسطة وزيره الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب آل خليفة، أن يُنشئ مدرسة أهلية بالمنامة فوافق على ذلك، وأوقفت عليها أوقاف كثيرة وبدأ التعليم فيها حوالي العام 1306هـ الموافق (1888م-1889م)، حيث بدأ الشيخ أحمد المهزع بتعليم الشباب اللغة العربية والحساب والفقه والتشريع الإسلامي(30)، وقد أضحت المدرسة حينها صرحاً تعليمياً بارزاً، ونقطة تحوّل مهمة، هيّأت البلاد لدخول التعليم النظامي الحديث...

<u>رواد حركة العلم والتعليم في البحرين:</u>

إنّ سعينا إلى سبر أغوار تاريخ نشأة التعليم الحديث في البحرين، لا يعني أنّ هذه البلاد العربية الإسلامية كانت خالية من الحركة العلمية والتعليمية التي تسهم في تغذية أبناءها بالمعارف والعلوم، فهناك شهادات تاريخية تبرز أنّه وفي عهد الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، كان هناك الكثير من العلماء وذلك حسب النبهاني صاحب "التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية"، حيث يقول: "وأشهر علماء البحرين في زمن حكم صاحب العظمة سموّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، هم الشيخ محمد بن راشد الحسيني المالكي، والذي تولّى القضاء إلى أن توفّي، والشيخ عبد الرحمن بن جعفر المالكي، والذي تولّى القضاء ثم عزل عنه، والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل مبارك المالكي، والذي تولّى القضاء ثم عزل عنه كذلك، والشيخ ابراهيم بن عبد اللطيف بن عبد المحسن الصحاف المالكي، والذي تولى القضاء وإستمر فيه حتى عام 1311هـ حيث ذهب إلى بومبي للتداوي ومات فيها، والشيخ قاسم بن مهزع المالكي وهو القاضي المالكي (ت1941م)، والشيخ سعيد بن أحمد بن بشيت المالكي، والشيخ عبد اللطيف بن محمد بن سعد المالكي خطيب جامع المنامة، والشيخ خالد بن يوسف أبي بشيت المالكي، والشيخ علي بن محمد الباشا المالكي، والشيخ عيسى بن راشد بن عيسى المالكي مفتي المحرق الحالي، والشيخ إبراهيم بن جامع الحنبلي، والشيخ عيسى بن جامع الحنبلي، وإبنه الشيخ عبد العزيز بن عيسى بن جامع، والذي تقلّد مذهب الإمام مالك وهو اليوم إمام جامع الشيوخ في المحرق، والشيخ إبراهيم بن هاشل الشافعي

النقشبندي، والشيخ محمد بن عبد الرزاق آل محمود الشافعي خطيب جامع الحد ومفتيه والذي توفي في 24 ربيع أول عام 1336هـ، والفقيه النحوي والفرضي المتفنن الشيخ عبد اللطيف بن محمود آل محمود الشافعي، وهو تلميذ والدنا في علم الفلك وهو الذي قرّض كتاب الوالد المسمّى بالوسيلة المرعية في معرفة الأوقات الشرعية"(31)...

ولقد أوردنا الشاهد السابق على الرغم من طوله، ذلك أنّه يُجلي كثرة علماء البحرين، وتنوّع المذاهب التي ينتمون إليها، فضلاً عن مساهمة بعضهم في دعم نشأة التعليم منذ تأسيس مدرسة الهداية الخليفية... وفي هذا الصدد نقف عند شخصية جليلة هي شخصية الشيخ المالكي (قاسم بن مهزع)، والذي تصدّى لبعض علماء الدّين الذين عارضوا إنشاء مدرسة الهداية الخليفية، حيث إنه عندما ظهرت لدى بعض وجهاء البحرين: "فكرة تأسيس تعليم حديث في البحرين واجهوا معارضة شديدة، حتّى أنّ الشيخ الصحاف إمام أحد المساجد خطب محذّرا من التعليم ومدعيا أنّ التعليم ضدّ الدين بل هو نقيض الدّين... ما جعل الشيخ قاسم بن مهزع يعلن تأييده للتعليم بأن ردّ على الشيخ الصحّاف معتبرا ما قاله تناقضا بين الدّين والعلم"(32)...

إنّ هذا الموقف الجليل يجعل من القاضي (قاسم بن مهزع) شخصية ريادية في مجال بروز التعليم النظامي الحديث، ذلك لما كان يتمتّع به من سلطة دينيّة منحته هيبة لدى الخاصة والعامة، حيث قدم مساعدة أساسيّة للقائمين على مشروع إنشاء المدرسة في مقابل أطراف معارضة لها من المؤسسة الدينيّة، وقد تجلّت هذه المساعدة من خلال محضر الجلسة التمهيدية المؤرخة في 19 ربيع الأول عام 1338هج الموافق لـ 5 ديسمبر عام 1919م، فقد وُجدت: "معارضة للمشروع لم يغفلها الحاضرون بل التفتوا إليها وعلّقوا الجلسة حتّى يزيلوا من أذهان المعترضين ما علق بها من سوء فهم لمشروع التعليم وتوجهاته ولما أوجسوا من نتائجه، وكان لا بدّ لإزالة هذا التوجّس الذي استند أصحابه إلى أسانيد دينية من اللجوء إلى جهة مرجعيّة دينية تدافع عن هذا المشروع وتزيل من ذهن العامّة مخاوفهم وتطمئنهم، ومن غير (قاسم بن المهزع) آنذاك لكي يقول كلمته الفاصلة في هذا الأمر وهو الموثوق من العامة والخاصة، ولقد كانت المعارضة الدينية كفيلة بوأد المشروع في مهده لو تركت على رسلها"(33)...

وقد وعد الشيخ (قاسم بن المهزع) بمساعدة عينية للمدرسة الجديدة تتمثّل في منحها دكّانا يملكه يوقفه عليها، كما واتّفق على أن يكون ذلك في محرّم عام 1340هج الموافق لـ5 سبتمبر عام 1921م، وهو تاريخ بدء التعليم في

المدرسة بعد إكتمال منشأها، ولكن يبدو أنّ الشيخ (قاسم بن المهزع) لم ينفذ وعده هذا، وذلك حسب ما جاء في محضر الجلسة التاسعة والستين المؤرّخ بيوم 17 أكتوبر 1921م، والذي يفيد بعدم تسليمه ورقة الوقفية، فتقرّر أن تكتب له رسالة لطلب تلك الورقة... وهنا يرى بعض الباحثين أنّ هذا الأمر قد يُفسّر باكتشاف الشيخ (قاسم بن المهزع) أنّ مدرسة الهداية لم تكن مجرّد مدرسة دينية، بل هي مدرسة حديثة فيها جميع ما يُدرّس في المدارس الحديثة... ما يعني أنّه بعد أن دعم تأسيس المدرسة، سارت الأمور في اتجاه لا يتّفق تماما مع ما يريد، فاكتفى بالتعبير عن عدم رضاه بأن أوقف منح وقف الدكان على المدرسة(34)...

وممن تجب الإشارة إليهم كرواد أساسيين للتعليم الحديث في البحرين هم؛ الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة، والشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، ذلك أنّ الأوّل كان رئيساً للإدارة الخيرية للتعليم، والثاني كان نائباً لرئيس هذه الإدارة، بينما كان السيد عبد الوهاب بن حجي بن أحمد الزياني نائباً ثانياً لرئيس الإدارة الخيرية للتعليم، والذي كان يشتغل بتجارة اللؤلؤ، بعد أن كان قبل ذلك مدرّساً وإماماً لأحد المساجد، وربّما يكون وراء استقدام المدير الرابع لمدرسة الهداية الخليفية وهو عثمان الحوراني إلى البحرين وذلك عام 1926م على الأرجح(35)، حيث تذكر عدة وثائق أنّ الشيخ عبد اللطيف الصحاف الذي كان معارضاً لمشروع إنشاء المدرسة النظامية الأولى في البحرين، عرّض باسم (عبد الوهاب الزياني) لكونه العامل النشيط فيه(36)... هذا ومن الكلمات التي ألقيت في حفل وضع الحجر الأساس لهذه المدرسة كلمة الشيخ عبد الوهاب الزياني، والتي عبّر من خلالها عن ألمه العميق لوضع البلاد الإسلامية الذي يتّصف بانتشار الجهل انتشاراً يتناقض مع الماضي الزاهر لهذه البلاد، حيث قال: "وإنّني حينما ألتفت لا أرى إلاّ ما يفتّت الأكباد ويضاعف الحسرات من تفشي الجهل... وفساد الأخلاق وسوء المعاملات، أفمع بذور الجهل راحة وسرور أو مع الشقاق والخلاف تصلح الأمور؟ كلا لقد كان التاريخ أثبت شاهد لأسلافنا الماضية وبلادنا معشر المسلمين فإنّها كانت قديماً معهد الحضارة والعرفان، ومصدراً لإبراز العلوم والبيان..."(37)...
ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّ (عبد الوهاب الزياني)، كان من أعضاء الحركة الوطنية المناهضة للأنجليز، ذلك أنّه كان من ضمن لجنة تتكوّن من 12 عضواً، قامت بعقد مؤتمر على أثر نفي المندوب البريطاني في البحرين

لـ (حافظ وهبة) إلى الكويت، ولـ (قاسم الشيراوي) إلى الهند، حيث أصدرت هذه اللّجنة عدة قرارات تواجه هذه السياسة... وهنا من المهمّ أن نلاحظ؛ أنّ أربعة أعضاء في هذه اللجنة سيصبحون أعضاء في اللجنة الخيرية لإدارة التعليم، وهو ما يدلّ على الترابط الوثيق بين نشأة التعليم الحديث، ومقاومة أهل البحرين للإستعمار الأنجليزي، حيث أنّ التعليم وحده هو الوسيلة التي تمكّن من تحقيق الغايتين الجوهريتين في ذلك الزمن؛ وهما المحافظة على الهويّة من الذوبان عن طريق تدريس العلوم الدينية واللغة العربية، فضلاً عن التشبّع بالمعارف الحديثة للّحاق بركب الدّول التي أمسكت بناصية العلم الحديث ووظّفته لغايات عدّة منها الهيمنة على خيرات الشعوب غير المتطوّرة حضاريا...

ومن روّاد التعليم كذلك؛ السيد محمد صالح بن يوسف خنجي (ت1967م)، وهو كاتب الإدارة الخيرية للتعليم، والذي كان قد درس بجامع الأزهر الشريف وتخرّج منه عام 1904م، وعند عودته إلى البحرين، افتتح مدرسة أهلية فيها، كما وشارك في إنشاء نادي "إقبال أوال" في المحرق، وإلى جانب ذلك فقد عمل بمجلس الإدارة الخيرية لمدرسة الهداية الخليفية منذ العام 1920م وحتى 1928م، كما وشارك في تكريم (أمين الريحاني) عندما إستضافه النادي الأدبي في المحرق...

ومن وجوه أهمية هذا الرجل هي مساعدته ل(حافظ وهبة) مدير مدرسة الهداية الخليفية، فضلاً عن الوثائق والرسائل التي كتبها، والتي نستشفّ منها عدّة حقائق، وذلك على غرار رسالته المؤرخة في 18 محرم 1430هـ الموافق لـ12سبتمبر عام 1921م، والموجّهة إلى الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، والتي تبرز وعلى عكس ما هو سائد، عمل (حافظ وهبة) على إستقلالية التعليم عن أيّ تدخّل(38)...

وإلى جانب ذلك يبرز من الروّاد أيضا السيد (يوسف بن عبد الرحمن فخرو (1873م-1952م)، والذي كان أميناً لصندوق الإدارة الخيرية للتعليم ومحاسبها، كما وكان من أنشط الأعضاء فيها، وفي: "ذات الوقت كان على علاقة غير وديّة مع (تشارلس بلجريف) الذي كان دائماً في كتاباته وتقاريره السنوية لا يخفي عدم ارتياحه من (يوسف فخرو)، كما وكان لا يترك أيّة مناسبة إلاّ ويشهّر فيها بالإدارة الخيرية بشكل عام وب(يوسف فخرو) بشكل خاص"(39)... ومما عُرف عنه أيضاً، أنّه كان مستشاراً مقرّباً من حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، بالإضافة إلى كونه من المنادين

بضرورة قيام مدرسة للتعليم النظامي في البحرين، فضلاً عن دوره المهمّ في دعم إعادة بناء مدرسة (آل عمير) في الأحساء وذلك حوالي العام 1920م...
ولا يفوتنا في هذا المجال أيضاً أن نذكر كذلك روّاد التعليم من مديري مدرسة الهداية الخليفية، وخاصّة أنّ من يتولّى إدارة هذه المدرسة كان بمثابة مدير التعليم كلّه(40)، وفي مقدّمتهم المصري (حافظ وهبة) أوّل مدير لهذه المدرسة، فهو "رجل دين وسياسة ولذلك لم يكن الأنجليز راضين عنه"(41)... وقد كان لـ (حافظ وهبة) صلة وطيدة بـ (عبد الوهاب الزياني)، ومما يُذكر له أنه حاول أن يطوّر مدرسة الهداية الخليفية، وأن يدخل إليها المناهج الحديثة ويجلب لها المدرّسين الأكفاء المعروفين بعروبتهم من سوريا والعراق ومصر وغيرها(42)... وعلى أثر نشاطه الوطني في البحرين نُفي إلى الكويت عام 1921م، وهو ما يدلّ على أنّ إقامته لم تطل في البحرين...
ومن بعد (حافظ وهبة) جاء من رواد التعليم في البحرين، المدير الثاني لمدرسة الهداية الخليفية وهو "الشيخ عبد العزيز محمد العتيقي" (1882م-1969م)، والذي تولّي إدارتها منذ عام 1921م وحتى 1923م، حيث كان قبل هذه الفترة مساعداً لـ (حافظ وهبة)... هذا وقد أشادت الشيخة مي محمد الخليفة بالشيخ "عبد العزيز محمد العتيقي"، وذلك في كتابها القيّم "مائة عام من التعليم النظامي في البحرين - السنوات الأولى للتأسيس"، حيث ذكرت أنّه طوّر التعليم وحوّله من الطّرق الكلاسيكية إلى النظم التي تواكب الحياة الحديثة، والتي تساعد الطلبة بعد تخرّجهم على العمل في مختلف المجالات، كما وبيّنت ومن خلال ما يتضح من خلال المراسلات الخاصّة بالتعليم، بأنّ الشيخ (عبد العزيز محمد العتيقي) لم يكن راضياً عن طريقة سلفه (حافظ وهبة) في التعليم والإدارة ويصف نظامه بأنّه غير منتج وليس بحكر على النظام العصري(43)...
أمّا المدير الثالث لمدرسة الهداية الخليفية فهو الشيخ "محمد عبد الله اليماني"، والذي كان أزهرياً، إضطلع بتدريس الفقه على المذهب الشافعي، حيث كان يعقد حلقات تدريسية في مسجد المدرسة بعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء، ما جعل المقيم البريطاني غير راضٍ عنه، فنفاه لكن دون ضجيج (44)...
وإشارةً لما يختص بالمدير الرابع لمدرسة الهداية الخليفية فهو السيد "عثمان الحوراني" (ت 1958م)، وقد كان سورياً متحمّساً للعروبة والإسلام، حيث كانت له نزعة تحديثية تجلّت واضحةً من خلال تحمّسه لإرسال بعض الطلبة البحرينيين للدراسة بالجامعة الأمريكية عام 1928م(45)، كما وكان وراء

افتتاح أول مدرسة للبنات في البحرين وذلك عام 1928م(46)، علماً بأنه جاء إلى البحرين عام 1926م وغادرها عام 1930م...
وإضافةً لما ذكرناه من رواد التعليم الحديث في البحرين يأتي دور الأستاذ (أحمد العمران)، والذي درّس في مدرسة الهداية الخليفية منذ تأسيسها في العام 1919م، ثم انضمّ بعدها إلى النادي الأدبي في المحرق والذي أنشئ عام 1920م، وبعد أن أنهى دراسته في مدرسة الهداية الخليفية عام 1923م، تم تعيينه مدرّساً في المدرسة نفسها، وذلك بعد أن وافقت حكومة البحرين على إرساله مع سبعة من الشباب البحرينيين للدراسة في الجامعة الأمريكية ببيروت، وعند عودته إلى البحرين عام 1930م، اشتغل بالتدريس في ذات المؤسسة التي احتضنته تلميذا ثم أستاذا وظلّ فيها لمدة سنتين، وقد أصدر خلال فترة تدريسه عدة كتب منها "التوقيت الشرعي للصلاة" و"الحساب والفلك" و"جدول أوزان اللؤلؤ"...

انطلاق التعليم النظامي الحديث في البحرين؛ مدرسة الهداية الخليفية أنموذجاً:

لقد ذكر الأستاذ (حافظ وهبة) المدير الأوّل لمدرسة الهداية الخليفيّة قائلاً: "لقد تأسس في أواخر عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة فرع لمصرف الإيسترن، كما وتأسست إدارة للتعليم قامت بإنشاء مدرستين: واحدة في المنامة والأخرى في المحرق"(47)... ويُعتبر هذا الخبر عام جدًا لا يفهمه غير العارف بتاريخ نشأة التعليم النظامي الحديث في البحرين، حيث لا بدّ من تحديد الإطار المكاني والزماني لنشأة هذا التعليم أوّلا، ومن المعلوم أنّ مدينة المحرق شهدت إنطلاقة هذا النمط من التعليم، كما وأنّ مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى هي الفترة التي تمّت خلالها هذه الإنطلاقة، وتحديداً خلال العام 1919م...
وإلى جانب ذلك فقد تطرّقنا إلى العوامل التي ساعدت على نشأة المدرسة الأولى في البحرين، والتي تمثّل نقطة بداية التعليم العام الحديث للذكور في البحرين، كما ورأينا كيف إنّ الجوّ الخارجي والداخلي كان وراء إحياء هذا المشروع، والذي تضافرت من خلاله الإرادة السياسية للسلطة الحاكمة مع إرادة النخبة المثقفة والثرية، وبناءاً على ذلك فقد جاء طلب هذه النخبة المرفوع إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البلاد المتضمّن لنية إنشاء مدرسة أهلية منظمة مجاناً، خاصّة وإنّ إبن الشيخ عيسى وهو الشيخ عبد الله

كان قد زار أوروبا في ذلك العام، واطّلع على تقدّمها، ما أدى إلى إلتقاء رغبته مع رغبة الأهالي في تحديث البلاد والدولة، حيث أن التعليم هو القاطرة الأولى للتحديث مثلما يعلم رجال الفكر والسياسة...

ويبدو أن تحديد عام 1919م تاريخاً لإنطلاقة التعليم الحديث في البحرين، ولتأسيس مدرسة الهداية الخليفيّة ليس مجمعاً عليه من قبل الباحثين... فمن الواضح أنّ الرواية الرسمية الحكوميّة تُقرّ عام 1919م تاريخاً لإفتتاح التعليم الحديث في البحرين وذلك إنطلاقا من المحرق، حيث اعتمدت الحكومة هذا التاريخ رسمياً في احتفالها بـ"اليوبيل الذهبي للخدمة التعليمية" عام 1969م، إذ تفسّر المصادر الحكومية إعتمادها هذا التاريخ، بأنّ الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة قد قرّر عقب زيارته لإنجلترا عام 1919م إدخال نظام التعليم بالأسلوب الحديث إلى الجزيرة، وذلك على غرار النظام المتّبع في المعاهد التعليمية التي شاهدها أثناء زيارته(48)...

وقد قُدّمت عدّة براهين لنقد فكرة إعتماد عام 1919م تاريخاً لتأسيس مدرسة الهداية الخليفية ومن هذه البراهين؛ هو أنّ الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة لم يرجع من زيارته لإنجلترا إلاّ في أواخر عام 1919م، وهو ما يجعل الزّمن المتبقّي من ذلك العام واللازم لجمع الأموال لبناء المدرسة وافتتاحها غير كاف... وإلى جانب ذلك فإنّ المقيم البريطاني في البحرين ديكسون (Dickson)، ذكر في أوراقه الخاصّة في ذلك الوقت، بأنّ الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة والد الشيخ عبد الله، لم يعقد اجتماعاً مع قطاعات المجتمع لمناقشة إمكانيّة بناء مدرسة وجمع الاشتراكات العامّة لها إلاّ في أوائل عام 1920م(49)، وعلى هذا الأساس، تم الإستنتاج بأنّ العام 1921م هو التاريخ المعقول لبدء التعليم الحديث في البحرين...

وقد واجه هذا الرّأي عدة إنتقادات، ذلك أنّ صاحبه قد خلط بين أمرين هما: "بداية تأسيس التعليم النظامي في البحرين، وبداية التدريس الدائم بمدرسة الهداية الخليفية، فلو أنّ التعليم ابتدأ بعد افتتاح مدرسة الهداية الخليفية لكان لهذا الرأي ما يدعمه، ولكن الدكتور الرميحي لم يشر إلى أنّ القائمين على التعليم لم ينتظروا حتى يُستكمل بناء المدرسة، بل لم ينتظروا حتى يقرّروا مكان إقامتها ويضعوا حجر أساسها، حيث يحتاج ذلك إلى سنوات، فاتّجه رأيهم إلى إيجاد مدرسة مؤقّتة لحين إكتمال الدائمة، وقد كان الحاج علي بن إبراهيم الزياني حينها يملك مسجدا ألحقت به مدرسة دينية بالقرب من بيته وفيها عدّة حجرات واسعة، وبمجرّد ظهور الفكرة جُهّزت هذه المدرسة بسرعة لتكون مدرسة مؤقّتة، وقد بدأت الدراسة فيها فعلاً وذلك في أواخر

عام 1919م ومطلع عام 1920م، مما يعني أنّ العام الدراسي 1919م/1920م هو فعلياً بداية التعليم النظامي في البحرين وليس العام 1921م"(50)...

ومهما تكن للتواريخ من أهمّية، فإنّ الأهمّ منها هو إلتقاء الإرادتين السياسيّة والشعبيّة من أجل إنشاء مشروع نهوض حضاري يبدأ بالتعليم الحديث وينتهي بإرساء قواعد الدولة الحديثة، فقد قام الأهالي بجمع الأموال، بينما بارك أهل الحكم هذه العمليّة وأشرفوا عليها وشجّعوها وساهموا فيها... وفي هذا الشأن فإن النبهاني يروي بأنّه: "في عام 1339هـ نهض حكّام البحرين وأشرافها ببثّ العلوم والمعارف فبدؤوا أوّلا بتأسيس المدارس العلمية وجمعوا لها من الإعانات نحو ثلاثمائة ألف روبية، وشرعوا في بناء مدرسة كلية وذلك في غرّة ربيع الأول من العام المذكور، وقد اختاروا لها موضعا خارج البلدة شمال المحرق على الساحل وأطلقوا عليها اسم مدرسة الهداية الخليفية... وقد حضر عند وضع أساسها حكّام البلدة وأعيانها، وإن أوّل حجر وضع في أساسها هو بيد صاحب العظمة سموّ الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، كما وأُنتخب رئيسها الأوّل الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة نجل الحاكم... وقد وصلتها في محرّم عام 1340هـ فرأيتها عجيبة البناء والموقع تشبه الثكنة العسكريّة أو الاستحكام الحربي"(51)...

أما بشأن إختيار المحرق موقعاً لإقامة المدرسة، بدلاً من اختيار المنامة عاصمة الدولة والمدينة الأكبر، فإن تفسير ذلك يعود إلى أنّ أسرة آل خليفة ووجهائها وكبار التجار العرب كانوا يقطنون فيها...

هذا وقد أشار "بلغريف" إلى أنّ التجار والوجهاء قد ساهموا في جمع الأموال لبناء هذه المدرسة، حيث وُضعت المدرسة بين أيدي لجنة من الوجهاء الذين أختيروا لثرائهم لا لعلمهم أو لتجربتهم(52)... بيد أنّ هذا الرّأي يبدو غير موضوعياً، حيث أنّ اللّجنة إشتملت على أعضاء معروفين بأنشطتهم الأدبيّة والعلميّة والثقافيّة، وذلك على غرار الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة، وقد سميت هذه اللجنة حينها بإسم "الإدارة الخيرية للتعليم"، وقد إشتملت على الأعضاء التالية أسمائهم، وهم:

1- الشيخ عبد الله بن عيسى بن علي آل خليفة رئيساً...
2- الشيخ الشاعر إبراهيم بن محمد آل خليفة نائباً لرئيس الإدارة...
3- السيّد عبد الوهاب الزياني النائب الثاني للرئيس...

4- السيد محمد صالح يوسف خنجي كاتب الإدارة...
5- السيد يوسف عبد الرحمن فخرو أمين صندوق الإدارة ومحاسبها...
6- السيد عبد العزيز القصيبي عضواً...
7- السيد محمد بن صباح البنعلي عضواً...
8- السيد عبد الرحمن بن عبد الوهاب الزياني عضواً...
9- السيد عبد الرحمن بن محمد الزياني عضواً...
10- السيد عبد الرحمن بن أحمد الوزان عضواً...
11- السيد سلمان بن حسين بن مطر عضواً...
12- السيد محمد بن راشد بن هندي عضواً...
13- السيد علي بن عبد الله العبيدلي عضواً...
14- السيد أحمد بن حسن بن إبراهيم عضواً(53)...

وقد كان المدير الأوّل لمدرسة الهداية الخليفية المصري (حافظ وهبة)، ومساعده السوري (محمد اليماني)... أما معلوم التسجيل للتلاميذ فقد كان يُدفع نقداً مرّة واحدة سنوياً وذلك عند الدخول في المدرسة، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن العائلات المعوزة كانت معفية من دفع المعلوم لأبنائها التلاميذ(54)...

هذا ويُبرز برنامج المواد الدراسية في المدرسة، بأنّها تستند أساساً إلى المواد الدينية إضافة إلى بعض مبادئ القراءة والكتابة والحساب...
والظاهر أنّ مدرسة الهداية الخليفية، وإن أُريد لها أن تكون مدرسة حديثة فقد وُصفت ولأكثر من مرّة بأنّها مدرسة دينية، وربّما كان ذلك توجساً وحذراً من معارضة بعض علماء الدين الذين لا يعرفون سوى المدارس الدينية... وفي هذا السياق نذكر ما ورد على لسان رئيس مجلس المعارف في الجلسة الأولى بتاريخ 13 ربيع الثاني عام 1338هـ حيث قال: "إخواني إنّي أرجو أن تكون هذه الساعة من أسعد الساعات وأبرك الأوقات حيث وفّق الله الاجتماع بقصد التعاون والتعاضد في أمر المدرسة الدينية التي عزمنا على إنشائها في بلدنا البحرين"...
كما وجاء في خطاب الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياني في الجلسة السادسة ما يلي: "إخواني ممّا منّ الله به علينا في هذه السنة المباركة توفيقنا للإعداد في تأسيس مدرسة دينية تعلّم أولاد المسلمين ما لربّهم من أمور دينهم وما يحتاجون إليه من أمور دنياهم، والعلم لا يُنال إلاّ بالتعلّم، والتعليم يتوقّف على

وسائل هي إنشاء المدارس الدينية لأنّها الجديرة بتعليم أولاد المسلمين وبتهذيبهم على أخلاق الدين"(55)...

هذا وقد قامت إدارة المدرسة بجلب مدرّسين من عدّة بلدان عربية من أجل الاستعانة بخبراتهم ومعرفتهم، حيث قدموا من العراق وسوريا والكويت والسعودية ومصر ثم جاء بعدهم آخرون من إنجلترا والهند، أمّا بالنسبة لمدراء المدرسة الأوائل فهم حسب الترتيب كما يلي: حافظ وهبة، عبد العزيز العتيقي، محمد عبد الله اليماني، عثمان الحوراني، نجيب بليف، ممدوح الداعوق، محمد خير الدين الحبّال...

أما أهمّ المشاكل التي اعترضت مدرسة الهداية الخليفية فقد كانت مشكلة التمويل، والذي تقرّر أن يكون مصدره البحرينيون الموسرون، وإلى جانب ذلك فقد افتتح باب التبرّع لجمع الأموال، فتبرّع الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة عن نفسه وأفراد عائلته بمبلغ 20 ألف روبية، كما وتبرّع الكثيرون كل حسب قدرته، حيث جمعت التبرعات حينها مبلغاً وقدره 300 ألف روبية...

وفي الوقت الذي كانت فيه الدراسة جارية في مقر المدرسة المؤقّت، كانت أعمال البناء في المقرّ الدائم مستمرّة وذلك حتى العام 1923م... حيث أُستكمل في ذلك التاريخ بناء ثلاثة أقسام من المدرسة، بينما بقي قسم رابع لم يُستكمل وذلك بسبب عدم توفّر المال، وقد قُرّر أن يتم بناءه لاحقاً، حين يتوفر المال اللازم لذلك...

وفي حقيقة الأمر فإنّ مدرسة الهداية الخليفيّة لم تكتفِ بالنشاط التعليمي فقط، بل كان لها إلى جانب ذلك نشاط ثقافي أيضاً، والذي كانت من أبرز تجلّياته احتضان أوّل عمل مسرحي في البحرين، قُدّم على خشبة مسرح المدرسة في العام 1925م، وقد كان بعنوان "القاضي بأمر الله"، كما وعُرضت على مسرح المدرسة كذلك مسرحيّات أخرى، منها واحدة بعنوان "وفود العرب على كسرى" وذلك في العام 1926م...

وقد توالت الأعمال المسرحية بعد ذلك، حيث عُرضت مسرحية أخرى بعنوان "داحس والغبراء" عام 1927م، بينما عرضت المسرحيّة الموسومة بـ"حذاء أبو القاسم الطنبوري" في العام 1928م(56)...

ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّ جميع هذه المسرحيات المذكورة وغيرها، كانت قد قدّمت في عهد المدير الرابع لمدرسة الهداية الخليفية؛ (عثمان

الحوراني)، والذي أسس المسرح المدرسي مستثمرا الحفل السنوي للتخرج لتقديم هذه العروض التي تدور حول التاريخ العربي...

تأسيس التعليم الحديث للبنات في البحرين:

من المعروف بأنه قديماً كانت للفتيات فرصة ضئيلة وحظ قليل للتمتّع بالتعليم في البحرين وذلك ما قبل القرن العشرين، حيث لم يكن يُسمح لهنّ بمغادرة المنزل عند بلوغهنّ سنّ العاشرة، كما ولم يكنّ يُشاركن في العمل خارج المنزل... وقد كان من عادة الرجال في الأسرة تعليم الفتيات بعض السُور القصار لتمكينهنّ من أداء الصّلاة، ومع ذلك فقد تعلّمت بعض الفتيات قراءة العربيّة وكتابتها، وذلك بمساعدة إخوانهنّ الذين تعلّموا في بعض المدارس الخاصّة التي ظهرت قبل عام 1919م(57)...

وعندما فتحت البعثة المسيحية الأمريكية مدرسة للفتيات عام 1892م بدأ أهالي البحرين يطلعون على الأسلوب الغربي الحديث في التعليم، وقد كانت السيدة مارجوري بلغريف (Marjorie Belgrave) أوّل من خطرت لها فكرة تأسيس مدرسة خاصّة للبنات...
وبعد تسع سنوات على ظهور التعليم النظامي للبنين أي في عام 1928م، إفتتحت حكومة البحرين ومن خلال اللّجنة المشرفة على التعليم أوّل مدرسة عامّة للبنات في منطقة الخليج العربي(58)... حيث يشير بلغريف في مذكراته إلى أنّ حاكم البحرين وحرمه وافقا على المشروع بل وعدا بدعمه ومساندته، إلاّ أن هذا المشروع قوبل بمعارضة شديدة من المحافظين، والذين كانت حجّتهم في ذلك قولهم: "إذا تعلّمت الفتيات القراءة والكتابة فلا شيء يمنعهنّ عن مراسلة الرجال دون معرفة أولياء أمورهنّ"... وإلى جانب ذلك فقد وقعت إدانة دارسة البنات في الخطب في المساجد، وقدّمت عرائض للحكومة ضدّ هذه المدارس، وعلى الرّغم من ذلك تم إفتتاح أوّل مدرسة ابتدائيّة للبنات عام 1928م، وذلك في بيت عبد الرحمن محمد الزياني في المحرق، بعد الإتفاق على تسميتها "مدرسة الهداية الخليفيّة للبنات في المحرق"، وقد اقتصر تعليمهنّ حينها على المستوى الابتدائي، وقد إستمر كذلك حتى الخمسينات من القرن العشرين(59)...
وقد كان من الملاحظ بأن الكثير من الفتيات اللواتي التحقن بالمدرسة كُنّ أكبر سنّا من العمر العادي لبدء الدراسة، كما وكنّ في عين الوقت يَعرفن بعض

مبادئ القراءة والكتابة والتي تعلّمنها في الكتّاب، حيث كان يجرى اختبارهنّ لتحديد مستوى تعليمهنّ...

هذا ولم تكن برامج التدريس في مدرسة الهداية للبنات تختلف عن نظيرتها في مدرسة الهداية للبنين، اللهم فيما عدا ما يتعلّق بتعليم الفتيات بعض مبادئ التمريض والإسعافات الأوّلية والقواعد الصحية، فضلاً عن تعليمهنّ الخياطة والحياكة والتطريز، ما يدلل على أنّ الغاية من تعليم الفتيات في ذلك الزمن لم تكن من أجل إعدادهنّ للعمل، بقدر ما كانت من أجل تعليمهنّ طرق الاعتناء بالمنزل وتربية الأطفال(60)، علماً بأن التعليم في هذه المدرسة كان قد لقي إقبالا كبيرا من قبل الطالبات...

وفي نفس السياق فقد أعتبرت السيدة مريم عبد الله الزياني أوّل مدرسة بحرينية تعطي دروساً في مدرسة البنات بالمحرق، كما وكان لها أثر كبير في تشجيع الفتيات على الإلتحاق بهذه المدرسة(61)...

ويتبين مما سبق بأنّ المناصرين لتعليم البنات في البحرين، كانوا يطمحون إلى إحداث تغيير عميق في بنية المجتمع المحافظ تصبح المرأة من خلاله زوجة متعلّمة تتجاوب مع زوجها المتعلّم، وأمّاً متثقّفة تحسن تربية أبنائها، وإنسانةً مثقفةً تُشارك في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما جعل عثمان حوراني مدير مدرسة الهداية للبنين يراسل الطلاب البحرينيين في الجامعة الأمريكية ببيروت لتبشيرهم بافتتاح مدرسة البنات، وإخبارهم بأنّهم سيجدون مستقبلاً زوجات متعلّمات(62)...

وفي العام 1929م قرّرت الحكومة إنشاء مدرسة أخرى للبنات في المنامة، عُهد بإدارتها إلى زوجة ناظر المعارف (فائق أدهم)، وقد عرفت بإسم "مدرسة الهداية الخليفية الأميريّة للبنات بالمنامة"، وعلى ما يبدو فإنّ أهالي المنطقة لم يتقبلوا كثيراً هذه المدرسة في البداية، مما أضطرّ مجلس المعارف حينها إلى الإستعانة بأهل الفكر والنفوذ لإقناع الأهالي بإرسال بناتهم إلى هذه المدرسة...

هذا ويعود الفضل في تواصل تعليم البنات إلى جملة من الرائدات من داخل البحرين ومن خارجها، وذلك على غرار السيدتين لطيفة بنت يوسف الزياني ومريم بنت أحمد بن راشد الزياني، علماً بأنّ الكثير من سيّدات أسرة الزياني كانت لهنّ بصمات واضحة في مجال تعليم البنات... وأمّا رائدات التعليم من غير البحرينيات، فنذكر منهنّ مثلا الأستاذة (وفيقة صواف) المعروفة بإسم (وفيقة نايز) (ت1966م)، والتي قدمت من لبنان إلى البحرين، وعملت كمديرة لمدرسة "خديجة الكبرى للبنات في المحرق"، حيث ساهمت في تحفيز

الطالبات على الجد والإجتهاد والدراسة... كما ويعود الفضل إليها في تأسيس المسرح المدرسي النسائي في النظام التعليمي البحريني، وقد حدث ذلك عندما شرعت في إزاحة الستار عن مسرحيّة طلابية نسائية عملت بجدّ لتجسيدها على خشبة مسرح المدرسة، والتي كانت بعنوان "الوصي الخائن"(63)...

الخاتمة:

لقد وقفنا من خلال هذا البحث المتواضع على المنعطف الحاسم الذي شهده التعليم في عهد حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حيث حدثت في هذه المرحلة الزمنية طفرة نوعية أدت إلى الإنتقال من التعليم التقليدي إلى التعليم الحديث، ما أدى إلى نتائج كبيرة ترتبت على هذه الطفرة، وإنعكست إيجاباً على المجتمع البحريني...

ولعلّ من أهمّ العبر المستخلصة من هذا البحث، هو الدور المحوري الذي تقوم به السلطة السياسية عندما تلتقي رغبتها مع رغبة شعبها، فحينها تتكاتف قوى السلطة مع قوى المجتمع ما يؤدي إلى صنع المعجزات، وتذليل جميع الصعوبات...

وإلى جانب ذلك فمن الضروري عند إستقراء تاريخ نشأة التعليم الحديث في البحرين، أن نستشف البعد الوطني لهذا الحدث فهو يمثل خطوة من خطوات السير في إتجاه تحقيق الشخصية الوطنية البحرينية المتميزة بحضارتها العربية الإسلامية من جهة، وبانفتاحها على الثقافة الحديثة من جهة أخرى...

ولئن كانت تجليات البعد الوطني حاضرة دوماً، وذلك من خلال نماذج كثيرة للشخصيات الوطنية المناضلة التي اشتغلت في ميدان التعليم ونفيت بسبب نشاطها الوطني، فإن من أهم هذه التجليات ما كان يُنشده تلاميذ مدرسة الهداية الخليفية:

يا ربنا يا ذا المنن
أكثر مدارس الوطن
وأجزل الخير لمن
يجري على هذي السنن

حيث كان هذا النشيد من تأليف العالم البحريني الشيخ (محمد صالح يوسف) مدرس اللغة العربية في مدرسة الهداية الخليفية في تلك الفترة من الزمن...
وإلى جانب ذلك فقد كان الطلاب ينشدون كذلك:

شبابنا للحروب
وشيبنا للخطوب
فقيام وقعود
في سبيل العرب(64)...

ومما يُضاف إلى العلامات المضيئة في تاريخ التعليم في البحرين، هو التكامل بين المدرسة وبقية المؤسسات الثقافية كالنوادي والمكتبات والمطابع والصحف فالتعليم لا يمكن أن يزدهر دون أرضية ثقافية داعمة له ومحتضنة لمكونات العملية التعليمية وخاصة الأستاذ والتلميذ...

ويبدو بأنّ هذا أيضاً مما دفع إلى بروز ظاهرة طريفة في البحرين ألا وهي تعليم الكبار، حيث إن الكثير من أفراد هذه الفئة لم يكن في مقدورهم دخول المدرسة بسبب تقدم سنهم، فتم فتح الباب لهم للإنضمام إلى المدرسة في الفترة المسائية على أن يكون مقر التعليم في نادي الإخاء الأدبي، وهكذا خاضت البحرين أول تجربة لتعليم الكبار...

وهنا لا بد من التأكيد على أن جميع ما تحقق من إنجازات في ميدان التعليم في البحرين يعود إلى قيادة سياسية رشيدة تفاعلت مع شعبها ونخبته المتنورة وأنصتت إلى تطلعاته وتوجهاته الإصلاحية، كما ولا بدّ في هذا السياق أيضاً من التنويه بجهود حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وابنه الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة، واللّذين لم يتوانيا عن تقديم المساعدة المادية والمعنوية لعملية تأسيس التعليم الحديث إيمانا منهما بأنّ هذا العمل هو لبنة جوهرية من لبنات بناء الدولة الحديثة، والتي ستثمر ثمرات حلوة المذاق لأبناء جيلها والأجيال القادمة...

ولعل أهمّ شهادة عما تحقق من هذه الثمرات هو ما ذكره أمين الريحاني قائلاً: "ولا نزال في سلسلة المدهشات، فإنّ في البحرين إذا كنت ممّن يهمهم الأدب والشعر نهضة أدبية واجتماعية مباركة. أجل إنّ في هذه الجزيرة من الأدباء والشعراء عددا ليس بقليل وذكاء ليس بضئيل. إنّ فيها نهضة تُقارن أخواتها في العراق والكويت، وتُقارن روحا وطموحاً على الأقل أخواتها في سوريا ومصر، فهذا ناديها الأدبي وفيه من المجلات العربية أكثرها وأحسنها، وهذه غرف القراءة وفيها من الكتب الحديثة والقديمة أنفسها، وهذه المدرسة

الابتدائية وفيها يُعلّم بعض العلوم التي لا تزال تعدّ في اليمن مثلا من بواعث الكفر والضلال، وفيها من المعلمين العراقي والمصري والنجدي، إنّ البحرين ليست سوى معبر إلى نجد حبّذا المعبر وما فيه من مدهشات الثقافة والعمران"(65)...

المراجع والمصادر:

[1] مبارك الخاطر، القاضي الرئيس قاسم المهزع، ط2، دون مكان ودون تاريخ...

[2] فؤاد إسحاق الخوري، (1983م)، القبيلة والدولة في البحرين، بيروت، معهد الإنماء العربي...

[3] محمد غانم الرميحي (1995م) البحرين، مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، بيروت، دار الجديد...

[4] أمين الريحاني (1987م)، ملوك العرب، بيروت، دار الجيل...

[5] يوسف صلاح الدين، ذكرياتي عن بداية التعليم الحديث في البحرين، جريدة أخبار الخليج، العدد 12326، الخميس 22/12/2011م...

[6] هاشم عبد الرزاق صالح الطائي، ملامح نموّ الوعي الديمقراطي في الخليج العربي، دراسة تاريخية، مجلّة جامعة كركوك للدراسات الإنسانيّة، المجلّد 7، العدد 7، 2012م...

[7] فرحان عبد الله الفرحان، الشيخ المفكر عبد العزيز محمد العتيقي، جريدة القبس، 12/04/2007م...

[8] عبد الحميد المحادين (2003م)، الخروج من العتمة: خمسون عاما لاستشراف الأفق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر...

[9] عبد الحميد سالم المحادين (2007م)، من ذاكرة البحرين، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر...

[10] عبد الله المدني، من "القاضي بأمر الله" إلى "كرسي عتيج" جريدة القدس العربي، 27 فبراير 2014م...

[11] منصور محمد (2009م)، دور المرأة البحرينية في رفد الثقافة، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر...

[12] النبهاني (1999م)، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، بيروت، دار إحياء العلوم، البحرين، المكتبة الوطنية...

[13] أحمد سعيد هواش، من رجالات حماة... عثمان الحوراني، جريدة الفداء، حماة، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، 17/1/2010م...

[14] حافظ وهبة (1935م)، جزيرة العرب في القرن العشرين، مصر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر...

Sophia Pandya (2012), Muslim Women and IslamicResurgence, London, I.B. Tauris and Co L ld. [15]

Shirawi, May Al-Arrayed (1987), Education in Bahrain 1919-1986 an analytic study of problems and progress [16]

Durham Theses, Durham university, p.3 http://etheses.dur.ac.uk/6662 [17]

الهوامش:

(1) صحيفة الوسط البحرينية، العدد 765، بتاريخ 10/10/2004 ...

(2) صحيفة الوسط البحرينية، العدد 3959، بتاريخ 10/07/2013...

(3) Sophia Pandya (2012), Muslim Women and Islamic Resurgence, London, I.B. Tauris and Co Lld p.34...

(4) Shirawi, May Al-Arrayed (1987), Education in Bahrain 1919-1986 an analytic study of problems and progress...

(5) Durham Theses, Durham university, p.3... (http://etheses.dur.ac.uk/6662/)

(6) حول ظهور التعليم الحديث في بعض بلدان الخليج العربي، انظر هاشم عبدالرزاق صالح الطائي، ملامح نموّ الوعي الديمقراطي في الخليج العربي، دراسة تاريخية، مجلّة جامعة كركوك للدراسات الإنسانيّة، المجلّد 7، العدد7، 2012م، ص5...

(7) عبد الحميد المحادين (2003م)، الخروج من العتمة: خمسون عاما لاستشراف الأفق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص31...

(8) فؤاد إسحاق الخوري، (1983م)، القبيلة والدولة في البحرين، بيروت، معهد الإنماء العربي، ص17...

(9) أمين الريحاني (1987م)، ملوك العرب، بيروت، دار الجيل، ص762...

(10) انظر معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، على العنوان الإلكتروني التالي:
www.almojam.org/poet_details.php?id=5097

(11) عبد الحميد المحادين، المرجع السابق، ص32...

(12) أمين الريحاني، ملوك العرب، المرجع السابق، ص763...

(13) عبد الحميد المحادين، المرجع السابق، ص34...

(14) أمين الريحاني، المرجع السابق...

(15) يقول أمين الريحاني: "حدّثنا الشيخ إبراهيم في مجلسه عن جمال الدين الأفغاني الذي عرّج مرّة على البحرين قال: لم يكن في تلك الأيّام من يعرف لجمال الدّين مقاما ولا من يكترث به حتى أنّه لم يجد في هذا البلد من يضيفه، هذا منذ ثلاثين سنة أمّا اليوم فترانا نرحّب بالعلم ورجاله"، المصدر المذكور، ص700...

(16) انظر المقال الألكتروني "مملكة البحرين في التاريخ الحديث، نقلاً عن كتاب "مقومات الحياة الثقافية في البحرين" (1918-م1938)م، الوثيقة عدد 52، ص10...
www.attarikh-alarabi.ma/html/hdad42partie/h.htm

(17) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص700...

(18) يوسف صلاح الدين، ذكرياتي عن بداية التعليم الحديث في البحرين، جريدة أخبار الخليج، العدد 12326، الخميس 22/12/2011م ...

(19) إبراهيم أحمد، الذكرى المئوية للشاعر البحريني الكبير عبد الرحمن بن قاسم المعاودة...
www.bna.bb/Portal/news/486546

(20) يقول أحمد العمران: "وقد عني الأستاذ العتيقي بنخبة من طلاب المدرسة وعددهم خمسة أو ستّة فألحقنا كأعضاء في النادي الأدبي في المحرق الذي تأسس عام 1920م... وكانت تقام فيه الحفلات والندوات الأدبية والاجتماعات الثقافية وتعليم الكبار... واستفدنا من المدرسة نهارًا ومن النادي ليلاً، وكنا ننتفع بمكتبة النادي الأدبي وتبرعنا لتدريس بعض الأميين مستفيدين من قاعات النادي، لقد كانت المحرق مركزا لنشر العلم والثقافة نهارا وليلا"، عبد الحميد سالم المحادين (2007)، من ذاكرة البحرين، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، ص7...

(21) بعد غياب لأكثر من ألف سنة عادت المسيحية إلى الظهور في البحرين بشكل رسمي عام 1310 هـ/1893م عندما أسس مبشّرون من الكنيسة الإصلاحية الهولندية (L'American Dutch Reformed Church) إرسالية لهم، انظر فصل "البحرين (Al-Bahrain)" لـ.رنتز (G. Rentez) وموليقان(W. E. Muligan) ، دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية) ط2، 1973...

(22) منصور محمد (2009م)، دور المرأة البحرينية في رفد الثقافة، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص80...

(23) محمد غانم الرميحي (1995م) البحرين، مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، بيروت، دار الجديد، ص187...

(24) زينب علي البحراني، مركز عبد الرحمن كانو الثقافي يقدّم أمسية عن تاريخ التعليم في البحرين، مدوّنة أحمد طوسون
http://ahmedtoson.blogspot.com/2011/12/blog-post_16.html

(25) أمين الريحاني، ملوك العرب، مرجع سابق، ص696...

(26) عبد الحميد محادين، الخروج من العتمة، مرجع سابق، ص 40...

(27) المرجع السابق، ص54، ويذكر صاحب هذا الكتاب أنه أخذ هذه المعطيات من رسالة من الشيخ محمد صالح إلى (مجلة) الهلال، وصف فيها بتوسّع حفل الحجر الأساسي (الوثيقة العدد 5 السنة 3 يوليو 1984م)...

(28) د. محمد الرميحي، البحرين، مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، ص199...

(29) المرجع السابق، ص231-232...

(30) المرجع السابق، ص512...

(31) مبارك الخاطر، القاضي الرئيس قاسم المهزع، ط2، دون مكان ودون تاريخ، ص121...

(32) النبهاني (1999م)، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، بيروت، دار إحياء العلوم، البحرين، المكتبة الوطنية ،ص143...

(33) عبد الحميد المحادين، من ذاكرة البحرين، ص157...

(34) عبد الحميد المحادين، الخروج من العتمة، مرجع سابق، ص39...

(35) المرجع السابق، ص63...

(36) المرجع السابق، ص131...

(37) المرجع السابق، ص39...

(38) المرجع السابق، ص54-55...

(39) المرجع السابق، ص86...

(40) المرجع السابق، ص86...

(41) المرجع السابق، ص93...

(42) المرجع السابق، ص161...

(43) المرجع السابق، ص86...

(44) فرحان عبد الله الفرحان، الشيخ المفكر عبد العزيز محمد العتيقي، جريدة القبس، 12/04/2007م ...

(45) المحادين،من ذاكرة البحرين، المرجع السابق ص80...

(46) المرجع السابق، ص10...

(47) أحمد سعيد هواش، من رجالات حماة... عثمان الحوراني، جريدة الفداء، حماة، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، 17/1/2010م...

(48) حافظ وهبة (1935م)، جزيرة العرب في القرن العشرين، مصر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص120...

(49) محمد غانم الرميحي، البحرين مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مرجع سابق ص198...

(50) المرجع السابق، ص198...

(51) عبد الحميد المحادين، الخروج من العتمة، مصدر سابق، ص61...

(52) الشيخ محمد النبهاني التحفة النبهانية، مرجع سابق، ص54-55...

(53) ,Shirawi, May Al-Arrayed, Education in Bahrain p. 62...

(54) عبد الحميد المحادين، الخروج من العتمة، مرجع سابق، ص41...
(55) Shirawi, p. 63...

(56) عبد الحميد المحادين، الخروج من العتمة، مرجع سابق ص63...

(57) عبد الحميد المحادين، الخروج من العتمة، مرجع سابق، ص132، وهناك اختلاف في تواريخ بعض المسرحيات لاحظناه عند الاطلاع على مقال صحفي كتبه عبد الله المدني، من "القاضي بأمر الله" إلى "كرسي عتيج" جريدة القدس العربي، 27 فبراير 2014م...

(58) Shirawi, May Al-Arrayed, Education in Bahrain 1919 1986 an analytic study of problems and progress, p. 74 ...

(59) محمد غانم الرميحي، البحرين مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مرجع سابق، ص201...

(60) منى عباس فضل (2008م)، التربية السياسية للبحرينيات، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص84...

(61) Shirawi p 75-74...

(62) عبد الحميد المحادين، الخروج من العتمة، مرجع سابق، ص412...

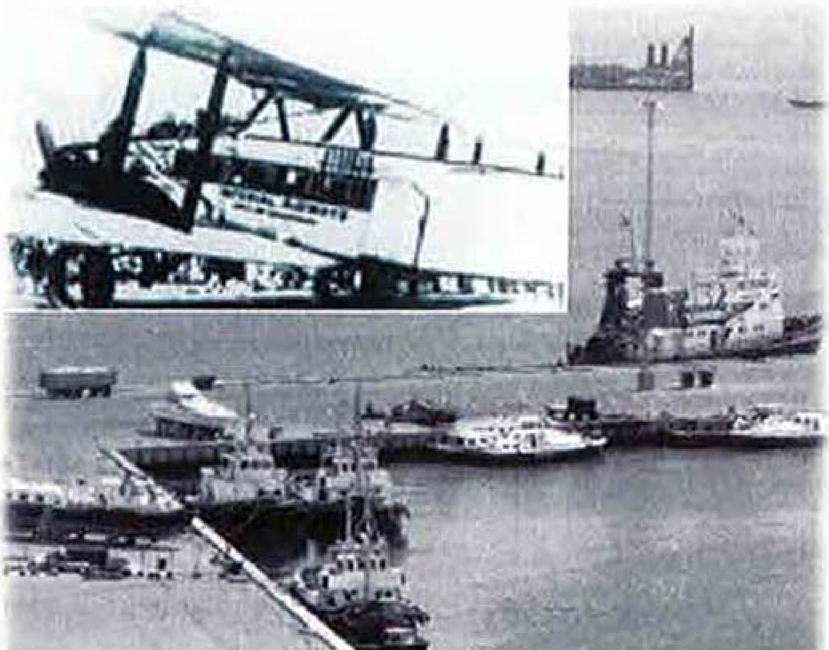
(62) المرجع السابق، ص412...

(63) وفيقة، ورقة التعليم الذهبية في البحرين، جريدة البلاد، بتاريخ 29/9/2013م ...

(64) عبد الحميد المحادين، من ذاكرة البحرين، مرجع سابق ص7...

(65) الريحاني، ملوك العرب، مرجع سابق، ص695.

التطوير الإداري والوعي الثقافي والإصلاح السياسي في البحرين إبان حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة...



دراسة تحليلية- وثائقية- سياسية- للفترة مابين عامي 1900م-1932م

إعداد الباحث:
السيد أحمد سعد عبدالله البوعينين،،،

تمهيد:

تُعد البحرين من أولى إمارات الخليج العربي التي شهدت حركات سياسية واجتماعية قوية أثرت ودفعت في سبيل إحداث إصلاحات في النظام السياسي والإداري للبلاد(1)، حيث يعود ذلك أساساً إلى واقع البحرين الجغرافي والسياسي والديمُغرافي، والذي يتميز تميزاً جوهرياً عن بقية الإمارات الأخرى في الخليج العربي، فالموقع الجُغرافي للبحرين قد فرض عليها واقعاً سياسياً مُختلفاً جعلها أكثر تأثراً بالخارج(2)، كما وأدى في عين الوقت إلى ظهور حركات وطنية مُطالبة بالإصلاح، ونمّوها وبشكل تصاعدي من مرحلة إلى أُخرى، وذلك في فترة الزمنية التي سبقت الإستقلال...

ومن أولى مُقدمات الإصلاح السياسي والإداري في البحرين، هي تزايد الوعي السياسي في مطلع القرن العشرين، وذلك إبان حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وبالتحديد بين عامي 1900م-1932م، حيث شهدت البحرين ظهور حركات إصلاحية قادها التُجار والمُتعلمون(3)، طالبت بالإصلاح والمُشاركة في الحُكم والتَخلص من المُستعمر البريطاني(4)، إلى جانب التَمسك بالحُكم القبلي والمتمثل في شخص الشيخ عيسى بن علي آل خليفة(5)، الأمر الذي جعل الشيخ عيسى يُوافق الأهالي بما أقترحوه عليه من تشكيل لجنة أهلية إستشارية(6)، تضعُ حداً لتدخُل وإستبداد المُعتمد السياسي البريطاني(7)...

ومن هذا المنطلق، فإننا في هذا البحث سوف نستدعي إستقراء وتحليل تاريخ البحرين السياسي في فترة حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، بإعتبارها أساساً ومُرتكزاً، لما نشهده اليوم من إصلاح وإنفتاح سياسي، وهو مما يستوجب علينا طرح التساؤولات التالية:

- كيف تعاملت الحركات الوطنية في البحرين مع تدخل المُعتمد البريطاني في الشأن الداخلي، وترجمت حراكها القومي إلى إصلاحات سياسية وإدارية؟...

- ما هو دور التعليم والصحافة والأندية الأدبية، وما هو أثرها في بلورة الوعي السياسي في البحرين؟...

المناهج التي يقوم عليها البحث:

- المنهج التاريخي:

إن التاريخ بمعناه المتعارف عليه، لا يدرس إلا أفعال الناس وتجاربهم في الماضي وذلك بإسلوب النقد والتحقيق والذي يجري من خلال المخطوطات والوثائق التي يتوصل إليها الباحثون والمؤرخون(8)، ولكي تتحق الإستفادة المرجوة من التاريخ، فلا بدَ الإعتماد على القواعد والأسس التي تتعامل مع الوقائع والمُعطيات التاريخية، وذلك لمُعالجة الموضوعات والإشكاليات والظواهر(9) التي قد تطرأ على المجتمع وتحليلها، حيث يُستخدم هذا المنهج في الدراسات السياسية، وذلك بهدف عرض الأحداث التي مرت في فترة زمنية مُعينة، من أجل تحليلها وإستيعاب أسبابها، وصولاً إلى فهم أدق وأعمق لهذه الأحداث، حيث يهدف بحثنا هذا من خلال منهجه التاريخي إلى فهم وإدراك تطور نظام الحكم في البحرين خلال فترة حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، إلى جانب إستقراء الأجواء التاريخية والإجتماعية التي أدت إلى ظهور الحركات الوطنية المُطالبة بالإصلاح السياسي...

- المنهج التحليلي:

يقوم المنهج التحليلي على تفهم الصور المُختلفة للأنظمة السياسية القائمة في فترةٍ ما وتفسيرها، ونحن ومن خلال هذا البحث، سنسعى من أجل تحليل التَطورات والأحداث التي طرأت على نظام الحكم في البحرين في الفترة الزمنية الممتدة مابين عامي 1900م-1932م، وخاصةً فيما يتعلق بتجربة الإصلاح الإداري التي حصلت في البحرين إبان وجود الإستعمار البريطاني، ومن ثم تحليل مدى أثر روافد الوعي التعليمي والثقافي والسياسي على تنامي الحس الوطني سيراً نحو إصلاح إداري وسياسي، وتحقيقاً لمُشاركة شعبية في إدارة الشأن الداخلي...

أهداف البحث :

1. التَّعريف بدور بيت الحكم في البحرين ومُشاركته في عملية التطوير السياسي والإداري ...
2. تحليل دور السُلطة الحاكمة، وتوضيح إهتمامها بالقضايا الداخلية السياسية والثقافية والإجتماعية والإقتصادية، إلى جانب بيان أثرها في بلورة الوعي السياسي في مرحلة مُتقدمة من تاريخ البحرين الحديث...
3. نقد وتحليل حركات الإصلاح الإداري، فضلاً عن المطالب السياسية التي ظهرت في تلك الفترة ...

وبناءاً على ماتقدَم فسوف تُحاكي محاور البحث ومن خلال إستقراء وتحليل الوثائق والمصادر ذات الصِلة، بدايات التطوير الإداري والوعي الثقافي والإصلاح السياسي في البحرين في عهد حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، والتي رسمت الخطوط الأساسية لشكل الدولة الحديثة وكيانها السياسي، حيث لعبت مرحلة العشرينات من القرن الماضي دوراً فاعلاً في تنشيط الحراك الوطني وتنمية الوعي السياسي في البحرين، وذلك من خلال تأثرها بما كان يدور في العالم العربي من حراك قومي، يُنادي بالتطوير والإصلاح والتخّلص من المُستعمر الأجنبي...

محاور البحث:

- المحور الأول:

بوادر الإصلاح الإداري والسياسي وإزدواجية التعاطي البريطاني...

لقد لعب موقع البحرين المُتميّز في قلب الخليج العربي وعلى مر الزمن دوراً هاماً في بلورة السلوك والوعي السياسي(10)، كما ولفت أنظار القبائل العربية المتواجدة في المنطقة من جهة، إلى جانب جذبه لأنظار الأقطاب والقوى المُتعددة في تلك الفترة من جهة أخرى(11)، الأمر الذي هدد عروبة البحرين ولأكثر من مرة(12)، فضلاً عن تأثيره على بعض الجوانب الأساسية فيها (13)...

وإدراكاً من السلطة البريطانية لأثر الإحتلال والأساليب الإستعمارية في تفريق الشعوب وتشتيتها، فقد سعت جاهدة لإحداث نوع من الفجوة بين الحاكم والشعب من جهة، والشعب بمكوناته من جهة أُخرى(14)، مُتطلعةً بذلك نحو إنقسام سياسي ومُجتمعي، عَكَس إزدواجية تَعاطيها مع موضوع تحقيق الإصلاح الكامل والشامل، والمنشود من قبل الحاكم والشعب(15)...

وفي ظل إتساع الفجوة ما بين الحاكم والشارع البحريني المُطالب بالإصلاح من جانب، والمُعتمد البريطاني وما يتبعه من فئة صغيرة إرتأت تقديم مصالحها الخاصة من جانب آخر، جاء البريطانيون بشعار آخر يهدف إلى تأجيج الشارع البحريني ويرفع من وتيرة المطالب، ويعمق في عين الوقت الشعور بالفراغ بين الحاكم وعامة الشعب، حيث سعت بريطانيا إلى تغذية الإحساس بأن الحاكم يرى في تغليب مصلحة بيت الحكم ومن يتبعه على المصلحة العامة للشعب البحريني، وهو ما لم يحصل في الواقع مطلقاً...

ومن أجل تحقيق الهدف الذي رسم ملامحة المُعتمد البريطاني في تلك الفترة، وتضييق الخِناق على حاكم البحرين(16)، وإحداث قدر كبير من الفراغ وعدم الثقة بين الحاكم و الشعب، تحرّك البريطانيون بقصد إحداث نوعٍ من التأجيج والطائفية والمذهبية بين أبناء الشعب(17)، مدّعين بأن سوء إستخدام السلطة، يؤدي إلى العصيان المدني، والثورة...

وعندما لم يتحقق ما خطط له البريطانيون، قاموا بربط الأمر بحادثة(18)، لا علاقة لها بالبحرين ولا بالمطالب الشعبية، حيث ظهر جلياً أن تدخلهم في الحادثة كان في حقيقة الأمر حجةً من أجل تحقيق مصالحهم وضياع الشارع بين المطالب المشروعة والمطالب ذات الطابع الخاص، والتي تخدُم البريطانيين وفئة صغيرة غلّبت مصالحها الشخصية على حساب كافة أبناء الشعب، وشرعية سلطة حكم الشيخ عيسى بن علي وأسرة آل خليفة...

وعلى الجانب الآخر فقد كانت المطالب الإصلاحية في صُلبها تهدف إلى المُشاركة في الحكم والمُحافظة على شرعيّة سلطته، المتمثلة في شخص

حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حيث لم تكن هناك مطالب أو منافع أخرى تسعى لفائدة طرف على حساب طرف آخر، وذلك على عكس المُحاولات البريطانية المُتمثلة في تأكيد المطالب الفئوية إضعافاً لسلطة الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة... وفي حين كانت الطبقة المُتعلمة تُنادي بالإصلاح وتغليب المنفعة العامة لأهل البحرين على جميع المطالب، فقد كان هذا الحدث لا يُلائم تطلعات السلطة البريطانيّة ولا يخدم مصالحها، الأمر دفعها إلى تأجيج الوضع الداخلي للبلاد، وذلك من خلال الطبقة العاملة في المُجتمع البحريني، حيث نجحت بريطانيا في إفتعال الصراعات والمُشاحنات، فضلاً عن خلق الإحتقانات الإجتماعية وجعلها تطفو على السطح المُجتمعي بين فترة وأخرى(19)... ومن الجدير بالذكر هو أنه وعلى الرغم من الكثير مما إفتعلته بريطانيا في ذلك الوقت، إلا أنه سرعان ما كان يزول وذلك بفضل حكمة العقلاء من أهل البحرين، والتي تغلّب المصلحة العامة على كل إعتبار...

وقد كانت جزيرة المحرق مُنطلقاً للحركات الوطنية، التي غلب عليها الطابع القومي المُطالب بالإصلاح الإداري والقضاء وشؤون الحكم(20)، وذلك على عكس المطالب الأخرى التي كانت تُحرّض ضد شرعية سلطة الحكم(21)، حيث وجدت بريطانيا ما أرادت في بعض الأفراد، فإستغلت أوضاعهم وأسست مِنهم حزب يؤيدها في صراعها مع حاكم البحرين(22)...

ولكن ومع تنامي الحس الوطني الإصلاحي، ونشأة التّعليم والصحافة وظهور الأندية، وما لعبته من دور في مُحاكاة الواقع السياسي، فإن القول يذهب إلى تحديد هذه الروافد ووضعها في قالب موضوعي يُفسر مُساهمتها في ظهور مجموعة عوامل أدت إلى نمو الفكر الإصلاحي في البحرين، وما أفرزه من حركات سياسية وإنتفاضات شعبية مُطالبة بالإصلاح السياسي في مرحلة مُبكرة من تاريخ البحرين الحديث...

- المحور الثاني:

روافد الوعي والإصلاح والتطوير السياسي في البحرين...

1- تطوير التعليم:

تعود بدايات الحركات الوطنية الإصلاحية في البحرين إلى العشرينات من القرن الماضي، وقد حصل ذلك بدعم مُباشر من بيت الحكم متمثلاً في شخص الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حيث ترتبط بداية الوعي الوطني المطالب بالإصلاح بعلاقة وثيقة ما بين توقف الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة في القاهرة، وهو في طريق العودة من لندن عام 1919م(23)، وما بين تطلع أهل البحرين للتعليم...

فعند عودة الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة إلى البحرين محملاً بالفكر التعليمي الجديد، إلتقت أفكاره في سبيل تطوير التعليم بأفكار النُخبة المثقفة والمُتعلمة من أهل البحرين، فسارعوا بالتبرع لأنشاء مدرسة تعليمية حديثة، الأمر الذي لم يُعجب الأنجليز! ولم يكن ذلك نابعاً من عدم رغبة بريطانيا في تعليم أهل البحرين، وإنما كان لعدم قناعتها ورضاها عن الأشخاص الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية التعليم وتطويره(24)...

وقبل هذا كُله، وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت قد بدأت في البحرين ظاهرة التعليم الخاص، وقد حدث ذلك من خلال المدرسة التابعة للإرسالية الأمريكية، والتي إفتتحتها السيدة زويمر عام 1892م(25)، وكردة فعل تجاه هذه المدرسة؛ فقد قامت الجالية الإيرانية بإفتتاح مدرسة عام 1910م(26)، ولكنها أُعتُبرت بأنها كانت دعاية للسُلطة الفارسية(27)، وقد كان إسمها مدرسة الإتحاد(28)، ولا يفوتنا في هذا السياق أن نُذكر بأن البحرين على مر زمانها لم تكن ببعيدة عن التعليم، فقبل التعليم الخاص كان هناك التعليم الديني، وذلك في الكتّاب وعلى أيدي شيوخ الدّين...

وعودة للحديث عن المدارس العامة فقد بدأ التعليم النظامي فيها في العام 1919م، وذلك في مدرسة الهداية الخليفية بالمُحرّق(29)، وبعد سنوات قليلة، قامت حكومة البحرين بإفتتاح فرعيين لمدرسة الهداية، وذلك في كلٍ من الحِد والرفاع، وفي هذا الصدد فإن نصيب البنات من التّعليم لم يكن ببعيد عن ذلك، حيث تم إفتتاح مدرسة خديجة الكبرى في المحرق في العام 1928(30)...

هذا ومما تجدر ملاحظته هو أن التعليم الخاص والعام في البحرين قد أنحصر في بداياته في المناطق التي تتوفر فيها سبل المواصلات المُختلفة، ولم يكن ذلك تجاهلاً للمناطق الأُخرى؛ وإنما لصعوبة التنقّل في تلك الفترة، فضلاً عن إعتبار المحرق عاصمة للبحرين في ذلك الوقت، والتي يجتمع فيها العيش المُتجاور الكريم بين كل أطياف شعب البحرين...

وفي جميع الأحوال، فإنه إن كان للتعليم في البحرين أثر بالغاً في تكوين الحس الوطني والوعي السياسي، فإننا نجد أن للصحافة كذلك دوراً تأسيسياً مهماً يوازي أثر التعليم ويتماشى معه، علماً بأن ذلك لم يكن بالشيء الغريب على البحرين، حيث أنها من أولى إمارات الخليج العربي التي شهدت إزهاراً في فن الطباعة وأنتشاراً للصحافة، وخاصة في الفترة ما بعد الحرب العالمية الأولى(31)، ما أدى إلى ظهور شيء من القلق وعدم الإستقرار في البحرين(32)؛ وذلك تبعاً لمُهاجمة الصحف العراقية والمصرية والسورية للمُستعمر البريطاني فيها(33)...

وإنطلاقاً من ذلك، فإنّ ملامح الحس الوطني ودوافع التغيير من أجل مُقاومة المُستعمر الأجنبي، قد بدأت تظهر في البحرين منذ الربع الأول من القرن العشرين، حيث إنعكست صورتها على النّشاط الثقافي والفِكري فيها، خاصةً وإن غالبية التّيارات السياسية حينها كانت بقيادة النخبة من المُتعلمين والمُثقفين(34)، وعلى هذا الأساس فقد قامت بريطانيا بلعب دور كبير من أجل العمل على خلخلة الصّورة الثقافية والتعليمية، فضلاً عن الصورة

العشائرية والقبلية في البحرين بشكل خاص والخليج العربي بشكل عامّ(35)...

ومما يُمكن قوله في هذا الشأن هو أن ردة الفعل الوطني، قد أخذت مظاهر مُتباينة، وذلك تبعاً للظروف التي نشأت فيها، ما جعلها تُعبر عن نفسها بوسائل وتوجهات مختلفة؛ دينية وفكرية ووطنية وغيرها، وهو ما إنعكس في إهتمامها بالتعليم والذي تَمثّل بالمدراس التي أفتُتِحت في البحرين في تلك الفترة، والذي سار جنباً إلى جنب مع إهتمامها بالتوجه القومي الذي كان قد تَبلور في الوطن العربي في تلك الفترة ضد المُستعمر الأجنبي، ذلك أنّ المطالب الوطنية بجميع أشكالها لم تكن إلا مُقاومة لإخضاع البحرين للقوانين المدنية والإدارية السارية في الهند، حيث وُصفت هذه المطالب في تاريخ البحرين المبكّر؛ "وطالبت بها الفئة المُتميزة والبُرجوازية"(36)...

<u>2- النهضة الصحفية:</u>

أما على الجانب الآخر، فقد بدأت النهضة الصّحفية في البحرين تأخذ دورها، والذي ظهر جلياً من خلال إصدار "صحيفة البحرين"(37)، حيث صارت الصحافة مرآةً تعكس تطوّر الأحداث في البحرين خاصةً، ومنطقة الخليج العربي عامةً، ما يدلل على قوة تأثيرها على الوعي السياسي والقومي حينها، فقد تمكّنت من جمع الرأي العام من حولها، وعبّرت عن أماني الشعب في الحرية والإصلاح والإستقلال عن المُستعمر الأجنبي؛ وعليه فإنه ليس من الغريب أن تلتف الفئات المُثقفة الواعية من أصحاب الرأي والفكر حول الصحافة، وذلك لما تعكسه من واقع يعيشهُ الشارع البحريني، والمتمثل في تطلّعه للتّخلص من هيمنة السلطة الأجنبية، وإصلاح النظام السياسي والإداري...

وهكذا إستطاعت الصحافة أن تغدو محوراً تتبلّور حولهُ الأحداث الوطنية الهامة، مثل أمور الإصلاح والتّخلص من المُستعمر البريطاني(38)، بل وأصبحت منبراً يمثل مختلف الإتجاهات، وأداةً لنشر توجهات الرأي العام

حول مُختلف الشؤون(39)؛ وذلك تبعاً لغياب المؤسسات التشريعية المألوفة في الأنظمة الغربية في البحرين، والذي يُعد أمراً طبيعياً نابعاً من كونها مازالت تحت هيمنة المُستعمر الأجنبي، ولا تتمتع بأي نوع من السيطرة على شؤونها الداخلية (40)...

هذا وقد لعبت الثقافة العصرية التي أخذت تنتشر في البحرين في تلك الفترة، دوراً مُساعداً للحركات الوطنية(41)، حيث كان التّعبير عن الواقع السياسي والحِراك الوطني الذي تعيشه البحرين محصوراً في الفئة المُتعلمة فقط؛ وقد كان ذلك لا يعود لعدم رغبة البقية في الإصلاح والتّخلُص من هيمنة الأجنبي؛ وإنما كان تبعاً لما تَمتّعت به تلك الطبقة المتعلمة والمثقفة من الشعب من وعي وفكر سياسي وإصلاحي(42)، فكانت الأندية والمسارح مكاناً يتلقي فيه الناس في مُختلف الأوقات، يناقشون فيها الأحاديث ذات الصبغة السياسية الواعية، ويتبادلون فيها ما نشروه في الصُحف والمجلات من خارج البحرين، حتى وإن كان ماكتبوه يقع تحت أسماء مُستعارة في بعض الأحيان(43)...

3- تأسيس النوادي الثقافية والأدبية:

لقد كان لتنامي ظاهرة إنشاء وتأسيس النوادي الأدبية في البحرين أثراً ملموساً في التّحول السياسي، إلى جانب كونها دليلاً واضحاً يُعزّز من وعي الشعب البحريني ويُبيّن مدى ثقافته(44)، وقد حدث الأمر في بدايته في العام 1913م، عندما أُسست مكتبة صغيرة في شارع الشيخ عبدالله بالمنامة(45)، أُطلق عليها أسم "أوال"، وتم إمدادها بالكُتب والصُحف، وقد بقيت كذلك حتى تم فيما بعد تغيير أسم المكتبة، حيث سُمّيت ب"نادي أوال"، وبعد مضي فترةٍ من الوقت وتحديداً في العام 1920م، تم تأسيس النادي الأدبي في المحرق(46)...

وهكذا يتبين لنا بأن البحرين كانت سبّاقة في تأسيس الأندية الأدبية وإنشاءها في الفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية(47)، حيث أخذت تلك الأندية على

عاتقها الإهتمام بالقضايا العربية والقومية، وذلك تبعاً لزيادة الوعي الثقافي والسياسي، وإنتشار الفكر القومي العربي، فضلاً عن إزدياد عدد المُتعلمين فيما بين أفراد الطبقة الوسطى والموظفين، وظهور المطالب المُنادية بالحرية والإصلاح(48)، الأمر الذي أدّى إلى تعزيز دور النُخبة من أهل البحرين في التطوير الإداري، والمُشاركة السياسية...

- المحور الثالث:

تنامي الحس الوطني نحو الإصلاح من الداخل البحريني...

مما لا شك فيه هو أن المطالب الشعبية، كانت السبب الأول الذي جعل من الحركات الإصلاحية في البحرين تأخذ مساراً مُتصاعداً، وعلى الرغم من إنحصار تلك المطالب في فئة مُعينة من الشعب، فقد ذهب الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إلى تلبية الشيء المعقول منها، والذي كان يصُب في مجرى الصالح العام للبلاد، وبعد إستجابة الشيخ عيسى للمطالب التي قُدِمت له، ظهرت مطالب أُخرى ولكنها كانت هذه المرة تعكس توجهات فئة من التجار والمُلاك الصغار من الذين كانوا خارج اللعبة السياسية في الفترة السابقة، ما جعل بريطانيا تدعي بأن هذه المطالب تهز الدولة وأركانها(49)، وعلى الرغم من ذلك فقد قام حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بالإستجابة لتلك المطالب(50)...

وكما هو معروف فإن الإصلاح وبمعناه الشامل يُمثل أساساً ضرورياً في بناء أي مُجتمع ديمُقراطي حُر مُتطوّر ومُتقدّم، ولتحليل وتمحيص ونقد الحركات الإصلاحية التي إرتبطت بتاريخ البحرين الحديث في الفترة الزمنية الواقعة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، فلا بد من ربط معطيات تلك المرحلة وجملة الظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية التي كانت تمر بها البحرين في تلك الفترة(51)، فضلاً عن التكوين السكاني والديمُغرافي لها، والذي شكّل حجر الزاوية في إستقرار البحرين حينها، كما وساهم في وقوفها بوجه التّدخُل البريطاني في شؤونها الداخلية...

وتُعتبر حركة العام 1921م، أول حركة إحتجاجية جماهيرية مُنظمة تجري في البحرين وتُطالب بالإصلاح(52)، والتي عبّرت في حقيقة الحال عن الفترة الزمنية التي نشأت فيها، فضلاً عن الظروف والأحوال التي أدت إلى ظهورها، والتي تمثلت على وجه الخصوص في رفض تطبيق الأنظمة والقوانين المدنية المعمول بها في الهند(53)، وذلك لتعارضها مع أحكام الشريعة الإسلامية(54)...

وحقيقة الأمر هو إن عدداً من شيوخ الدين في البحرين، ووجهاء القُرى وقادة الرأي العام فيها، قد إجتمعوا بحاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وطلبوا منه وضع حد للتّدخل البريطاني في شؤون القضاة(55)، حيث كان العامل الديني السبب الرئيسي وراء رفض الأهالي للقانون الذي فرضته بريطانيا، فضلاً عن رفضهم للتّدخُل المُباشر من قِبل الأجنبي في الشؤون الداخلية للبحرين، ومُمارسته الضغط المُباشر على حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حيث طالب شيوخ الدين والمُثقفون من أهل البحرين حينها برفع يد المُعتمد البريطاني عن التدخل في الشأن الداخلي البحريني؛ ويتبين مما سبق بأن هذه المطالب لم تكن تمُس الواقع المعيشي لأهالي البحرين فقط، وإنما كانت في واقع الحال مطالب شبه تشريعية(56)...

ونظراً للمواقف الخيرة الدائمة التي تجمع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة مع أهالي البحرين، وموقفهم معه عندما بايعوه حاكماً عليها، فإن الشيخ عيسى لم يوافق على تحقيق جميع مطالبهم فحسب، بل إنه قام بتوثيق تلك المطالب وموافقته عليها بأوراق رسمية سُلّمت لهم، وذلك في مُقابل تعهُدهِم بالسّمع والطّاعة، إلى جانب مُتابعته الشخصية لإمور المجلس الذي إقترحوه(57)...

وفي واقع الحال فإن مشورة مُتابعة أمور المجلس بصفة شخصية من قبل حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، لم تكن إلا بتشجيع من قبل المُعتمد البريطاني وذلك بغرض الإيقاع بين الحاكم وشعبه، الأمر الذي رفع من حدة التوتر بين الحاكم و الأهالي، وأدى إلى فقدان الثقة بين الراعي

والرعية، وعليه فإن الأمور لم تجرِ كما أراد لها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة؛ والسبب في ذلك يرجع إلى الدسائس التي حاكها الأجنبي، والتي أحاطت بالمشروع الإصلاحي الأول في البحرين، ما جعل العلاقة بين الأثنين تدخل في سوء فهم أدّى في نهاية الأمر إلى توقُّف المشروع(58)...

إما بالنسبة لما كان يتطلع إليه الأنجليز، فهو إنشاء مجلس بلدي ذو صلاحيات محدودة تضمن في جميع الأحوال سيطرتهم الكاملة على أمور البلاد، وعليه فقد إقترحوا إنشاء مجلس بلدي يضم ثمانية أعضاء يختار الحاكم منهم أربعة، بينما يختار المُعتمد البريطاني الأربعةَ الأخرين، على أن يكونوا من الجاليات الأجنبية(59)، وعلى هذا الأساس طلب أهالي البحرين ومثقفيها ورجال الدين ووجهاء البلاد إلى إجتماع فيما بينهم(60)، أسفر عن تشكيل جمعية تأسيسية تقدمت بعدة مطالب للحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وذلك رغم الرفض المُستمر من قبل المُعتمد البريطاني(61)، حيث عكست تلك المطالب الرغبة الأكيدة لأهالي البحرين في الإصلاح والتطوير ومُساعدة الحاكم لهم في تحقيق ذلك، كما وكانت بمثابة ورقة ضغط على المُحتل البريطاني، والذي إرتأى وتحقيقاً لأهدافه ومصالحه بأن الإصلاح في البحرين لابد وأن يمُر عبر القوانين المعمول بها في الهند...

هذا وعلى الرغم من التّدخل البريطاني في الشؤون الداخلية للبحرين، إلا أن هناك مجموعة من العوامل الفاصلة في تاريخ البحرين النضالي والإصلاحي، والتي أدت إلى قيام حركة إصلاحية في البلاد تمتّع قادتها بدرجة عالية من الوعي السياسي والتّفاعُل الروحي والفكري مع تيارات القومية العربية، والتي عبّرت عنها حينها الصحف العربية المُختلفة الصادرة في العراق ومصر وسوريا، بإعلان كراهيتها للمُستعمر البريطاني، ورفضها لتدخّله المُستمر في الشأن الداخلي البحريني، وخاصة فيما يختص بتطبيق القانون الهندي على مصالح الناس...

وعندما إستجاب الشيخ عيسى بن علي آل خليفة للمطالب الشعبية اللّاحقة، تم فرض الضرائب على جميع المُواطنين دون أي تمييز، وإدراكاً من الشيخ عيسى بأنه سوف يُلاقي إعتراضاً على ذلك من قِبل الفئة المتميزة لدى

السلطة البريطانية والتي كانت تُنادي بمطالب تخدم مصالحها الخاصة وبمُباركة المُعتمد البريطاني، وعليه فقد طلب الشيخ عيسى من المُعتمد البريطاني شخصياً أن يستفسر له عن موقف حكومة الهند في هذا الخصوص، وإن كانت ستُقدم له الدعم اللآزم في حالة إصراره على تطبيق القانون(62)، وعلى عكس ما توقَّع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة(63)، فقد تُرك يواجه مصيره بنفسه(64)...

ويتضح مما سبق بأن سياسة بريطانيا كانت ترمي إلى جعل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وحيداً، وخاصةً مع تدهور الأحوال المالية لحكومة البحرين؛ وذلك لنقص العائدات المالية من الفئة المُتميزة لدى السلطة البريطانية، فضلاً عن إمتناع الفئة الثانية عن دفع أيةِ ضريبة، ما جعل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في موقف يُجبره على المُوافقة على إدخال الإصلاحات المطلوبة من قبل الإدارة البريطانية والمرفوضة من قبل الشعب(65)...

وعندما تبينت بريطانيا الرغبة الدائمة لحاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في عدم تدخل الأجنبي في الشأن الداخلي للبحرين، فقد قامت السلطة البريطانية بعد وفاته، وتولي الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة لمقاليد الحكم في البلاد من بعده(66)، "بحملات أمنية وإدارية"(67) وخاصةً بعد ظهور بعض التصرفات إلى العلن(68)، فذهبت للتَخلُص من زعماء الحركة الإصلاحية(69)...

الخلاصة و الإستنتاج:

من المُلاحظ إن الحركة الفكرية والثقافية في عهد الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، كان لها دوراً مؤثراً في بلورة الفكر السياسي والقومي في البحرين، الأمر الذي جعل المُستشار البريطاني في ذلك الوقت، يتحوّل من مُوظف بصفة مُستشار إلى مُدوّن سري لخدمة المصالح البريطانية، إلى جانب قيامه بخلق الفتن والعداوات، وإستغلال ورقة الطائفية واللّعب عليها والعمل على تأجيجها، مستغلاً عدم طائفية زعامات الحركات الوطنية، مما هوّن عليه مُهمة إيقاف الحراك الوطني والمُطالبة بالإصلاح...

وقد كانت لبوادر الإصلاح السياسي والإداري في البحرين أسباب عدة، من أهمها؛ تماسُك البيت الخليفي، وإستقرار نظام الحكم، وتأييد الشعب للحُكم القبلي المتمثل في شخص الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، والتأكيد على التخلص من المُستعمر البريطاني، فضلاً عن الرغبة الوطنية المجتمعة على الإصلاح...

وعليه فإن مسألة الإصلاح في البحرين جاءت كنتيجة لإنتشار التعليم والوعي الثقافي؛ فمظاهر التّحرك الأول للشعب البحريني نحو إصلاح الشأن الداخلي؛ ورفض التّدخل البريطاني في أمور البلاد؛ وتنامي الحس الوطني الرافض لتطبيق الأنظمة الإدراية والقانونية المعمول بها في مُستعمرات بريطانيا الأخرى في البحرين؛ والإنعكاسات الإجتماعية والإقتصادية؛ جميعها عوامل أدت إلى إرتفاع وتيرة المطالب وتحقيق الإصلاح الإداري المطلوب...

المراجع والمصادر:

[1] الجاسم محمد عبدالقادر، والشاعر سوسن علي 2000م، "قصة الصراع السياسي في البحرين 1904م-1956م" (ISBN 99906-59-36-2)حقوق النشر والتوزيع للمؤلفين، البحرين...

[2] الحميدان النجدي عبدالرحمن 2004م، "تطورات االنظام السياسي والتحولات الديمقراطية في مملكة البحرين" -دراسة سياسية وثائقية تحليلة، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية والقانون الدستوري، جامعة محمد الخامس/ أكدال، المملكة المغربية...

[3] آل خليفة، عبدالله بن خالد. وعلي أباحسين 1991م، البحرين عبر التاريخ، الجزء الثاني...

[4] آل خليفة، مي محمد 2010م. تشارلز بلجريف- السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت...

[5] الريحاني، أمين 1987م، ملوك العرب، الجزء الأول، ، دار الجيل، الطبعة الثامنة بيروت...

[6] الزياني، أمل 1972م، البحرين من عام 1783م-1973م، دراسات في محيط العلاقات الدولية وتطور الأحداث في منطقة الخليج العربي، رسالة ماجستير في العلوم السياسية،جامعة القاهرة...

[7] الزيدي، مفيد 2005م، دولة البحرين من الإمارة إلى الملكية الدستورية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن...

[8] الشايجي، هلال 1989م، الصحافة في الكويت والبحرين منذ نشأتها حتى الإستقلال، مطبوعات بانوراما الخليج، الطبعة الأولى، البحرين...

[9] المريخي، خليل محمد 1996م، لمحات من ماضي البحرين، مطبعة الدار العربية للطباعة والنشر، البحرين...

[10] المزروعي، محمد سالم عبيد 2004م، التطور السياسي في مجلس التعاون الخليجي منذ مطلع التسعينات- دراسة مقارنة في دور المؤسسة التشريعية، دار الفكر الجامعي، الأزاريطة، الأسكندرية...

[11] النجار، باقر سلمان 2008م، الديمقراطية العصيبة في الخليج العربي، دار الساقي، الطبعة الأولى...

[12] قاسم، جمال زكريا 2007م، التطور السياسي للبحرين ووصولها إلى الأستقلال -مقالة عملية محكمة- مجلة التاريخ العربي، العدد42، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، خريف...

[13] مُنيرة، أحمد فخرو 1995م، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في البحرين، مركز أبن خلدون للدراسات بالأشتراك مع دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة...

الهوامش:

(1) د.أحمد منيسي 2003م، البحرين من الإمارة إلى المملكة-دراسة في التطور السياسي والديمقراطي، مركز الدراسات السياسية والإستراتجية بالأهرام، القاهرة، صفحة...37

(2) د.مفيد الزيدي 2005م، دولة البحرين من الإمارة إلى المكلية الدستورية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، صفحة...72

(3) د.أحمد منيسي، البحرين من الإمارة إلى المملكة-دراسة في التطور السياسي والديمقراطي، مرجع سابق صفحة...38

(4) د.أحمد منيسي، مرجع سابق صفحة...44

(5) ميثاق العمل الوطني لمملكة البحرين، صفحة...12

(6) محمد عبدالقادر الجاسم، وسوسن الشاعر 2000م، "قصة الصراع السياسي في البحرين 1904م-1956م (ISBN 99906-59-36-2) " حقوق النشر والتوزيع للمؤلفين، البحرين، صفحة 46...

(7) محمد عبدالقادر الجاسم،،وسوسن الشاعر، "قصة الصراع السياسي في البحرين 1904م-1956م "مرجع سابق صفحة...32

(8) د.حسين عبدالحميد أحمد رشوان 1992م، العلم والبحث العلمي-دراسة في مناهج العلوم، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الخامسة، الإسكندرية، صفحة...141

(9) د.محمد قاسم 1999م، .المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية ،صفحة...92

(10) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، صفحة...342

(11) د.أحمد منيسي، البحرين من الإمارة إلى المملكة، مرجع سابق، صفحة... 40

(12) د.مفيد الزيدي، دولة البحرين من الإمارة إلى الملكية الدستورية، مرجع سابق، صفحة...7

(13) محمد سالم عبيد المزروعي 2004م، التطور السياسي في دول مجلس التعاون الخليجي منذ مطلع التسعينات، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، صفحة...16

(14) محمد عبدالقادر الجاسم، وسوسن الشاعر، "قصة الصراع السياسي في البحرين 1904م-1956م "مرجع سابق، صفحة 39...

(15) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة...42

(16) محمد عبدالقادر الجاسم، وسوسن الشاعر، "قصة الصراع السياسي في البحرين 1904م-1956م "مرجع سابق، صفحة 66...

(17) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة...43

(18) حادثة السوق في أبريل من العام 1923م، وخلاف النجادة والفرس وماترتب عليه من أحداث...

* لمزيد من الإيضاح أنظر مي محمد الخليفة، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمُذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة...43

(19) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 381...

(20) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 91...

(21) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 176...

(22) محمد عبدالقادر الجاسم، وسوسن الشاعر، "قصة الصراع السياسي في البحرين 1904م-1956م "مرجع سابق، صفحة 51...

(23) محمد عبدالقادر الجاسم، وسوسن الشاعر، "قصة الصراع السياسي في البحرين 1904م-1956م "مرجع سابق، صفحة 113...

(24) محمد عبدالقادر الجاسم، وسوسن الشاعر، "قصة الصراع السياسي في البحرين 1904م-1956م "مرجع سابق، صفحة 115...

(25) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 278...

* ويذكر الشايجي1989) م) أن نشاط مركز الإرسالية الأمريكية كان يقوم بالأمور التالية :

- التعليم والصحة وبعض الأعمال الخيرية مثل رعاية اليتامى وتعليمهم في جو تنصيري...

- تكوين مناخ غربي للتأثير في السلوك ونظم الحياة والثقافة، وبيع المطبوعات المسيحية والنشرات المختلفة التي تساعد على طرح القضايا العقلية والتشكيكية...

- التَقرُب إلى الشعب بواسطة الرحلات الداخلية، والإهتمام بالشؤون النسائية، ومُحاولة إيقاظهن عن طريق التعليم والزيارات الخاصة، وجلب الصحف العربية إلى مكتبة الإرسالية الأمريكية، مع التركيز على الصحف ذات النزعات المسيحية، والتي تُعلي من شأن الثقافة الغربية...

* وبخصوص الجهود التعليمية للحركة التبشيرية يقول التميمي1982) م) ما نصه:

- بعد مضي ثلاثة أرباع القرن على بدء نشاطات الإرسالية الأمريكية في البحرين لم تتمكن الإرسالية من تحقيق هدفها الأساسي، ولكنها بدون شك قد خدمت سكان المنطقة تعليمياً في وقت لم يكن لديهم أية مؤسسات تعليمية حديثة خاصة بهم...

- ومما يدعو إلى الغرابة إن هذا النوع من النشاط التبشيري كان من أحد العوامل التي أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على تشجيع التربية الإسلامية والتعليم الحديث وتقدمه في المنطقة كرد فعل لهذا النشاط...

(26) د.أحمد منيسي، البحرين من الإمارة إلى المملكة، مرجع سابق، صفحة 42...

(27) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 193...

(28) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 222 ...

(29) محمد عبدالقادر الجاسم، وسوسن الشاعر، "قصة الصراع السياسي في البحرين 1904م-1956م "مرجع سابق، صفحة 114...

(30) د.أحمد منيسي، البحرين من الإمارة إلى المملكة، مرجع سابق، صفحة 42...

(31) أمل الزياني 1972م، البحرين من عام 1783م-1973م، دراسات في مُحيط العلاقات الدولية وتطور الأحداث في منطقة الخليج العربي، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة القاهرة، صفحة...90

(32) د.أحمد منيسي، البحرين من الإمارة الى المملكة، مرجع سابق، صفحة...42

(33) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 284...

(34) د.هلال الشايجي 1989م، الصحافة في الكويت والبحرين منذ نشأتها حتى الإستقلال، مطبوعات بانوراما الخليج العربي، الطبعة الأولى، البحرين، صفحة...19

(35) د.هلال الشايجي 1989م، الصحافة في الكويت والبحرين منذ نشأتها حتى الإستقلال، مطبوعات بانوراما الخليج العربي، مرجع سابق، صفحة 20 ...

(36) أمل الزياني 1972م، البحرين من عام 1783م-1973م، مرجع سابق، صفحة 85...

(37) محمد الأنصاري 1971م، التحقيق عن الصحافة في البحرين، مجلة صدى الأسبوع العدد 118، 15مارس...

(38) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 367...

(39) د.مفيد الزيدي، دولة البحرين من الإمارة إلى الملكية الدستورية، مرجع سابق، صفحة 17...

(40) خليل محمد المريخي 1996م، لمحات من ماضي البحرين، مطبعة الدار العربية للطباعة والنشر، البحرين، صفحة 26...

(41) أمل الزياني 1972م، البحرين من عام 1783م-1973م، مرجع سابق، صفحة 85...

(42) د.جمال زكريا قاسم 2007م، التطور السياسي للبحرين ووصولها إلى الأستقلال

- مقالة عملية محكمة- مجلة التاريخ العربي، العدد42 ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، خريف، صفحة...135

(43) أمل الزياني 1972م، البحرين من عام 1783م-1973م، مرجع سابق، صفحة 90...

(44) محمد سلمان النجّار 2008م، الديمقراطية العصبية في الخليج العربي، دار الساقي، الطبعة الأولى، صفحة 73...

(45) مازال هذا الشارع يحمل أسم "الشيخ عبدالله"، والمقصود هنا هو الشيخ عبدالله بن عيسى بن علي آل خليفة، وزير المعارف ومؤسس الحركة التعليمية في البحرين...

(46) د.أحمد منيسي، البحرين من الإمارة الى المملكة، مرجع سابق، صفحة 42...

(47) د.مفيد الزيدي، دولة البحرين من الإمارة إلى الملكية الدستورية، مرجع سابق، صفحة 12...

(48) د.مفيد الزيدي، دولة البحرين من الإمارة إلى الملكية الدستورية، مرجع سابق، صفحة 16...

(49) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 43...

(50) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 43...

(51) د .عبدالرحمن الحميدان النجدي 2004م، "تطورات االنظام السياسي والتحولات الديمقراطية في مملكة البحرين" -دراسة سياسية وثائقية تحليلة-، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية والقانون الدستوري، جامعة محمد الخامس/ أكدال، المملكة المغربية، صفحة 330...

(52) د.أحمد منيسي، البحرين من الإمارة إلى المملكة، مرجع سابق، صفحة44...

(53) أمل الزياني 1972م، البحرين من عام 1783م-1973م، مرجع سابق، صفحة 85...

(54) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 90...

(55) أمل الزياني 1972م، البحرين من عام 1783م-1973م، مرجع سابق، صفحة 86...

(56) أمل الزياني 1972م، البحرين من عام 1783م-1973م، مرجع سابق، صفحة 86...

(57) أمل الزياني 1972م، البحرين من عام 1783م-1973م، مرجع سابق، صفحة 86...

(58) أمين الريحاني، ملوك العرب، الجزء الثاني، بيروت 1929م، صفحة 52...

(59) منيرة أحمد فخرو 1995م، المُجتمع المدني والتحول الديمُقراطي في البحرين، القاهرة، مركز أبن خلدون للدراسات بالأشتراك مع دار الأمين للنشر والتوزيع، صفحة 24...

(60) محمد سلمان النجّار 2008م، الديمقراطية العصبية في الخليج العربي، دار الساقي، الطبعة الأولى، صفحة 61...

(61) محمد سالم عبيد المزروعي 2004م، التطور السياسي في دول مجلس التعاون الخليجي منذ مطلع التسعينات، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مرجع سابق، صفحة 18...

(62) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 43...

(63) محمد عبدالقادر الجاسم، وسوسن الشاعر، "قصة الصراع السياسي في البحرين 1904م-1956م "مرجع سابق، صفحة 67...

(64) مي محمد الخليفة 2010م، تشارلز بلغريف-السيرة الذاتية والمذكرات 1926م-1957م، مرجع سابق، صفحة 44...

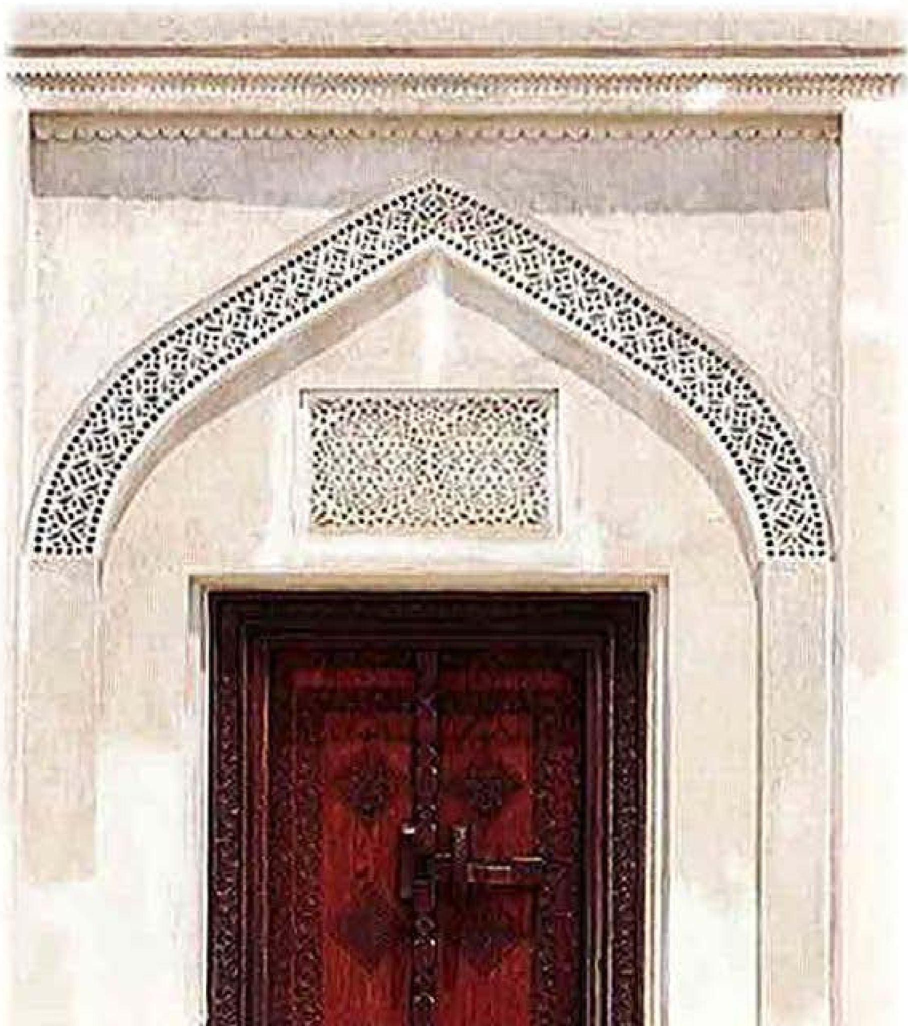
(65) محمد عبدالقادر الجاسم، وسوسن الشاعر، "قصة الصراع السياسي في البحرين 1904م-1956م "مرجع سابق، صفحة 68...

(66) د.مفيد الزيدي، دولة البحرين من الإمارة إلى الملكية الدستورية، مرجع سابق، صفحة 7...

(67) أمل الزياني 1972م، البحرين من عام 1783م-1973م، مرجع سابق، صفحة 87...

(68) محمد سالم عبيد المزروعي 2004م، التطور السياسي في دول مجلس التعاون الخليجي منذ مطلع التسعينات، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مرجع سابق، صفحة 19...

(69) أمل الزياني 1972م، البحرين من عام 1783م-1973م، مرجع سابق، صفحة 87...



تصاعد نشاط البحرين الملاحي والتجاري خلال عهد حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة...



إعداد الباحث الأستاذ المساعد:
الدكتور عماد جاسم حسن...

المقدمة:

تعد البحرين من مناطق الخليج العربي التي حباها الله بموقع استراتيجي مهم ومتميز، ما كان له عميق الأثر في إثراء مجالاتها الإنسانية والحضارية المختلفة، فقد اشتهرت البحرين وبفضل موقعها الجغرافي بنشاط ملاحي وتجاري واسع وعلى مدى الأزمان والعصور التي مر بها تاريخها الموغل في القدم، حيث كانت بيئتها الطبيعية بكل ما تزخر به من موارد وإمكانات تدخل في تشكيل أنماط العيش الإنساني وبما يتلاءم مع معطياتها، فالمميزات طبيعية التي امتلكتها البحرين مكنت سكانها من ممارسة أنواع مختلفة من النشاطات الاقتصادية، وكان البحر مصدر الرزق الأساس لأبنائها على مر العصور التاريخية التي سبقت اكتشاف النفط، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ بعض المراحل التاريخية التي مرت بها البحرين، لاسيما في تاريخها الحديث والمعاصر، قد شهدت اتساعا كبيراً للنشاط الملاحي والتجاري، وذلك بفعل الجهود التي بذلها شيوخها وأمرائها آل خليفة في تلك الفترة، هذا ويعد عهد حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من أفضل الفترات التاريخية التي تطور فيها النشاط الملاحي البحريني، والذي كانت له انعكاسات إيجابية واضحة على الجانب التجاري، حيث أنه وبفضل الجهود التي بذلها الشيخ عيسى غدت البحرين من أهم إمارات الخليج العربي، بل إنها فاقت بقية الإمارات شهرة وتميزاً، إذ كان رجالها يشقون اليم لاستخراج اللؤلؤ من أعماق البحر والمتاجرة به متحملين الأهوال والمشاق والمخاطر بكل شجاعة ورجولة وقوة وإرادة...

وتأسيساً على ذلك، فأن موضوع بحثنا هذا سيتناول تلك الفترة المهمة في تاريخ البحرين الحديث، إذ إنّ البحرين وبعد مرورها ببعض الأوضاع المضطربة والتهديدات الخارجية، والتي أثرت على حركة النشاط الملاحي والتجاري فيها، إلا إنها عادت وانتعشت أوضاعها في المجالات كافة وتطور المجال الملاحي والتجاري فيها، واستقرت أوضاعها السياسية وعاشت في أمان وهدوء واستقرار وذلك بعد وصول الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إلى حكمها، حيث استعادت البحرين مكانتها لتتصدر إمارات الخليج العربي، وذلك من حيث كميات استيراد وتصدير البضائع القادمة من وإلى الخليج العربي...

وإلى جانب ذلك فإننا سنتطرق أيضاً إلى محددات النشاط الملاحي والتجاري في البحرين، فضلاً عن العوامل التي ساعدت وساهمت في بروزها ملاحياً وتجارياً، وذلك من خلال التعرف على بدايات الاهتمام بالملاحة في عهد حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، بالإضافة إلى التطور الذي أصاب ذلك النشاط بأشكاله المختلفة، والمتمثلة في الزيادة الكبيرة في أعداد السفن؛ سواءاً تلك العاملة في الغوص على اللؤلؤ، أو العاملة في التجارة، إلى جانب تبيان المؤشرات والاحصائيات التي تدلل على ذلك، والتي حصلت بناءاً على الإجراءات التي اتخذها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، والتي ساهمت في تطوير النشاط الملاحي والتجاري، الأمر الذي انعكس على تطور علاقات البحرين التجارية خلال عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، ولا سيما مع الكويت والاحساء ونجد والبصرة، بالإضافة إلى الهند...

خصائص البحرين الملاحية :

مما لا شك فيه أن موقع البحرين الجغرافي في قلب الخليج العربي يعد من أبرز العوامل المؤثرة في قيام النشاط الملاحي والتجاري فيها، ذلك أنها تتخذ موقعاً متميزاً في الجانب الغربي من الخليج العربي، إلى الشرق من ساحل الاحساء وإلى الغرب من شبه جزيرة قطر (1)، وما يزيد من تميزها، كونها أرخبيلاً يضمّ مجموعة من الجزر أهمها جزيرة البحرين والمحرق وسترة وأم النعسان والنبيه صالح وأم الصبان(2)...

هذا ويمكن تقسيم أرخبيل البحرين إلى مجموعتين جزريتين؛ أولهما جزيرة البحرين وتوابعها وعددها سبعة عشر جزيرة، وثانيهما مجموعة جزر حوار وعددها ستة عشر جزيرة(3)...

وعند النظر إلى هذه الجزر بمجملها، فإنها تكوّن مجموعة مندمجة تقريباً تقع في وسط خليج سلوى الذي يفصل بين ساحل القطيف وشبه جزيرة قطر، حيث تتشكل منها أكبر مجموعة جزرية في وسط الخليج العربي(4)، الأمر الذي ساعد على قيام النشاط الملاحي فيها...

ويبدو إن تسمية البحرين فيها إشارة ودلالة واضحة على اشتهارها بالملاحة والتجارة، وهو ما يفسر ارتباط تسميتها بذلك، حيث أطلق المؤرخ الروماني

"بليني" اسم "تايلوس" عليها وذلك في إشارةٍ منه إلى لآلئها وأحجارها الكريمة(5)، وهو ما يدلل على اعتمادها على تجارة اللؤلؤ منذ العهود القديمة...

كما ويُمكن أن يُستدل في عين الوقت ومن خلال تسمية البحرين سواءاً بأسمائها القديمة أو اسمها الحالي بأنها ذات علاقة كبيرة بالملاحة والبحر، حيث اقترن اسمها قديماً بجواهرها ولآلئها الثمينة، أما بالنسبة لإسمها الحالي "البحرين"، فقد تعددت الآراء في تفسير تسميتها بهذا الإسم، ففي حين يعزو البعض أنّ اسمها الحالي يرمز إلى توسطها البحر ووقوعها بين بحرين، فإن البعض الآخر يقول أنها سُميت بهذا الاسم نظراً لوجود ينابيع مياه طبيعية عذبة متفجرة في قاع البحر وسط مياه البحر المالحة، مما ساعد على وجود وجودة لآلئها، في الوقت الذي يبدو فيه أنّ وجود البحر المالح والبحر العذب هو ما جعل العرب يُطلقون عليها هذه التسمية(6)، وذلك مما يدلل على ارتباط اسمها بالملاحة على مر حضارتها وتاريخها...

وإلى جانب ذلك فإنّ موقع البحرين الجغرافي قد لعب دوراً مهماً ومؤثراً في تكوينها، حيث أدى وجود مقومات الحياة الأساسية فيها إلى مساعدة أهلها على استيطانها والاستقرار فيها، فضلا عن كونه مكّن البحرين من أن تكون محطة للقوافل التجارية القادمة من وإلى الخليج العربي، وذلك للتجارة فيها، إضافة إلى التزود بالمياه العذبة والمؤن، حيث أن موقع البحرين في وسط الخليج العربي قد جعل منها محطةً لاستراحة القوافل التجارية، وذلك انطلاقاً من وجودها على خط سير هذه القوافل والتي تقطع مساحات شاسعة ومسافاتٍ طويلة، ما يستوجب عليها الوقوف في محطات معينة على طريق سيرها، الأمر الذي جعل من البحرين وجهةً مثالية لها...

وإلى جانب موقعها، فقد امتازت البحرين بمجموعة من الخصائص الطبيعية والجغرافية، ما جعل منها منطقة ملاحية وتجارية هامة، فغالبية أراضيها منبسطة خالية من المرتفعات، وذلك فيما عدا منطقة هضبة الدخان التي يصل ارتفاعها إلى 440 قدم فوق سطح البحر والتي تتضمن القليل من الكثبان الرملية في طرفها الشمالي(7)، أما سواحلها فتتسم بكونها أراضٍ رملية منخفضة(8)، وذلك فضلاً عن تميزها بوجود الأخوار فيها(9)، والتي

مارست دوراً رئيساً في حياة سكان البحرين، فعلى رؤوسها البارزة استقرت جماعات الصيادين التي تمارس مهنة صيد الأسماك، وفي مياهها الضحلة وجد هؤلاء الحماية التي ينشدونها من أمواج البحر العاتية ومن غارات القبائل البدوية (10)، كما وتساعد ظاهرة المد والجزر التي تتعرض لها جزر البحرين في حركة الملاحة الساحلية وفي عملية دخول السفن إلى الموانيء وخروجها منها، كما ولها تأثير أيضاً في صيد الاسماك بطريقة الحظائر التي يشيع استخدامها في سواحل الخليج العربي(11)، وإلى جانب ذلك فقد ساعد وجود الجزر الصغيرة المتناثرة حول جزيرة البحرين على هدوء حركة المياه فيها، الأمر الذي يسهل عملية وصول السفن القادمة إلى البحرين، هذا فضلاً عن أهمية هذه الجزر الصغيرة والتي تنبع من استخدامها كمحطات لصيادي السمك وملاجئ لهم في وقت الضرورة، وذلك إلى جانب استخدامها كمراكز لصيادي اللؤلؤ، يُضاف إلى ذلك ما تتميز به بعض هذه الجزر من حيث كونها تصلح لاستقبال السفن على سواحلها(12)...

ومن الخصائص الطبيعية الأخرى لجزر البحرين هي وجود فشت الجارم الذي يحمي ميناء المنامة من الرياح الشمالية والشمالية الغربية في حالة هبوبها بسرعة كبيرة، حيث يساعد على حماية السفن منها عند دخولها فيه(13)، كما وتتميز سواحل جزر البحرين كذلك بكونها تتألف من تكوينات جيرية من الشعب المرجانية(14)، والتي تُعدّ من ظواهر البحار الدافئة الضحلة ذات المياه الصافية التي يتميز بها الخليج العربي(15)، هذا ومما تجدر الإشارة إليه هو أنه وعلى الرغم من وجود الطحالب والشعاب المرجانية والتي تعيق عملية ملاحة السفن الكبيرة، إلا أن المراكب الصغيرة تستطيع اجتيازها بسهولة، وذلك نتيجة لصفاء مياهها، والتي تمكنها من رؤية تلك الشعاب واجتيازها(16)، كما إن للشعاب المرجانية فائدة وأهمية كبيرة أخرى ساعدت في قيام النشاط الملاحي وحركة السفن التجارية، وذلك من حيث كونها تعمل كمصدات تحمي السفن عند دخولها إلى الموانيء وخروجها منها، هذا فضلاً عن حمايتها من أمواج البحر التي تدفعها رياح الشمال أمامها(17)...

ومن جانب آخر، فإن ضحالة مياه السواحل البحرينية قد ساعدت على استغلالها كمصائد للأسماك وفي الملاحة الهامشية الخفيفة، فضلاً عن نمو مغاصات اللؤلؤ فيها منذ مئات السنين(18)...

هذا ومما يمكن أن يُضاف إلى الخصائص الطبيعية لجزر البحرين والتي ساعدت على قيام النشاط الملاحي والتجاري فيها هو؛ مناخها، حيث تتميز البحرين بمناخ حار مشبع بالرطوبة صيفاً ومعتدل قليل الأمطار شتاءاً(19)، الأمر الذي جعلها فقيرة بغطائها النباتي، وهو ما ألزم سكانها بأن يستعينوا في معيشتهم بالعمل في صيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ، فضلاً عن العمل بالنقل البحري والتجاري، وذلك إلى جانب ما تنتجه مناطقهم من بعض أنواع التمور والغلات الزراعية الأخرى، كالحنطة والشعير(20)...

وبناءاً على ما سبق، فإن قساوة البيئة الطبيعية وفقر تربتها قد جعلت أهالي البحرين يتجهون صوب البحر والإفادة منه، فتعلموا الملاحة وركوب البحر وعاشوا على صيد الأسماك والتجارة، الأمر الذي جعل منهم بحارة مهرة من الدرجة الأولى، كما وصاروا ملاحين وصيادين وغواصين وراء اللآلئ، ما مكّنهم من تعويض ما فقدوه في البر من خيرات(21)...

وبذلك يتضح جلياً بأن المميزات الجغرافية والخصائص الطبيعة للبحرين قد مكنتها من أن تكون من أقدم المراكز التجارية في الخليج العربي، والتي قامت بدور كبير في اثراء حركة التجارة البحرية منذ القدم، حيث كان العديد من أهلها يمتلكون السفن التي تنقل البضائع والسلع التجارية من بلدان الخليج العربي الى شبه القارة الهندية(22)، وهذا إذ يدلل فإنما يدلل على أهمية موقع البحرين والدور الذي لعبه منذ القدم، فضلاً عن مهارة أهلها في الملاحة واهتمامهم بالتجارة، إلى جانب إقامتهم علاقات تجارية مع مختلف المناطق والبلدان القريبة والبعيدة، سواء تلك التي تقع في الخليج العربي أو في المحيط الهندي مثل الهند...

أهمية البحرين التجارية في كتابات الرحالة والمؤرخين :

هذا وقد استمرت الأهمية التي اكتسبتها البحرين منذ القدم بعد ظهور الإسلام، حيث غدت البحرين من المراكز التجارية المهمة في العصور الإسلامية، إذ

كانت المراكب التجارية التي تنقل البضائع من البصرة إلى بلدان جنوب شرق آسيا في تلك الفترة تمر بالبحرين، ما جعل منها مرسىً للسفن التجارية التي تتوقف عندها خلال رحلتها إلى السند والهند والصين(23)، وإلى جانب التجارة فقد نعمت البحرين أيضاً بمغاصات اللؤلؤ، الأمر الذي حمل الدولة العباسية حينها على استحداث ولاية خاصة للأشراف على الغوص والاهتمام به، وذلك لما يدره من أرباح كبيرة للدولة، وإلى جانب ذلك فقد أخذت أعداد كبيرة من السفن والمراكب التجارية تقصد البحرين لتنقل منها هذه السلعة وتتاجر بها مع مناطق العالم الأخرى(24)، ونتيجة لتلك الاهمية التي صارت البحرين تتمتع بها، فقد وصفها ديوراند (Durand) قائلاً: ((الجزر فضة والبحر لؤلؤة وتستطيع أن ترى قطع المرجان في الأعماق وتملك ينابيع الماء النقية التي تظهر خلال الماء الأجاج عند مدخل الميناء وفي أماكن متفرقة))(25)، كما وصفها الريحاني بقوله: ((ليس بين مسقط والبصرة أجمل من مركز هذه الجزيرة وليس أصلح منه للتجارة أو الحرب فهي تتوسط الخليج في زاوية حصينة فيه كأنها بارجة راسية في خليج متسع بين قطر والقطيف بل وكأنها مهد اللؤلؤ وجوهرة كبيرة فلا عجب إذا تسابق إليها الفاتحون في قديم الزمان))(26)...

وفضلا عمّا سبق، فإن شاردن الذي عاش في بلاد فارس خلال القرن السابع عشر الميلادي، أكّد كذلك على أهمية البحرين التجارية بقوله: ((تجري عملية صيد اللؤلؤ في شواطئ الخليج العربي، ولكنها تتركز بصورة خاصة حول جزيرة البحرين))(27)، كما إن الرحالة الفرنسي أوليفيه قد أشار في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي إلى تلك الأهمية قائلاً: ((يصطاد اللؤلؤ في الخليج العربي من القرين حتى مسندم وحول جزر البحرين توجد كمية كبيرة من اللؤلؤ))(28)...

وأما الرحالة الانكليزي جيمس موربير فقد خصّ في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي أهمية البحرين التجارية بقوله: ((تعد جزيرة البحرين الواقعة على الشاطئ العربي واحدة من أكثر السواحل المنتجة للؤلؤ))(29)...

كما ووصف ولستيد في عام 1830م مناطق صيد اللؤلؤ بصورة عامة، فضلا عن تبيانه لمدى أهميتها لسكان المنطقة بالقول: ((تجري هنا "أي في البحرين"

منذ حقبة مبكرة أوسع عملية صيد للؤلؤ في العالم واللآليء التي تستخرج كما أعتقد تعد من أجود النوعيات وأكبرها وأكثرها قيمة، وهذه المادة تعد العنصر الرئيسي للتجارة على الساحل العربي في هذه المنطقة))(30)...

وإضافةً إلى ذلك فقد أشارت الموسوعة البريطانية إلى أهمية جزر البحرين بقولها: ((أرخبيل له أهمية استراتيجية وتجارية لدى الآشوريين والفرس واليونان))(31)...

وصول الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إلى حكم البحرين واهتمامه بالملاحة :

تعد قبيلة آل خليفة إحدى القبائل العربية الأصيلة التي نزحت من شبه الجزيرة العربية منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي، وذلك مع أبناء عمومتهم آل صباح، وكانوا حلفاً سُمّي بـ"العتوب" الذين يعود أصلهم الى قبيلة عنزة العربية، وقد تصاهرت القبيلتان فيما بينهما وكوّنوا حلفاً استقر في الكويت منذ العام 1716م وحتى العام 1766م، حيث غادر آل خليفة الكويت وتوجهوا نحو الزبارة، ومن ثم فتحوا البحرين ودخلوها عام 1783م وذلك بزعامة الشيخ أحمد بن محمد بن خليفة آل خليفة والذي سُمي بـ"أحمد الفاتح" وذلك لكونه فتح البحرين وأنهى الاحتلال والوجود الفارسي فيها، وأسس فيها إمارة عربية إسلامية عريقة في جذورها العربية، وقد قام شيوخها آل خليفة الذين تناوبوا على حكمها من بعده، ببذل جهود كبيرة من أجل المحافظة عليها وصد الأخطار الخارجية عنها، فضلاً عن سعيهم إلى تطويرها على جميع الأصعدة وفي كافة المجالات...

وقد كان النشاط الملاحي والتجاري من أبرز الأوجه والمظاهر الاقتصادية التي أظهر آل خليفة شيوخ البحرين اهتماماً واضحاً فيها، ولاسيما خلال القرن التاسع عشر الميلادي، والذي بدا جليّاً عند وصول الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إلى حكم الإمارة، خاصةً وإن البحرين قبل توليه الحكم كانت قد شهدت بعض الاضطرابات والأحداث الغير مستقرة، والتي كانت تعود بمجملها إلى أسباب خارجية، وتدخلات من القوى الأجنبية الطامعة بالبحرين...

فعند انتهاء حكم الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة عام 1868م، تولى الحكم من بعده شقيقه الشيخ علي بن خليفة آل خليفة، لكن حكمه لم يدم طويلاً، حيث استمر لأقل من عام(32)، ليتولى حكم البحرين من بعده إبنه الشيخ عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن أحمد بن محمد بن خليفة آل خليفة...

ولد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في البحرين وذلك عام 1848م، حيث أقام في حياة والده في جزيرة المحرق، وقد صار له خمسة أولاد هم؛ سلمان، وحمد، وراشد، ومحمد، وعبدالله(33)، وهو الحاكم السادس للبحرين، والذي تولى حكم البحرين وهو في عمر الواحد والعشرين عاماً، وقد بدأ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ومنذ بداية عهده بسياسة استهدفت تطوير البحرين وتحسين أوضاعها في شتى المجالات، حيث شهدت البحرين إبان حكمه تقدماً واضحاً ونمواً اقتصادياً، كما واستتب الأمن والسلم والاستقرار فيها وازدهرت تجارتها، وإلى جانب ذلك فقد اهتم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إلى حد كبير بالقبائل فأنعم عليها بالأموال، كما ووهبها البساتين والجياد والسلاح(34)...

ومن خلال ما أبداه الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من اهتمام بالأمور التجارية، فقد نما النشاط الملاحي وازدهر كثيراً، حيث أدى تشجيعه للتجارة إلى جلب الأخشاب من أجل صناعة السفن في البحرين فضلاً عن شراء السفن الكبيرة من الهند(35)...

وفي واقع الحال فإن الشيخ عيسى بن علي آل خليفة كان حريصاً على أن تتبوأ البحرين مكانةً وشهرةً ملاحيةً فائقة في منطقة الخليج العربي، وقد كان ذلك نابعاً من حسن إدراكه لأهمية موقعها الجغرافي الذي جعلها معبراً للتجارة ما بين الهند والبصرة، الأمر الذي حتّم عليه وعلى سكانها الاهتمام بصناعة السفن لأنها تعد الوسيلة الوحيدة للمواصلات بين البحرين ومناطق العالم الاخرى(36)، هذا ومما تجدر الاشارة إليه، هو أن أهل البحرين ومنذ عصور ما قبل الإسلام، كانوا يعدون خبراء متميزين في صناعة السفن، وقد ذاع صيتهم في البحار لمهاراتهم الملاحية وشجاعتهم في مواجهة المواقف الشديدة والأنواء المتقلبة، كما وكانت أشرعة السفن المصنعة في البحرين لا تقل شهرة عن صيتهم في صيد اللؤلؤ والمرجان والاتجار بهما(37)...

هذا وقد تمخض اهتمام الشيخ عيسى بالمجال التجاري والنشاط الملاحي، عن قيامه بجولات استطلاعية لمتابعة سير أعمال بناء السفن، وذلك فضلاً عن ذهابه إلى المرافئ والأماكن التي تصنع فيها السفن للاطلاع على أحوال العمال(38)، ومساعدتهم والشد من أزرهم، ما كان له عميق الأثر على تشجيع العمال وتحفيزهم على انجاز أعمالهم، وإلى جانب ذلك فقد كان الشيخ عيسى بن علي آل خليفة يحث التجار والغواصين على الاهتمام بسفنهم وإصلاحها وإدامتها قبل بدء مواسم الغوص وقبل القيام برحلاتهم التجارية(39)، ويبدو جلياً بأن هدف الشيخ عيسى من وراء ذلك الاهتمام، هو الحرص على سلامة أبناء البحرين الذين كانوا يجوبون مياه الخليج العربي، فضلاً عن توجيههم لغرض اتقاء الأخطار والأهوال والظروف الطبيعية والتي قد تتعرض لها بعض الرحلات التجارية كالعواصف القوية والأمطار الغزيرة وغيرها مما كان يُصادف التجار والغواصين أثناء قيامهم برحلاتهم التجارية إلى البلدان البعيدة...

وأدراكاً من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بأن السفن هي ركن أساسي في النشاط الملاحي، فقد عمل على تطوير صناعة السفن بحيث أصبحت البحرين تصنع السفن التي تغطي استخداماتها المحلية، فضلاً عن قيامها ببيع وتصدير ما يزيد عن حاجتها من تلك السفن إلى مناطق الخليج العربي الأخرى، وهذا ما يعني أن الشيخ عيسى قد استحدث مورداً اقتصادياً جديداً لأهالي البحرين يُضاف إلى مواردهم من الغوص والتجارة، إذ صاروا يصنعون السفن ويبيعونها، حيث قامت البحرين في خلال الأعوام 1903م-1904م، ببيع 130 سفينة، تراوحت أثمانها ما بين 300 إلى 800 روبية، وذلك لمشترين من قطر ومن إمارات الخليج العربي الأخرى(40)، هذا وقد تطورت صناعة السفن في البحرين إلى درجة أنها نافست في هذه المهنة "عمان" التي كانت تعد حينها من الموانيء المهمة لبناء السفن في الخليج العربي(41)...

أما بالنسبة لأنواع الأخشاب المستخدمة في بناء السفن، فقد كانت تتكون بالدرجة الأساسية من الصاج والنارجيل (جوز الهند)، والذي كان يتم استيراده من الهند وشرق أفريقيا، أما بالنسبة لأضلاع السفن، فقد استخدمت أشجار السنط الذي ينتج محلياً في البحرين في بنائها(42)، وإضافةً إلى ذلك فقد

كانت تُستورد أنواع أخرى من الأخشاب منها العيني أو الغيني والقنس (43)...

وبناءاً على اهتمام الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بالنشاط الملاحي وتقديمه المساعدات التي يحتاجها العاملين في صناعة السفن، فإن الكثير منهم كانوا يقصدون جزائر المحيط الهندي مصحبين معهم آلاتهم وأدواتهم النجارية، كي يستخدمونها في قطع أشجار النارجيل ثم يدعوها حتى تجف تماماً، ليقوموا بعدها بتقطيعها ألواحاً، ومن جانب آخر كانوا يقومون بفتل الخيوط من ليف النارجيل ليخيطوا بها السفينة، كما وكانوا يصنعون من جذوع النخيل أدقالاً للسفن (ومفردها دقل أي صاري السفينة)، أما الأشرعة فقد كانوا ينسجوها من خوص النخيل، فإذا فرغوا من صناعة السفن شحنوها بأشجار النارجيل وعادوا بسلام الى بلادهم (44)، ويستدل من هذا الأمر مدى براعة ومهارة الصناع البحرينيين الذين أخذت سفنهم تمخر عباب البحار لجلب الأخشاب التي تحتاجها صناعتهم، بدلا من الاعتماد على التجار الهنود في جلبها...

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن صناعة السفن حينها كانت تُعد من أصعب المهن وأشق الحرف، والتي تتطلب خبرةً واسعة ومهارةً كبيرةً وحرفية عالية في أدائها، وذلك نتيجةً لعدم وجود خرائط وتصاميم لبناء السفن في ذلك الوقت، حيث كان يتم الاعتماد في جميع أطوار صناعتها ومجمل أشكالها ومختلف مقاساتها بصورة أساسية على ذاكرة صانع السفينة وخبرته، وهو الأمر الذي يدل على توجه سكان البحرين نحو البحر وبراعتهم فيه وبروزهم في هذه المهنة التي وفرت لهم مصدراً آخر للرزق(45)...

ومما يُضاف إلى ما سبق هو قيام البحرينيين خلال هذه المرحلة بتطوير صناعة السفن، وذلك عن طريق استخدام المسامير فيها، إذ يتم عمل ثقب لكل مسمار ثم يحفر قطراً كبيراً على سطح الخشب بحيث يختفي رأس المسمار في اللوح، وذلك بعد أن تُغمر المسامير قبل دقها بالزيت (46)، ومن السفن التي اشتهر أهل البحرين بصناعتها؛ "الشوعي" والتي كانت تُبنى من أغصان الأشجار أو من خشب الصفائح الرقيقة، حيث درج الصناع حينها وقبل أن يستخدموا المسامير في صناعة السفن، على أن يضعوا تلك الأغصان إلى جانب بعضها ثم يستعملون إبرة طويلة وحبلاً مفتولاً لخياطتها، أما المدة التي

يستغرقها بناء السفينة، فقد كانت تتراوح ما بين الشهر إلى الشهرين حتى يكتمل بنائها(47)...

وحرصاً من حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة على دفع عجلة التقدم، فقد اتخذ مجموعة من الإجراءات الناجحة والفعالة والتي ساهمت في تطور النشاط الملاحي والتجاري في البحرين، ومنها أنه لم يفرض أية ضرائب على إنتاج اللؤلؤ، الأمر الذي ساهم في اجتذاب أكبر عدد من العاملين في هذا المجال، حيث وصل عددهم قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى إلى ما يقارب العشرين ألفاً، والذين كانوا يعملون على ما يقارب الـ900 سفينة، ما أدى إلى زيادة صادرات البحرين ووارداتها، بالإضافة إلى تنشيط السوق المحلي وارتفاع ايجار المحال والمخازن، فضلاً عن غيرها من الأمور الإيجابية الأخرى والتي عادت بالربح والمنفعة والفائدة على جميع أهالي البحرين(48)...

وفي الفترة الواقعة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ونتيجة للتسهيلات التي منحها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، والتي أدت إلى تصاعد النشاط الملاحي والتجاري في البحرين، وهو ما جعل الكثير من التجار الأوروبيين يتوافدون إلى البحرين والمكوث فيها لمدة أسبوع أو أسبوعين، يقومون خلالها بشراء ما يتيسر لهم من اللؤلؤ، ومن ثم العودة للإتجار به في أوروبا، وهو الأمر الذي شجع التجار البحرينيين على الذهاب بأنفسهم إلى مدن أوروبا للغرض نفسه(49)...

وانطلاقا من أهداف الشيخ عيسى بن علي آل خليفة لتحقيق المزيد من التطور، فقد قام بالاهتمام بالجوانب والنواحي الأخرى التي تدعم ازدهار الملاحة والتجارة في البحرين ألا وهي حقوق العمل، حيث إنه أمر البحارة بأن يسجلوا في دفاترهم نصيبهم وديونهم، وهو الأمر الذي عبر عن بداية عهد ظهور حقوق اليد العاملة من البحارة، كما وشكّل أول التفاتة عمالية في البحرين(50)...

وقد كان من نتائج اهتمام وحرص الشيخ عيسى بن علي آل خليفة على نهضة البحرين وتقدمها في شتى المجلات وعلى جميع الأصعدة؛ أن وصفها الضابط

العثماني "محمد رؤوف طه الشيخلي" وذلك عندما مر بها في العام 1892م، اذ قال عنها: ((المنامة فيها أسواق جميلة، ويمكنك أن تجد فيها أنواع الأقمشة وأشكال التحف والعطور، ثم مررنا على أسواق أخرى وهي دكاكين اللؤلؤ وفيها أصحابها وكل بيده لؤلؤة يصقلها، ثم مررنا على سوق آخر فيه أنواع السمك المقدد وقد وضعوها كبيادر الحنطة والشعير مكدسة في الدكاكين من الأرض إلى السقف))(51)، وإن دل هذا الأمر على شيء، فإنما يدل على أن البحرين حينها كانت قد أصبحت مركزاً تجارياً مهماً، فضلاً عن كونها مستودعاً لتجمع البضائع والسلع التي كان يُعاد تصدير أغلبها، وهو ما يعكس تحسن أوضاعها الاقتصادية وتنشيط حركة السوق المحلية فيها...

وإلى جانب ذلك فإن ما أبداه الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من اهتمام بمهنة الغوص على اللؤلؤ، قد أدى إلى تطور الأسواق البحرينية تطوراً ملحوظاً، وذلك بعد أن كانت بسيطة جداً قبل توليه الحكم، حيث تطورت الإمارة كثيراً إبان حكمه، كما وأدت سياسته بالاهتمام بمهنة الغوص إلى انتعاش منتوجات اللؤلؤ، فضلاً عن انتشار الورش المختصة بتنظيفه وتخريمه وتجهيزه للتصدير(53)، وبذلك يكون الشيخ عيسى بن علي آل خليفة قد استحدث مهنة جديدة أخرى لأهالي البحرين، سعى من خلالها إلى تنشيط واقعهم الاقتصادي، وذلك بعد أن كانوا يعتمدون فقط على صيد اللؤلؤ وبيعه بأثمان رخيصة...

تطور النشاط التجاري للبحرين إبان عهد حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة:

يبدو ومن خلال قراءة مؤشرات خط سير التجارة في البحرين، بأنه وعلى الرغم من بعض الهبوط الذي أصابها خلال عهد الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة 1843م-1868م، إلا أنه سرعان ما عاد الانتعاش التجاري لها يوماً بعد آخر وبخاصةً بعد تولي الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حكم الإمارة عام 1869م، حيث يعود الفضل في ذلك إلى الهدوء والأمان والاستقرار الذي ساد البحرين إبان حكمه، ما أدى إلى وجود حركة كبيرة للسفن التجارية في الموانيء البحرينية(53)...

وحينما بدأ استعمال السفن الكبيرة والتي كانت تملكها الشركات البريطانية للعمل في التجارة، والتي أخذت تحل محل السفن الشراعية المستخدمة سابقاً، وذلك في عقد الستينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، فقد أدى ذلك إلى تدهور التجارة في بعض موانيء الخليج العربي(54)، إلا أن البحرين لم تتأثر اقتصادياً باستعمال تلك السفن، لاسيما وإن شركة الملاحة الهندية البريطانية (British India steam navigation company)، كانت قد اتخذت من البحرين مركزاً تجارياً لها وذلك لتصريف بضائعها التي كانت تجلبها من الهند وغيرها من الموانيء التجارية الرئيسية، لتقوم بعد ذلك بتوزيعها بواسطة السفن الشراعية البحرينية، وإلى جانب ذلك فإن أنواع البضائع التي كانت تستورد من الهند إلى البحرين قد بدأت تتغير لتصبح مصنوعات بريطانية، ما يعني أن التجارة البريطانية أصبحت تأتي إلى البحرين مباشرة بواسطة تلك السفن(55)...

ونظراً للأهمية التي تمتعت بها البحرين خلال هذه المرحلة الزمنية من عمرها، فقد حاولت إحدى الشركات البريطانية وذلك في العام 1871م، أن تحصل على امتياز لاستخراج اللؤلؤ فيها(56)، إلا أن حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة رفض ذلك الأمر ووقف ضد تلك الفكرة، التي رفضها أهل البحرين كذلك، وأيدوا شيخهم فيما ذهب إليه من رفضها، ما أدى بالشركة إلى أن تعدل عن رغبتها(57)، حيث كان رفض الشيخ عيسى بن علي آل خليفة نابعاً من شعوره الكبير ورؤيته الحكيمة بضرورة الحفاظ على ثروات الإمارة واستغلالها من قبل أبناءها بدلاً من أن يتم استغلالها من قبل الشركات الأجنبية التي ستحتفظ بالأرباح الكبيرة لنفسها، بينما لا يحصل أبناء البحرين إلا على النزر القليل منها، إذ كان هدف تلك الشركات العمل على احتكار استخراج اللؤلؤ لصالحها، ومنع أبناء البحرين من ممارسة تلك المهنة التي كانت المصدر الرئيس لمعيشتهم ورزقهم، وهو الأمر الذي جعل الشيخ عيسى يفضل مصلحة أبناء البحرين ويجعلها في المقام الأول لأهدافه وأولوياته، وهكذا يتبين لنا سبب عدم تأثر التجارة البحرينية بدخول البواخر التجارية والسفن الكبيرة إلى الخليج العربي، بل إن أصحاب السفن الشراعية الصغيرة كانوا مستفيدين من قدوم تلك السفن الكبيرة إلى البحرين، وهو ما يتضح جلياً فيما ذهب إليه الضابط العثماني "محمد رؤوف طه الشيخلي" والذي عاد بعد

تخرجه من الكلية العسكرية في إسطنبول في عام 1902م إلى بغداد ومكث فيها حتى صدر أمر تعينه في الإحساء فركب إحدى البواخر النهرية متوجهاً إليها، وعند وصوله إلى البحرين كتب يقول في وصفه لمينائها: ((الباخرة رست على بعد ميل ونصف تقريباً من الساحل لأن المرفأ هناك غير عميق فهو يبدأ متدرجا من الساحل بانحدار منتظم حتى إلى الأعماق الكبيرة، والمحل الذي رست فيه الباخرة هو أقصى ما يمكنها أن تصله، ثم جاءت سفن شراعية صغيرة لتحمل الركاب وأمتعتهم، لكن العاصفة في تلك الساعة كانت قوية فعندما وصلت سفينة واحدة تهافت عليها الركاب لكرائها (تأجيرها)، فانتظرنا حتى كثرت السفن فقاولت أحدها بعشرة روبيات وبدأنا بإنزال أمتعتنا فكنا نربط الصندوق بالحبال وندليه إليها فيحله نوبتها، ثم نربط حاجة أخرى وهكذا إلى أن أنزلنا جميع الأغراض والحاجات))(58)...

هذا ونتيجة لتصاعد النشاط التجاري في البحرين خلال عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، فقد ازدادت أعداد السفن البحرينية بمختلف أنواعها حتى وصلت في العام 1907م إلى ما يقارب 1728 سفينة عاملة بالتجارة والغوص على اللؤلؤ، وموزعة حسب الجدول التالي:

جدول رقم (1)

أعداد وأنواع سفن البحرين الموجودة عام 1907م(59)

الجزيرة	الميناء	بغلة	بتيل	بوم	بقارة	سمبوك	شوعي وقارب حظيفة	المجموع
البحرين	حالة بن أنس	-	-		-	-	6	6
	عاقود	-	-	-	-	3	-	3
	عسكر	-	1	-	1	-	17	19
	باربار والدراز	-	-	-	-	15	-	15
	البديع	-	11		10	56	37	114
	حالة بن أسوار	-	-	-	-	-	3	3

	جو	-	-	-	4	-	28	32
	الجفير	-	-	-	-	-	13	13
	المعامير	-	-	-	2	22	-	24
	المنامة	2	-	6	-	1	100	109
	راس رمان	1	2	1	-		15	19
	الرقعة	-	-	-	-	23	-	23
	سنابس	-	-	-	2	23	-	25
	شرابية	-	-	-	-	10	-	10
	الزلاق				5	19	9	33
المحرق	البسيتين				8	12	26	46
	الدير				1	25		26
	الحد		3		42	183	21	249
	المحرق		40	14	68	189	396	707
	النعيم		5		12	50	4	71
	قلالي					55	4	59
	سماهيج					6	6	12
	أم الشجيرة				1	14		15
	أم الشجر				2	15		17
جزيرة النبيه صالح	كفيان				1		8	9
	محذة					30	1	31
	القرية					19		19
	سفالة					19		19
المجموع الكلي للسفن		**3**	**60**	**22**	**160**	**789**	**694**	**1728**

ويتضح من الجدول السابق بأن السفن البحرينية لم تقتصر على نوع واحد، بل إنها كانت بأنواع عديدة؛ منها بغلة وبتيل وبوم و بقارة والسمبوك والشوعي وغيرها، وقد كانت سفن السمبوك من أكثر الأنواع التي امتلكها أهل البحرين حيث وصل عددها إلى 789 سفينة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه السفينة كانت تصنع في البحرين، وإلى جانب ذلك وضح لنا الجدول السابق كذلك بأن جزيرة المحرق بموانئها المختلفة كانت قد امتلكت أكبر عدد من السفن البحرينية، حيث تفوقت على بقية الموانيء بامتلاكها لما يقارب الـ707 سفينة، علماً بأن هذا العدد الكبير من السفن البحرينية قد قابلته زيادة في أعداد الرجال العاملين فيها، حيث بلغت أعدادهم ما يقارب الـ18390 رجلاً...

وفي حقيقة الحال، فإن أعداد السفن العاملة في الغوص على اللؤلؤ كانت في تزايد مستمر، فقد ذكر الرحالة "جيري" عند مروره بالبحرين في عام 1878م بأن عدد هذه السفن يصل إلى 500 سفينة(60)، هذا وقد استمرت أعداد هذه السفن بالتصاعد لتصل في العام 1896م إلى 900 سفينة وذلك بحسب ما ذكره الرحالة زويمر(61)، أما في العام 1907م فقد بلغ عددها ما يقارب الـ917 سفينة وذلك حسب ما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم (2)

عدد السفن المستخدمة في مصائد اللؤلؤ وأعداد العاملين عليها في منطقة الخليج العربي حتى العام 1907م(62)

الموانيء	عدد السفن	
الكويت	700	9200
الإحساء	167	3444
قطر	817	12890
البحرين	917	17623
إمارات ساحل عمان (دولة الإمارات حاليا)	1215	22045
الساحل الشرقي للخليج العربي	924	8884

حيث يتبين بوضوح من الجدول أعلاه بأن البحرين قد تفوقت على موانيء الكويت والإحساء في امتلاكها لأعداد السفن العاملة في الغوص على اللؤلؤ، كما إن أعداد العاملين في تلك السفن قد بغ 17623 رجل، وهو عدد كبير عند مقارنته بالعاملين في بقية موانيء الخليج العربي، ويعود الأمر في ذلك إلى اتساع مناطق صيد اللؤلؤ في البحرين والتي تحدث عنها الرحالة "جيري" عند زيارته لها في العام 1878م، حيث قال: ((يعد صيد اللؤلؤ حول البحرين حتى الأن من أكثر المناطق قيمة في الخليج على الرغم من امتداد شواطئ الخليج العربي من الكويت، ليس بعيدا عن شط العرب وحتى رأس الخيمة وليس هناك إلا بضعة أماكن لصيد اللؤلؤ على الساحل الفارسي والتي تتميز بأن إنتاجها قليل في كميته ورديء في نوعيته))(63)...

هذا ومن الجدير بالذكر هو أن التصاعد والاتساع والزيادة الحاصلة في عمليات الغوص على اللؤلؤ قد استمرت بالنمو خلال عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وهو الأمر الذي يؤكده "جيسمان" الذي زار البحرين في العام 1920م وقال فيها: ((إن البحرين هي الأكبر في مجموعة الجزر في الشاطئ الجنوبي الغربي من الخليج العربي وتأتي أهميتها من موقعها في وسط استخراج وصناعة اللؤلؤ، وفي أوائل صيف كل عام تتجمع هنا وفي جميع القرى الساحلية والجزر من الخليج العربي آلاف القوارب الشراعية ثم ينزل الغطاسون داخل المياه لجلب المحارات التي تفتح فيما بعد لاستخراج اللؤلؤ منها))(64)...

وبذلك يتضح لنا بأن تطور النشاط الملاحي والتجاري في البحرين خلال عهد حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة قد انعكس بصورة جلية على ازدهار ونمو علاقاتها التجارية...

تطور علاقات البحرين التجارية خلال عهد حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة:

مما لا شك فيه هو إن التصاعد المستمر والتزايد الحاصل في أعداد السفن البحرينية خلال عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، قد انعكس بشكل إيجابي على تطور البحرين ونمو علاقاتها التجارية، حيث ارتبطت البحرين خلال تلك الفترة بعلاقات تجارية واسعة ومميزة...

فقد كانت سفن البصرة التي تصل إلى الموانيء البحرينية تجلب معها الكثير من السلع والبضائع المطلوبة، لتقوم عند عودتها بأخذ المواد والبضائع المتوفرة، والمنتوجات البحرينية وخاصة القماش الذي تصنع منه أشرعة السفن(65)، أما السفن البحرينية الذاهبة إلى البصرة فقد كانت تقوم بجلب التمور والدهون الحيوانية بالإضافة إلى القمح والشعير والدخن وغيرها من البضائع مما كانت البحرين تفتقر لها(66)...

وفي عام 1873م قامت البصرة باستيراد ما قيمته 1068035 روبية، وذلك من أصل واردات البحرين البالغة 3287275 روبية، علماً بأن صادراتها بلغت نحو 3106025 روبية، ولم تكن تلك الصادرات من منتجات البحرين المحلية فحسب، وإنما مضافاً إليها بعض مستورداتها من الهند ومناطق أخرى، وذلك فيما عدا اللؤلؤ الذي كان يشكل ما قيمته (100000) روبية من حجم تجارتها(67)...

ومما يجدر ذكره هنا هو أن أسواق البصرة كانت تشتهر بالخيول الأصيلة التي كانت تأتيها من مختلف مناطق العراق وخاصةً من الحِلَة والديوانية، ورغم أن الخيول العراقية لم تكن تماثل الخيول النجدية، إلا إنها كانت مرغوبة تماماً في مختلف مناطق الخليج العربي(68)، حيث كانت السفن البحرينية تعود محملة بأعداد كبيرة من هذه الخيول لتقوم البحرين بعدها بتصدير جزءاً منها إلى الهند، حيث قام تجار بومباي باستيراد أعداد كبيرة منها فاقت قيمتها الـ 28421 باوند(69) وذلك في العام 1869م(70)...

أما بالنسبة لعلاقات البحرين التجارية مع الكويت فقد كانت استمراراً لعلاقتها السابقة، حيث دأبت السفن الكويتية على اتخاذ البحرين محطة لوقوفها أثناء توجهها للتجارة مع الهند، وهو نفس ما كانت تفعله في طريق عودتها الى الكويت(71)، وذلك للاستراحة والتزود بالمياه والمؤن، أما بالنسبة للسلع التي

كانت السفن البحرينية تقوم بنقلها إلى الكويت خلال تلك المدة، فقد كانت تتكون بصورة أساسية من الصوف والعباءات وذلك بحسب ما ذكره "لوريمر"(72)، الأمر الذي يدل على تزايد الثروة الحيوانية في البحرين، في تلك الفترة ولاسيما الأغنام، وهو ما يشير إلى حجم الانتعاش الاقتصادي الذي حصل في البحرين إبان حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة والذي أدى إلى تميزها على كثير من إمارات الخليج العربي الأخرى، حيث كانت البحرين تقوم بتصدير قماش القنب البحريني إلى الكويت، في حين كانت السفن الكويتية تعود محملةً بالتمور والأسماك الجافة، وذلك فضلا عن صادرات الكويت والتي تمثلت في السمن والخيول التي اشتهرت بتجارتها(73)...

إن تطور علاقات البحرين التجارية حينها لم يكن مقصوراً على البصرة والكويت فقط، بل إنه امتد ليشمل المناطق الأخرى للخليج العربي، حيث اتسعت علاقات البحرين التجارية مع الإحساء، ففي الوقت الذي استمرت فيه البحرين بتصدير القماش المصنوع فيها إلى الإحساء والقطيف، فإن ميناء المنامة كان هو الميناء الرئيس بالنسبة لتلك المناطق، فضلا عن أجزاء أخرى من نجد أيضاً، حيث كانت البضائع والسلع تُنقل منه إلى مختلف مناطق الجزيرة العربية، كما وكانت تُنزل في البحرين في كل عام ما قيمته حمولة خمسون حصان في طريقها من نجد والإحساء إلى الهند، حيث يتم نقلها على متن السفن البحرينية(74)، هذا ويبدو الترابط التجاري الوثيق بين البحرين ومدن شبه الجزيرة العربية واضحاً وذلك من خلال ما ذكره الرحالة "زويمر" حيث قال: ((كما إن جدة هي الميناء الرئيس على البحر الأحمر، فإن البحرين هي الميناء الشرقي لكل الجزيرة العربية، إذ إنها المدخل الرئيس إلى الأجزاء الداخلية، وعندها ترسم حدود الإحساء، وإذا ما رسمنا خطاً من المنامة إلى القطيف ومن الهفوف (أو الإحساء) نزولاً إلى المنامة فإن هذا المثلث يضم كل مدينة مهمة في شرق الجزيرة العربية، والطريق المعتاد من البحرين إلى الأجزاء الداخلية من الإحساء يمكن الوصول إليه بواسطة القوارب الصغيرة إلى اليابسة ومن ثم الترحال بواسطة القافلة إلى الهفوف، وبناءاً على ذلك أيضاً فإن جميع المناطق الجنوبية من نجد كانت تستلم بضائعها وسلعها مثل الأرز والقهوة والسكر والملابس عن طريق البحرين))(75)، وهذا ما نجده أيضاً في رواية الرحالة ويكهام بقوله: ((إن موقع البحرين الذي هو على

مسافة 27 ميلا يمكن أن يجعل البلاد جنة كما كانت سابقا وبمرور الوقت فإن للبحرين تجارة قيمة من خلال ارتباطها مع الأجزاء الداخلية للجزيرة العربية))(76)، حيث يمثل ما سبق الصورة التي رسمها الرحالة الأوروبيون عن الأهمية التجارية للبحرين والتي ظلت قائمة حتى مطلع القرن العشرين الميلادي...

وإلى جانب ما سبق فقد كانت من أهم مظاهر تطور علاقات البحرين التجارية مع سواحل الإحساء ومدن شبه الجزيرة العربية، هي استقرار وكلاؤهم التجاريين في البحرين وذلك من أجل تسهيل وتنظيم سير العمليات التجارية، كما وقام بعض التجار باستئجار السفن البحرينية لنقل البضائع إلى مناطقهم، حيث كانت مجمل السلع الآتية من الهند إلى البحرين تشتمل على القرنفل والكركم (البهارات) والفلفل(77)، وفضلاً عن ذلك فقد جلبت السفن البحرينية أكثر من 2050 رأس من الماعز والأغنام من القطيف(78)...

وبالحديث عن التجارة مع نجد والحجاز، فقد كانتا على رأس قائمة المناطق المستوردة من البحرين، حيث بلغت قيمة ما صدرته لهما البحرين في العام 1919م ما يشكل حوالي 41,47% من جملة الصادرات البحرينية(79)...

أما فيما يختص بعلاقات البحرين التجارية مع عُمان، فإن الأخيرة كانت تعاني في تلك الفترة من ضعف نشاطها الملاحي والتجاري وذلك بعد وفاة حاكمها السيد سعيد بن سلطان(80)، فضلا عن ضعف أسطولها التجاري الذي كان يسير نحو الانهيار(81)، نتيجةً للحرب الأهلية والصراع على السلطة، بالإضافة للصراعات الداخلية التي كانت قائمةً فيها(82)، الأمر الذي أنعكس سلباً على العلاقات التجارية بينهما؛ ولكن وبغض النظر عن ذلك فإنه ونتيجة للدور الكبير الذي لعبته عمان في تجارة الأسلحة التي كانت تأتيها من زنجبار، فقد أصبحت أكبر سوق لتجارة السلاح في الخليج العربي، وهو الأمر الذي أدى إلى قيام السفن البحرينية بجلب السلاح من مسقط(83)، وبذلك أصبحت تجارة السلاح إحدى مظاهر النشاط الملاحي البحريني الذي تطور خلال عهد حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، هذا فضلاً عن عمل البحرين على الاستفادة من هذه التجارة وذلك في الأوقات التي أرادت فيها الحصول على الأسلحة من أجل حماية نفسها من أي تهديد خارجي(84)...

وعلى الرغم من أن بريطانيا كانت ترفض السماح لإمارات الخليج العربي بالمتاجرة في الأسلحة، إلا أن الشيخ عيسى بن علي آل خليفة قام في العام 1896م بإعطاء امتياز لوزيره عبد الرحمن بن عبد الوهاب للعمل بتلك التجارة وذلك بشرط عدم بيعها في البحرين والساحل العربي فيما عدا ساحل عمان، ويبدو من ذلك الأمر بأن الشيخ عيسى كان يحاول إيهام البريطانيين والتمويه عليهم بهذه الطريقة من أجل دخول الأسلحة إلى البحرين، وقد ذكر لوريمر في هذا الشأن ما يلي: ((إن الشيخ عيسى أراد تأمين السلاح لبلاده لأن شروط الامتياز كانت تنص على تقديم ضريبة سنوية مقدارها 30 بندقية مارتيني و6000 طلقة نارية فضلا عن ضريبة جمركية عينية بنسبة ثلاثة بنادق عن كل مئة بندقية ومئتي طلقة نارية لكل بندقية))(85)...

وبناءاً على ما سبق فقد ازدادت حركة تجارة الأسلحة في البحرين بسرعة كبيرة، إذ بلغت واردات الأسلحة في البحرين في عامي 1895م-1896م حوالي 95400 روبية، حيث كانت شحنات الأسلحة تُنقل من البحرين على متن السفن الشراعية إلى موانيء بوشهر والمحمرة ونجد والكويت وعمان وقطر، حتى بلغت قيمة هذه التجارة في البحرين في العام 1898م حوالي 467790 روبية(86)، وهو ما يعني بأن أهمية هذا النوع من التجارة قد ازدادت بشكل ملفت للنظر خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي، حيث عملت فيها أعداد كبيرة من السفن، وقامت بنقلها من البحرين إلى الموانيء الأخرى، مما ساهم في ازدهار ونمو نشاط الحركة الملاحية...

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن نشاط البحرين التجاري لم يكن مقصوراً على الموانيء العربية للساحل الغربي للخليج العربي بل تعداه إلى الساحل الشرقي للخليج العربي، وبخاصة مع موانيء بوشهر ولنجة وبندر عباس، إذ أصبحت سفن هذه الموانئ تجلب معها الكثير من البضائع، كما وتُصدر البحرين إليها أيضاً الكثير من المواد والسلع وبخاصة اللؤلؤ(87)...

وفي العام 1905م قامت السفن البحرينية بجلب ما لا يقل عن 14000 ألف رأس من الماعز من بلاد فارس(88)، كما وأصبحت السفن البحرينية التجارية القادمة من الهند إلى البحرين أو بالعكس تمر عبر هذه الموانيء،

حيث تقوم بإنزال جزءٍ من حمولاتها هناك، لتُشحن في عين الوقت بغيرها من البضائع والسلع، وذلك كي تعود بها إلى البحرين(89)...

وفي واقع الحال فإن تجارة البحرين إبان حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة لم تقتصر على مناطق الخليج العربي فحسب، بل إن علاقاتها التجارية نمت وتطورت وامتدت لتشمل الدول الأجنبية والمناطق البعيدة، وقد كانت الهند من أهم تلك المناطق التي ارتبطت معها البحرين بعلاقات تاريخية وتجارية قديمة، حيث اتسعت التجارة والعلاقات الاقتصادية بينهما إلى درجة أصبحت فيها البحرين تحتل الصدارة بالنسبة للدول المستوردة من الهند، فقد بلغ مجموع قيمة مستوردات البحرين منها في تلك الفترة 1167375 روبية، وبعد العام 1875م ونتيجةً للظروف التي اتسمت بها أوضاع البحرين من الأمن والاستقرار والازدهار التجاري، مما انعكس بصورة إيجابية على زيادة النشاط التجاري لدى الرعايا الهنود المقيمين في البحرين وتحسنت أحوالهم بصورة عامة مقارنة بالسنوات الماضية(90) التي سبقت عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حيث كان التجار الهنود الذين يُعرفون بـ(البانيان) قد جاءوا من المناطق الغربية من كُجرات وكوتشن وذلك حين جذبهم لؤلؤ البحرين وبحارتها، ومن ثم ازداد عددهم في مواسم الغوص على اللؤلؤ، وقد سمح لهم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بالإقامة في البحرين مقابل أن يدفعوا ضرائب عن عملهم فيها(91)، الأمر الذي له دلالة واضحة على اهتمام الشيخ عيسى بالوضع الاقتصادي ومحاولة تطويره وجذب التجار الأجانب إليه، وبما ينعكس إيجابياً على البحرين واقتصادها...

وقد كان عمل التجار الهنود كذلك يتضمن القيام بتصدير التمور من القطيف إلى الهند على متن السفن البحرينية(92)، وهو الشيء الذي يعني استفادة أهالي البحرين وبحارتها من تواجد الهنود في البحرين، حيث أصبح لديهم مصدراً اقتصادياً آخر يُضاف إلى مهنة الغوص على اللؤلؤ والتجارة، ألا وهو تأجير سفنهم من قبل هؤلاء التجار الأجانب، يُضاف إلى ذلك إن الهند كانت من أكبر أسواق تجارة اللؤلؤ المُصدّر من البحرين، وفي عام 1899م حرص التجار الهنود على شراء اللؤلؤ بأسعار مرتفعة نسبياً وبزيادةٍ تراوحت ما بين 40-70% مما كان متعارف عليه، وذلك نظراً لقيام معرض باريس والذي أدى حينها إلى ارتفاع الطلب على اللؤلؤ إلى حد كبير، علماً بأن التحسن في

سعر اللؤلؤ في بومباي كان يحقق لتجار البحرين استيراد المزيد من السلع والبضائع فضلاً عن تنشيط تجارتهم ونموها، وخاصة تجارة الرز الذي كان يستورده البحرينيون بكثرة من الهند(93)، وفي العام 1900م بلغت واردات البحرين من الهند نحو 2800000 روبية، حيث حققت طفرة كبيرة مقارنة بالعام الذي سبقه(94)...

ومن الدول الأجنبية الأخرى التي سعى حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة للتعامل معها تجارياً هي؛ ألمانيا والتي كانت قد افتتحت لها في عام 1901م فرعا لشركة "روبرت ونكهاوس" (Robert wunkhows) في البحرين(95)، حيث أخذت هذه الشركة بعد افتتاحها بالقيام بشراء أصداف اللؤلؤ(96)...

وفي عام 1906م تم إنشاء شركة الملاحة الألمانية الكبيرة المعروفة باسم خط هامبورغ أمريكا، والتي عينت ونكهاوس وكيلا لخطها الملاحي في البحرين(97)، حيث وصلت أولى سفن هذا الخط الملاحي الجديد (كانديا) إلى المنامة في السادس والعشرين من أغسطس عام 1906م، ومما تجدر الإشارة إليه هو قيام ونكهاوس حينها بمحاولات عديدة مع حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة للحصول على إذن برفع علم هذا الخط الملاحي على بيته، لكن الشيخ عيسى رفض هذا الطلب بإصرار(98)، ما يدلل على أن الشيخ عيسى كان مدركا للأهداف التي كانت ألمانيا تسعى إلى تحقيقها، لكنه في عين الوقت أراد الحفاظ على هدفه الأساسي الذي دفعه للتعامل مع الألمان وهو الهدف التجاري، مع التأكيد على عدم فسح المجال أمامهم للتدخل في الشؤون الداخلية للبحرين...

مظاهر تطور التجارة البحرينية :

وتأكيداً على حجم النشاط والازدهار والنمو التجاري الذي تميزت به البحرين في عهد حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، فإن الجدول التالي يبين حجم التجارة في أهم موانيء الخليج العربي خلال الفترة الممتدة من عام 1894م وحتى العام 1914م...

جدول رقم(3)

يبين حجم التجارة في أهم موانيء الخليج العربي 1894م-1914م

(القيمة بآلاف الجنيهات الإسترلينية)(99)

العام	لنجة	المحمرة	البحرين	بندر عباس	الساحل المتصالح	بوشهر	المجموع
1894-1895	656		38798	545	270	1004	41273
1895-1896	578	111	387	478	304	1999	2857
1896-1897	245	144	479	364	361	787	22559
1897-1898	582	121	503	382	352	1145	3085
1898-1899	641	157	552	449	325	843	2967
1899-1900	612	208	642	546	343	917	3268
1900-1901	501	341	451	339	259	1323	3214
1901-1902	657	232	636	423	270	1632	3850
1902-1903	873	123	888	399	271	1100	3654
1903-1904	685	168	1027	449	304	949	3414
1904-1905	308	264	992	318	280	890	3052
1905-1906	103	224	1120	400		762	2609
1906-1907	163	287	1637	352		864	3303
1907-1908	124	286	1033	416		1052	2911
1908-1909	128	262	790	326		793	2299

1909-1910	117	917	1895	340		717	3986
1910-1911	132	617	1777	436		676	3638
1911-1912	144	599	2066	426	348	933	4516
1912-1913	164	607	2240	315	439	1064	4829
1913-1914	180	812	1878	459	317	826	4526

حيث يتضح جلياً من الجدول السابق بأن تجارة البحرين قد أخذت بالنمو والازدهار بشكل مضطرد إلى الدرجة التي تفوقت فيها على موانيء الخليج العربي الأخرى في أغلب سنوات أواخر القرن التاسع عشر، لتتصاعد بعدها بشكل ملحوظ مع بداية القرن العشرين الميلادي حتى وصلت خلال العام 1903م-1904م إلى ما قيمته 1027000 جنيه إسترليني وبمقارنتها مع أكبر الأرقام والتي حققها ميناء (بوشهر) على الساحل الشرقي للخليج العربي والبالغ 949000 جنيه إسترليني في نفس الفترة، يتضح لدينا بأن البحرين قد تفوقت على الموانيء الأخرى تجارياً خلال تلك الفترة الزمنية، وإنها استمرت بذلك وحتى قيام الحرب العالمية الأولى، حيث تظهر الأرقام الواردة في الجدول السابق نمو واتساع ذلك الازدهار التجاري حتى بلغ حجم تجارة البحرين في العام 1912م ما قيمته 2066000 جنيه إسترليني وهو رقم قياسي عند مقارنته مع موانيء الخليج العربي الأخرى، أما في العام 1913م فقد تفوقت تجارة البحرين حتى وصلت إلى ما قيمته 2240000 جنيه إسترليني...

أما بالنسبة لتجارة اللؤلؤ في البحرين والتي تعود في تاريخها إلى ألفي عام قبل الميلاد، وذلك حين كان الآشوريون في التاريخ القديم يبحرون إلى البحرين للحصول على (عيون السمك) أو اللؤلؤ منها(100)، أما في التاريخ الحديث لتجارة اللؤلؤ وأثمانه فيبدو إنها كانت تحقق تصاعداً مستمراً، فقد زادت أثمانه بشكل كبير وحققت مبيعاته أرقاماً كبيرة فاقت الأرقام التي سجلتها في السنوات السابقة لحكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حيث

وصلت مبيعات اللؤلؤ في العام 1875م إلى 180000 جنيه إسترليني، وقد ازداد هذا المبلغ ليصل إلى 303000 جنيه إسترليني في العام 1896م، هذا وقد استمرت واردات اللؤلؤ في التزايد عام بعد آخر حتى وصلت في عام 1900م أي في بداية القرن العشرين الميلادي إلى ما يقارب 500000 جنيه إسترليني(101)، وقد قدّر الطبيب الأمريكي "هرسون" الذي عاش في البحرين خلال الربع الأول من القرن العشرين الميلادي، ثمن اللؤلؤ الذي بيع في البحرين عام 1913م بتسعة ملايين دولار أمريكي(102)

وإلى جانب ذلك فقد أورد لوريمر إحصائية عن مبالغ بيع محصول اللؤلؤ في موانيء الخليج العربي بما فيها البحرين والتي تتبين أرقامها وفقاً للجدول التالي:

جدول رقم (4)

مبالغ بيع اللؤلؤ في موانئ الخليج العربي عام 1906م (103)

الميناء	المبلغ (بالجنيه الإسترليني)
البحرين	12603000
عمان المتصالح	8000000
لنجة	895861
الكويت	1347000
مسقط	22500

فقد تصدرت البحرين في العام 1906م، ومن خلال ما يوضحه الجدول السابق أهم موانيء الخليج العربي وأكثرها شهرة وأهمية في ذلك الوقت؛ وهي ميناء الكويت ومسقط ولجنة، فضلاً عن موانيء الساحل المتصالح، مما يدلل على ما تتمتع به الحركة التجارية والبحرية والملاحية لأهالي البحرين من ازدهار ونشاط وفعالية...

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، ومما لا شك فيه أيضاً هو أن ذلك النشاط التجاري والملاحي الكبير الذي حظيت به البحرين، قد تطلب منها تداول العديد من العملات النقدية وذلك بغرض تيسير إجراءات الأنشطة والمبادلات التجارية، فضلاً عن تسهيل عمليات البيع والشراء فيها؛ وعلى الرغم من كثرة العملات التي تم تداولها في البحرين، إلا أن العملة الهندية كانت الأبرز من بين جميع الأنواع، حيث كانت الأكثر شيوعاً والأكبر تداولاً، أما دولارات (ماريا تريزا) أو الريالات فقد كان تداولها مقصوراً على مواسم الغوص على اللؤلؤ فقط، وذلك من حيث كان الغواصين يفضلونها، وإلى جانب ذلك فقد كان هناك الغران البحريني الذي تبلغ قيمته 5,2 روبية(104)...

هذا ونتيجة لتصاعد الحركة التجارية في البحرين ونشاطها، فقد كانت تدخل البحرين كمية كبيرة من النقود من الخارج، حيث بلغت العملة المستوردة في العام 1903م ما قيمته 403 "لكاً" علماً بأن الـ" لك" الواحد يساوي مائة ألف روبية، كما بلغت قيمة العملة التي خرجت من البحرين في العام نفسه ما قيمته 4,5 لكاً(105)، وهذا مما يؤكد على مقدار حجم المبادلات التجارية الكبيرة التي كانت تجري حينها، والتي تعكس التقدم المستمر الذي كان يشهده النشاط الملاحي والتجاري في البحرين وذلك إبان عهد حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة...

الخاتمة والاستنتاجات:

1- تبين لنا جلياً من خلال بحثنا هذا، بأن مواصفات الموقع الجغرافي للبحرين قد ساعدتها كثيراً في أن تكون من أفضل إمارات الخليج العربي، وأكثرها تميزاً بالنشاط الملاحي والتجاري، يُضاف إلى ذلك الجهود التي بذلها شيوخها من آل خليفة والذين تناوبوا على حكمها، وعلى وجه الخصوص حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة والذي أدرك تماماً لأهمية معطيات موقعها الجغرافي، وعمل بمقتضاها على تطوير البحرين وازدهارها ملاحياً وتجارياً...

2- أوضح لنا البحث بأن حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة كان يعلم جيدا كيف يقوم على تطوير إمارته، وقد كان ذلك نابعاً من معرفته التامة بأن المهنة الأساسية التي يستطيع من خلالها أن يجعل البحرين تتبوأ مكانة عالمية هي الملاحة والبحر، ولذلك فقد وجه جل اهتمامه إلى خلق وتطوير مختلف الأنشطة التجارية، الأمر الذي أدى إلى نمو وازدهار النشاط التجاري والملاحي وتصاعده، وهو ما جعل البحرين تصل إلى مراحل متقدمة في مضمار الملاحة الدولية خلال فترة حكمه...

3- توصل البحث إلى أن عهد حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة للبحرين كان فترة مميزة في تاريخها، وقد تطور فيها النشاط الملاحي والتجاري كثيراً وتصاعد بمجمل مظاهره ونما بكل جوانبه وازدهر على جميع أصعدته، حيث ازدادت أعداد السفن البحرينية العاملة في الغوص والتجارة، وتوسعت علاقات البحرين التجارية، كما وارتفعت واردات البحرين المالية وانتعشت أوضاعها الاقتصادية، فضلاً عن العديد من المنجزات التجارية الإيجابية، والتي ارتبطت بشكل أساسي بالإجراءات التي اتخذها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة والتي حققت تلك النتائج...

هوامش البحث ومصادره:

1- حسين فوزي النجار، السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط، ج1، القاهرة، 1953م، ص639...

2- سالم سعدون المبادر، جزر الخليج العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1981م، ص151...

3- Rupert Hay, The Gulf States, Middle East institute, Washington DC, 1959, p.87...

4- عمر رضا كحالة، جغرافية شبه الجزيرة العربية دمشق، 1944م، ص18...

5- سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1982م، ص18...

6- عبد الله وليمسن، جولة في الخليج العربي، ترجمة سليم طه التكريتي، منشورات بصرى، بغداد، 1962م، ص18...

7- حسين حميد كريم، وحسين هاشم سلمان، جيولوجيا الخليج العربي، منشورات مركز علوم البحار، جامعة البصرة، 1988م، ص108...

8- التوم الطالب محمد يوسف، تاريخ الخليج العربي الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى أواخر القرن الرابع الهجري، ج1، البحرين، دبي، 1985م، ص33...

9- محمد متولي، حوض الخليج العربي، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م، ص35...
الأخوار: ألسنة من البحر تتوغل في الأرض اليابسة وتمتد لبضع كيلو مترات...

10- محمد صالح ربيع العجيلي، مدن الموانئ العربية – تحليل جيو استراتيجي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002م، ص25...

11- محمد متولي، حوض الخليج العربي، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م، ص72...

12- إبراهيم شريف، الشرق الأوسط، دراسة اتجاهات سياسة الاستعمار حتى قيام ثورة 14 تموز(يوليو) 1958م في العراق، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، 1965م، ص24...

13- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج1، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، ص297...

14- حكومة البحرين، المجموعة الاحصائية لعام 1967م، ص4...
وتتكون الشعاب المرجانية نتيجة لعدة أسباب منها قلة أعماق المياه، إذ لا تتجاوز عن 10 أمتار وكذلك وجود الحرارة المناسبة حيث تتراوح بين 18-32، إضافة إلى توفر الأشعة الشمسية والضوء وحركات المياه والتيارات القادمة من الشمال...

15- سعدي علي غالب، النقل البحري دراسة في جغرافية النقل، ط1، 1985م، ص155...

16- Wellsted J.H., Travels in Arabia, London,1838, p.250...

17- محمد صالح ربيع العجيلي، مصدر سابق، ص286...

18- أحمد رمضان شقلية، الجغرافية الاقتصادية لجزر البحرين - دراسة جغرافية اقتصادية، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1980م، ص27...

19- Belgrade J.H., Welcome to Bahrain, London,1970, p.8...

20- إبراهيم شريف، مصدر سابق، ص24...

21- محمد متولي، مصدر سابق، ص20...

22- د.علي أباحسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، البحرين، 1996م، ص109...

23- أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، الكويت، 1979م، ص22...

24- د.علي أباحسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، مجلة الوثيقة، العدد السابع، 1990م، ص75...

25- فائق حمدي طهبوب، تاريخ البحرين السياسي 1783م-1870م، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1983م، ص27...

26- أمين الريحاني، ملوك العرب ـ رحلة في البلاد العربية، ج2، بيروت، 1953م، ص223...

27- John. Chardin, The travels of Sir John Chardin in Persia 1671 -1677, London, 1927 ,p.65...

28- طارق نافع الحمداني، البحرين في كتابات الرحالة الأوروبيين 1507م-1914م، دار الوراق للنشر، بيروت، 2010م، ص48...

29- John Morier, A Journey through Persia, Armenia and Asia Minas in the year 1808 and 1809, London, 1812, p-52...

30- Wellsted, J.R., Travels to the city of the caliphs, London, H. Colburn, vol.1, 1840, p.114...

31- Encyclopedia Britannica, vol.1, P.802...

32- Talal Toufic Farah, Protection and politics in Bahrain 1869–1915, American University of Beirut, 1985, p.37...

33- Joe R., R/15/i/196. Report, Al Khalifa's family, p.163...

34- Bombay Government, selection from the Records of the Bombay Government, new series, no. xxiv, Bombay, p.415...

35- عماد جاسم حسن، نشاط قطر الملاحي 1766م-1914م، مجلة كلية التربية، العدد 3، 2010م، ص13...

36- كاظم باقر علي، البحرية الفارسية في الخليج العربي – دراسة لواقعها البحري 1848م -1907م، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1982م، ص70...

37- أحمد الشامي، العلاقات التجارية بين دول الخليج العربي وبلدان الشرق الاقصى وأثر ذلك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى، بحث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، ج2، مكتبة تدون تاريخ قطر، اتحاد المؤرخين العرب، 28-29 مارس 1976م، ص336...

38-الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ودوره في بناء البحرين، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) على الموقع:

http://en.wikipedia.org/wiki/Isa_ibn_Ali_Al_Khalifa

39- مكتبة حركة الوفاق الوطني في العراق، الملفات الوثائقية، ملف خاص عن البحرين بدون رقم، عنوان الوثيقة: البحرين واللؤلؤ، ص2...

40- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج 1، ص310...

41- Osborne, Christiane, the gulf states and Oman, London, 1977, p. 130...

42- أنجلا كلارك، جزر البحرين دليل مصور لتراثها، ترجمة محمد الخزاعي، جمعية تاريخ وآثار البحرين، 1985م، ص156...

43- بشرى كاظم عودة، نشاط عمان الملاحي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، 2002م، ص113...

44- آرنولد. ت. ولسن، الخليج العربي، مجمل تاريخي منذ أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين الميلادي، ترجمة عبد القادر يوسف، الكويت، ص 124...

45- أنجلا كلارك، مصدر السابق، ص154...

46- المصدر نفسه، ص155...

47- علاء محمود مدني، صناعة السفن والمراكب التقليدية في الخليج العربي، مجلة التراث الشعبي العدد7، 1978م، ص44...

48- فؤاد إسحاق الخوري، القبيلة والدولة في البحرين، تطور نظام السلطة وممارستها، ص103...

49- المصدر نفسه، ص91...

50- الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية على الموقع:

https://bahrainforums.com/vb/english-forum/

51- طارق نافع الحمداني، مصدر سابق، ص65...

52- أحمد رمضان شقلية، مصدر سابق، ص339...

53- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، الرياض، ص157...

54- صلاح عريبي عباس العبيدي، غرفة تجارة وصناعة البحرين النشأة والتطور، مجلة الوثيقة، العدد 45، البحرين، 2004م، ص74...

55- محمد الرميحي، مصدر سابق، ص97...

56- صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ط1، القاهرة، 1965م، ص263...

57- مكتبة حركة الوفاق الوطني في العراق، مصدر سابق، ص3...

58- طارق نافع الحمداني، تاريخ البحرين السياسي والاجتماعي والثقافي الحديث، منشورات دار الرواق، 2011م، ص64...

59- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج1، ص307-309...

60- Grattan Geary, Through Asiatic Turkey, 1878, London, vol.1, p.41...

61- Zwemer, S.M., Arabia: The Cradle of Islam, New York, 1900, p.100...

62- صبري فارس الهيتي، مصدر سابق، ص270...

63- Grattan Geary, Through Asiatic Turkey, 1878, London, vol.1, p.41...

64- ر.أ. جيسمان، من العقير إلى خرائب سلوى، 1920م، مجلة الوثيقة، البحرين، العدد السابع، 1985م، ص71...

65- خالد خليفة الخليفة، تجارة البحرين منذ فتح العتوب حتى ظهور النفط، مجلة الوثيقة، العدد السابع البحرين، 1985م، ص42...

66- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج6، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، ص3330...

67- حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي 1869م-1914م، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1980م، ص132...

68- Wellsted, J.R., Travels to the city of the caliphs, London, H. Colburn, vol.1, 1840, p.145...

69- كل عشر روبيات تساوي باوند...

70- جاسم محمد هادي القيسي، أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية 1831م-1869م، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1985م، ص83...

71- أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث 1750م-1965م، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، 1984م، ص296...

72- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج1، ص3010...

73- Hasan. A. AL-Ebraheem, Kuwait: A Political study, Kuwait University, p-110...

74- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج1، ص311...

75- Zwemer, S.M., Arabia: The Cradle of Islam, New York, 1900, p.110-112...

76- H. J. Whigham, The Persian problem, London,1903, p.39...

77- عبد الفتاح حسن أبو علية، الدولة السعودية الثانية 1840م-1891م، مطبعة المدينة، 1974م، ص273...

78- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج1، ص311...

79- أحمد رمضان شقلية، مصدر سابق، ص569...

80- رودولف سعيد روت، سلطنة عمان خلال الحكم السيد سعيد بن سلطان 1791م-1856م، ترجمة وتحقيق عبد المجيد حسيب القيسي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1983م، ص133...
"توفي السيد سعيد بن سلطان في البحر وهو على متن سفينة المسماة فكتوريا في 19 أكتوبر (تشرين الأول) عام 1856م"...

81- بشرى كاظم عودة، مصدر سابق، ص89...

82- روبرت جيران لاندن، عُمان منذ 1856م مسيراً ومصيراً، ترجمة؛ محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة في عمان، مسقط، 1994م، ص62...

83- إسماعيل نوري الربيعي، تجارة السلاح في الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، مجلة الوثيقة، العدد27، ص57...

84- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج6، ص3712...

85- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج6، ص3712...

86- رحيم كاظم محمد الهاشمي، تجارة الأسلحة في الخليج العربي 1881م-1914م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1992م، ص80...

87- خالد خليفة الخليفة، مصدر سابق، ص42...

88- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج1، ص311...

89- أداموف، التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة نوري عبد بخيت السامرائي، مجلة الخليج العربي، العدد9، 1978م، ص114...

90- د. علي أباحسين، مصدر سابق، ص24...

91- Talal Toufic Farah, Protection and politics in Bahrain 1869-1915, American University of Beirut, 1985, p.12 ...

92- د. علي أباحسين، مصدر سابق، ص96...

93 -The Bahrain Government Annual Report, p.518...

94- علي أباحسين، مصدر سابق، ص26...

95- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج1، ص552...

96- طارق نافع الحمداني، تاريخ البحرين السياسي والاجتماعي، ص106...

97- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج1، ص552...

98- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج3، ص1420...

99- Briton Cooper Busch, Britain and the Persian Gulf, 1894- 1914, university of California press 1967...

100- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، بغداد، 1968م، ص197...

101- خالد خليفة الخليفة، مصدر سابق، ص76...

102- محمد الرميحي، مصدر سابق، ص76...

103- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج6، ص3246...

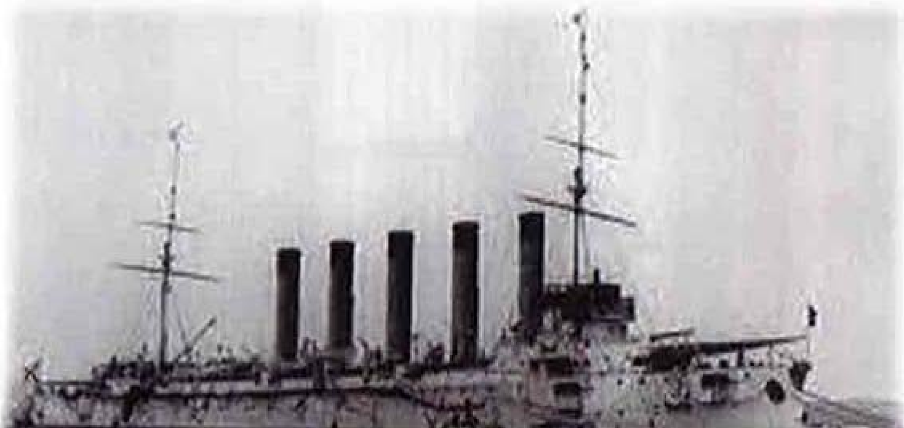
104- ج-ج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج1، ص311...

105- خالد خليفة الخليفة، مصدر سابق، ص43...



أخبار البحرين في المصادر الروسية حتى عام 1914م،،،

دراسة تاريخية توثيقية توضح أهمية البحرين بالنسبة للمصالح الروسية وحتى العام 1914م،،،



إعداد الباحث:
الدكتور صبري فالح الحمدي،،،

تمهيد تاريخي :

لقد شكلت البحرين عبر تاريخها الطويل نقطة جذب للعديد من القوى الأجنبية التي سعت إلى مد سيطرتها ونفوذها على منطقة الخليج العربي... ونحن في بحثنا هذا إذ نتطرق لبيان أهمية البحرين بالنسبة للمصالح الروسية وحتى العام 1914م، فإننا نفعل ذلك بهدف الكشف عن جوانب الاهتمام الروسي في البحرين في تلك الفترة، وهو الأمر الذي يتطلب جهوداً بحثية علمية، كما ويفترض على المختصين والدارسين السعي لاستقراء المصادر التاريخية والوثائقية الروسية، فضلاً عن الرجوع إلى الكتب والمؤلفات المتخصصة والبحوث المنشورة، وذلك بغية الاستفادة منها للحصول على معلومات قيّمة تدلل على أهمية ما تمثله البحرين في خارطة المصالح الروسية، الأمر الذي يعطي إشارات واضحة إلى ضرورة دراسة وتتبع مسار ما تحويه خزائن هذه المصادر من سجلات ومراسلات، وما تتضمنه من معلومات تاريخية توثيقية نحن بحاجة لدراستها، ومحاولة استشراف نصوصها، وذلك تحقيقاً لمعرفة المزيد من جوانب تاريخ البحرين العريق، والتي ظلت معتمدة ولمدة طويلة على المصادر البريطانية بالدرجة الأولى، والتي قد تكون ربَّما منحازة، وغير منصفة في تدوينها لما جرى من أحداث حينها...

طبيعة التغلغل الروسي في البحرين :

هذا وقد تمنهج البحث بصورةٍ أساسية حول تتبع طبيعة التغلغل الروسي في منطقة الخليج العربي، ومنها البحرين، وذلك عن طريق القيام بالبحث عن أصول هذا التغلغل ومصادره التاريخية ودراستها، وذلك بُغية الاهتداء إلى بيانات ومعلومات تضمها تلك المصادر عن البحرين وطبيعتها الجغرافية وتجارتها، والكيفية التي تعامل بها حكامها شيوخ آل خليفة مع السلطات البريطانية في المنطقة، فضلاً عن آثار ذلك على أوضاع البحرين الداخلية، وانعكاساته على صلاتها الخارجية، هذا إلى جانب تبيان جوانب وأشكال التدخلات البريطانية، والتي كانت ترمي إلى منع الروس من إيجاد مراكز لهم في البحرين؛ كما ويتطرق البحث كذلك إلى الكيفية التي تمكّن بها البحرينيون

من كسب موارد عيشهم، وذلك في الفترة الزمنية التي سبقت اكتشاف النفط في بلادهم، هذا فضلاً عن الكثير مما قد توضحه دراسة تلك المراجع التاريخية، والتي سوف يتعرّض البحث لعددٍ منها...

ومن جانبٍ آخر فهناك العديد من التساؤلات التي تمّ طرحها بشأن جدوى الوجود الروسي على قلّته في البحرين، فضلاً عن طبيعة ردود أفعال شيوخ البحرين وسكانها على توافد السفن التجارية الروسية إلى موانئهم، وفيما لاقاه ذلك النشاط بإشكاله الاقتصادية والعلمية ترحيبا من قبلهم، هذا إلى جانب معالجة دوافع الاستقبال الودي الذي كانت تقابل به السفن التجارية وبحارتها الروس حين وصولهم إلى البحرين، الأمر الذي قد يساعد على الاستدلال، ومعرفة الكثير من القضايا السياسية والتجارية التي لم تكن معروفةً في السابق، ومن ضمنها ما كان يدور في أوضاع البحرين الداخلية وعلاقاتها الخارجية، وذلك عبر تاريخها الحديث، والذي وُثّقت أحداثه بين ثنايا تلك المصادر التاريخية الروسية...

أخبار البحرين في المصادر الروسية حتى العام 1914م :

1- اشتداد التنافس العثماني - البريطاني للسيطرة على البحرين...

لقد أولت الأوساط الروسية اهتماما كبيراً بالبحرين، وذلك منذ وقت مبكر يقع ضمن الفترة التي احتدم فيها التنافس الذي كان موجوداً ما بين الدولة العثمانية وبريطانيا، وذلك بغرض الهيمنة على مناطق الخليج العربي، ومنها البحرين وذلك خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر الميلادي، ولاسيّما في السنوات التي أعقبت حملة الإحساء عام 1871م (1)، وقد تمّ توثيق هذه الأحداث في المصادر الرّوسية، وذلك من حيث كونها تؤثر على مصالحها، حيث جاء ذكرها على النحو الآتي: "... وهناك اشتداد التنافس العثماني – البريطاني للسيطرة على البحرين...، عقب حملة الإحساء عام 1871م، لكن بريطانيا تمكنت من بسط سيطرتها على البحرين...، بعد انسحاب مدحت باشا عام 1871م"(2)...

2- دخول الألمان إلى ميدان المنافسة مع البريطانيين والروس...

وعلى أثر دخول الألمان(3) إلى ميدان المنافسة مع البريطانيين والروس في منطقة الخليج العربي، وذلك في تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادي، والذي تمَ بعد حصولهم على امتياز مشروع سكة حديد(4) برلين-بغداد عام (1888م-1913م) من الدولة العثمانية، والذي تقرر بعد ذلك أن تكون نهايته الكويت بدلا من البصرة، مما أدى إلى أن يكون لذلك صداه في الأوساط الروسية، والتي كانت تروم إنشاء سكة حديد عبر فارس، وعليه فقد انعكست تلك التطورات على الروس بصورة جلية، حيث ظهر ذلك من خلال إشارتهم إلى البحرين بقولهم: "أن وكلاء الاحتكارات الألمانية في البصرة وبغداد قاموا بدعاية نشطة معادية للإنكليز، وإنهم ظهروا حتى في البحرين..."، وقد كان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى(5)...

3- وصول البحارة والتّجار الروس إلى مدن الخليج العربي...

لقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وصول عددٍ من البحارة والتجار الروس، فضلا عن مبعوثين آخرين في مهمات دبلوماسية وعلمية إلى مدن الخليج العربي، وقد كانت البحرين إحدى تلك الموانيء التي زارها الرحالة "بيستينين"، والذي قام من خلالها بتوثيق ما سجله عنها من بيانات مما يختص بشأن موقعها(6) وتجارتها، فضلاً عن مقدار ما تصدره وما تستورده من بضائع في النص الآتي: "يمتد أرخبيل البحرين بالقرب من الساحل الشرقي من "الخليج العربي"، والبحرين غنية جداً حيث توجد فيها المراعي والبساتين والعيون المائية، والمهنة الرئيسية لسكانها الـ (70.000) نسمة هي صيد اللؤلؤ وزراعة النخيل والملاحة، عاصمتها المنامة، نفوسها (25.000) نسمة تقع في جزيرة (أوال) والتي تمثل أكبر جزيرة في الأرخبيل، ويملك سكان المدينة (140) مركبا للتجارة الساحلية و(3000) زورق لصيد الأسماك، تبلغ صادرات البحرين (1.220.000) روبل(7)، والواردات (927.000) روبل، والدخل السنوي للشيخ الحاكم عيسى بن علي آل خليفة (1869م-1932م) يبلغ (1.830.000) روبل"(8)...

وقد اتضح مع بداية القرن العشرين الميلادي حصول تطور في المجال التجاري بين روسيا والبحرين، وذلك نتيجة لاتساع مصالحهما، ومما يعزز ذلك ما ورد بشأن حجم التجارة بينهما في التقرير الذي أعده "جي.في.أوفسينيكو"Ofseenko" القنصل العام الروسي في بوشهر، والذي يتضمن جداول بتجارة السكر في المنطقة، وقد كان مما جاء فيه فيما يختص بالبحرين التالي: "كانت القيمة الإجمالية للسكر المستورد إلى البحرين (51.247) روبل وذلك في عام 1897م، فيما بلغت كمياته في عام 1900م (59.786) روبل، وينقل السكر من البحرين إلى كل من قطر والموانيء الصغيرة في الإحساء، وحتى إلى الكويت"(9)...

4- مكانة البحرين في المصادر التاريخية الروسية...

وعلى الرغم من وجود معارضة من السلطة البريطانية للنشاط الروسي في البحرين، وذلك بحكم علاقاتها مع شيوخها من آل خليفة، فقد احتلت البحرين بحكم موقعها الجغرافي وكثرة جزرها، فضلا عن وجود مصائد استخراج اللؤلؤ على سواحلها بكميات تجارية، مكانة مهمة في المصادر الروسية والتي كانت تدون لبعض من تاريخ البحرين في تلك الفترة، حيث أشارت مصادرها إلى معلومات وثقها (جاسكين) قبطان السفينة "سيليكيا"، التي رست في البحرين في 12 أبريل عام 1901م، حيث استفسر فريق من الوافدين عليها عن الأوضاع التجارية السائدة في البحرين، وطلبوا جمع عينات من الأقمشة والسكر وصناعات الزجاج، لكنهم غادروا البحرين بعد رفض حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إعطاءهم موافقة تحريرية(10)، تتضمن عدم وجود أية قيود على تجارتهم في البحرين...، بعد ذلك عادت السفينة وزارت البحرين ثانية في أكتوبر عام 1901م، وغادرتها في 12 نوفمبر من العام نفسه، وقد أخبر قبطانها المستر (جاسكين)، نائب الوكيل السياسي (البريطاني) آنذاك في البحرين(11)، بأنه وزملائه الروس قد اشتروا اللآلئ من البحرين بحوالي (3000) فرنك، وإنهم قد ربحوا منها ربحاً مضاعفا بلغ (100٪)، وذلك بعد أن قاموا ببيعها في أوروبا... ولمّا قام الفريق بالعودة مرة أخرى إلى البحرين، وجدوا الأسعار مرتفعة جدا حينها، فاستثمروا

(3000) روبية فقط في شراء اللؤلؤ، ولكنهم هذه المرة أصيبوا بخيبة أمل نتيجة لخسارتهم، فعقدوا العزم على ألا يكرروا التجربة(12)...

5- تردد اسم البحرين في كتابات عالم الجيولوجيا الروسي "نيقولاي بوغايا فلنسكي"...

لقد شهد العام 1902م، وصول الرحالة "نيقولاي بوغايا فلنسكي" إلى البحرين، والذي يعد من علماء الجيولوجيا الذين كانوا يعملون في المتحف الجيولوجي الروسي، حيث أرسلته جمعية هواة العلوم الطبية والأنثروبولوجيا والأثنوجرافيا التابعة إلى جامعة موسكو للقيام بأبحاث علمية، وقد ورد في أحد تقارير البعثة التي كان يترأسها والمرسلة إلى القنصلية الروسية في بوشهر، بتاريخ أبريل عام 1902م، فيما يختص بزيارتها إلى البحرين ما يلي: "أمضى "نيقولاي بوغايا فلنسكي" ثلاثة أسابيع في البحرين وقد استقبله حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (1869م-1932م)، الذي سلمه رسالة منه إلى "جي.في.أوفسينيكو"(13)، وقد أبلغ "نيقولاي بوغايا فلنسكي" فيها عن دسائس الإنكليز وحسن الضيافة التي خص بها السكان المحليون أول شخص روسي في البحرين"(14)...

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو تردد اسم البحرين في كتابات عالم الجيولوجيا الروسي "نيقولاي بوغايا فلنسكي" في أكثر من مرة، حيث جاء فيما دونه في مراسلاته مع الجهات الرسمية في المدة نفسها، حول مشاهداته في البحرين، وما لمسه من توجهاتهم حيال روسيا ما يلي: "إن البحرينيين كانوا على استعداد أن يطوروا علاقاتهم مع روسيا بمشاهدة السفن التجارية الروسية عند جزر البحرين، ويهتمون بموقف روسيا من الدولة العثمانية ومعرفة حياة المسلمين في روسيا متأثرين بالدعاية الانكليزية بأنهم يعتقدون بأن الروس يفرقون في المعاملة بين الروس والمسلمين ويجبرونهم على أن يعتنقوا المسيحية"، هذا وقد جمع "نيقولاي بوغايا فلنسكي" خلال إقامته في البحرين مجموعة كبيرة من نماذج للتاريخ الطبيعي، فضلاً عن صور للمدينة وما

حولها، حيث اعتبرت هذه الزيارة من أبرز المحطات في سياق العلاقات بين روسيا والبحرين، والتي حظي فيها "نيقولاي بوغايا فلنسكي" باستقبال وترحيب في البحرين والبلدان الأخرى التي زارها(15)...

6- ذكر البحرين في أرشيف السياسة الخارجية الروسية...

وفي مقابل ذلك فقد جاء ذكر البحرين في أرشيف السياسة الخارجية الروسية، حيث تضمنت تقارير بعثتها القنصلية الروسية(16) في بوشهر عام 1902م إلى الحكومة في موسكو، وما عرضه السيد "جوجير A.Goguyer" (17) الوكيل التجاري الفرنسي الجنسية الذي يعمل في الشركة الروسية للملاحة والتجارة، في تقريره من مسقط والمؤرخ في 8 يوليو عام 1902م عن آل خليفة أمراء البحرين(18) وعلاقتهم بالسلطات البريطانية ما يلي: "وقد قَدِمَت عشيرة بني عتبة إلى البحرين منذ 120 عاماً، وذلك خلال فترة احتلالها وكان وقتئذ السكان الأصليون يعانون من تردي الأوضاع في شتى الميادين"، وعندما جاءت بريطانيا للمنطقة، قامت وبهدف تثبيت وجودها، باستقدام بعض رعاياها من العوائل الهندية والباكستانية، وذلك لاستخدام رجالها في مناصب الشرطة، كجزء من إجراءاتها بالتدخل في إدارة شؤون البحرين في تلك الفترة، وفي عام 1880م، وعلى خلفية النشاط البحري العثماني في الخليج العربي، أسرعت بريطانيا بإبرام المعاهدة التي عُرفت باسم "المعاهدة المانعة الأولى"(19)، وذلك بتاريخ ديسمبر من عام 1880م، بين كلٍ من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين والمقيم البريطاني الكولونيل روس، حيث ألزمت هذه المعاهدة حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بأن لا يتفاوض أو يدخل في اتفاقية مع أية دولةٍ أجنبية، ولا يُقيم قنصليات لها إلا بعد موافقة بريطانيا، وعليه: "يجب أن تكون البحرين تحت الرعاية الدولية، ولكن سرعان ما توتر الوضع حتى وصل الأمر في العام الماضي إلى أن يضطر الأمير الحاكم أن يعلن إبنه الأكبر الشيخ "حمد بن عيسى آل خليفة" ولياً للعهد، وذلك بعد موافقة الحكومة البريطانية، وفي

الوقت نفسه إنني على علم بأن بني عتبة هم في الحقيقة خصوم الإنجليز...، وفي هذه الحالة اقترح ما يلي:

1- زيادة عدد العائلات ذات الأصل الفارسي(20)، والتي ستكون تحت رعاية الإمبراطورية الروسية، لأن كل الأوروبيين قد وجدوا تحت رعاية القنصلية الإنجليزية، فعندما يكون في هذه المنطقة تزايد في أتباع روسيا من الممكن أن نوجه عنايتنا بإعادة النظر بلا شك في معاهدة عام 1880م بعد موافقة الأمراء...
2- الإعانة في إنشاء المنشآت...
3- إنشاء محطة نقل روسية في المنامة وبالذات منح الرعاية للوكالة التي ستعمل هناك...
4- اختيار الفرصة المناسبة وتقديم طلب الأمير الحاكم إلى الدول المتقدمة على موافقتها بقبول إمارته كحليف لها ومن الممكن لأمراء الإمارات العربية الصغيرة الأخرى أن يخطو نفس هذه الخطوة"(21)...

7- النشاط الروسي في البحرين...

أدى النشاط الروسي في البحرين إلى إثارة مخاوف بريطانيا على مصالحها المتنامية فيها، وبناءاً على ذلك، واستنادا للوثائق الروسية: "فإنه في أثناء زيارة بعثة "نيقولاي بوغايا فلينسكي" المذكورة سلفاً إلى البحرين في الفترة ما بين عامي 1901م-1902م، والتقاطه صور لأشخاص ومناظر طبيعية هناك، وهو ما ولّد رد فعل بريطاني إزاءه، إذ كانوا يعتقدون بأنه يتجسس لصالح روسيا، وإن ذلك كان يمكن أن يعرضه لخطر شديد، وأشار المبعوث الروسي إلى أن الانجليز كانوا يضعون له عراقيل كثيرة، إذ أوقفوا حقائبه في الجمرك، وعطلوه في استئجار بيت في البحرين، وأجّلوا أكثر من مرة موعد لقائه(22) مع حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة"(23)...

وإلى جانب ما سبق، تجدر الإشارة إلى أن هناك معلومات عن البحرين دوّنت باللغة الروسية وذلك في الفترة الواقعة ما بين عامي 1905م و1906م، وتحت عنوان (وصف مختصر لجزيرة البحرين وتجارتها)، محفوظة في أرشيف وزارة الخارجية، حيث يحتويها تقرير مؤلف من ثمانية عشرة

صفحة، يستعرض فيها الصراع البرتغالي- الإنكليزي(24) للسيطرة على البحرين، فضلاً عن موقف فارس منها وذلك في القرنين السابع عشر الميلادي والثامن عشر الميلادي، وقد جاء في نصه مايلي:

"استولى البرتغاليون بالقوة على جزر البحرين عام 1517م(25)، وذلك لاستغلال اللؤلؤ استغلالا صحيحاً في مياه الخليج العربي، واحترفوا هذه الحرفة مدة 115 عاماً، ولكن الشاه الفارسي طرد(26) البرتغاليين في عام 1622م(27)، واستولى على هذه الجزر، ورغم النزاعات الشديدة بين الفرس والقبائل العربية في حق ملكية هذه الجزر واستغلالها، فإن الفرس احتلوها حتى العام 1784م(28)، وفي هذا العام استغلت القبائل العربية(29) من العتوب (آل خليفة) ضعف الفرس وأرجعت مجموعة جزر البحرين"(30)...

وهنا لا بدّ لنا من التذكير بما تحتويه الأضبارات التي يضمها أرشيف الحكومة الروسية في سان بطرسبرج من تفاصيل عن حركة السفن الروسية التجارية العاملة ما بين أوديسا الميناء المطل على البحر الأسود وميناء البحرين، وهو الأمر الذي أفصح عنه "أوفسينيكو" القنصل الروسي في البصرة في تقريره عام 1906م، والمقدم إلى إدارة الشركة الروسية مع بلدان عدة، والذي جاء فيه ما يختص بالبحرين على النحو التالي:

"الوثيقة: الصفحة 44-45 من الإضبارة...

النسخة غير أصلية "مصدق عليها"...

السفينة التجارية الثانية للشركة الألمانية "Hamburg- America-linic" السفينة التي دخلت الآن الخليج (العربي) كانت ذات ساريتين، واسمها سيسيليا "Cecilia"، ووزنها 1865 طناً، وسرعتها 11 ميلاً......، تركت لنجة في ظهيرة 13 سبتمبر عام 1906م، وأخذت منها 15 كيساً من السمك المجفف و10 أكياس من الأرز للبحرين...، وفي 14 سبتمبر وصلت البحرين وأفرغت 668 صندوقا فقط من حمولتها، ومنها 300 صندوق من السكر المكرر، و30 صندوقا من المعكرونة، ومكائن من المنسوجات، و5 أماكن

من الأواني، و40 مكانا من الأقمشة، و15 صندوقا من الكبريت، و5 صناديق من الحديد، وصندوقا واحدا من البضائع المختلفة، وفي الثالثة بعد الظهر غادرت جزر البحرين(31)، وقد حملت على متنها 13 راكبا إلى البصرة"(32)...

وإلى جانب المعلومات المذكورة سابقاً، يوجد هنالك أيضاً معلومات مستقاة من دائرة الإحصاءات الخارجية التابعة لوزارة القوات البحرية الروسية، والتي تحتفظ بوثائق تضم بين دفتيها تفاصيل عن جغرافية وتضاريس منطقة الخليج العربي وجزره، وموارد رزق السكان ومعيشتهم المعتمدة على اللؤلؤ المستخرج من مصائد البحرين المعروفة بغناها، فضلا عن الثروة السمكية، والتي لا يفوتنا هنا أن نقتطف بعضاً منها مما ورد فيها عن البحرين وذلك في العام 1906م، وهذا نصه: "يقع خليجان منخفضان في الجنوب على الساحل العربي، أي خليج البحرين...، وهناك عدة قصبات تجارية عربية تماما تحتكر التجارة الساحلية، وتوجد جزر كبيرة عديدة كالبحرين...، والمياه الخليجية ثرية بالحيوانات وتصلح لصيد السمك طوال العام، ويتم تجفيف الأسماك في الشمس وتباع في الجزيرة العربية وزنجبار وحتى الهند، كما ويشكل صيد اللؤلؤ المصدر الرئيسي الطبيعي للدخل وتشارك 5000 سفينة و7000 نسمة في صيد اللؤلؤ سنويا، وتقع أثرى مصائد اللؤلؤ بالقرب من البحرين(33)، وتصدر اللآلئ إلى كل من بغداد وبومباي وأوروبا"(34)...

ومن الجانب الأخر، فقد كان للبحرين نصيب من الاهتمام الروسي لعموم منطقة الخليج العربي، حيث جاء ذكرها في دائرة الإحصاءات الخارجية التابعة لوزارة القوات البحرية الروسية وهي تدون أشكال التبادل التجاري بين روسيا وجزر البحرين في العام 1906م، مما زودنا بمعلومات قيمة عن جغرافية البحرين وسكانها واقتصادها، والتي جاء نصها على النحو التالي: "وهناك الجزيرة الرئيسية (البحرين) في الأرخبيل تمتد إلى 27 ميل طولا، و10 أميال عرضا، والجزر الأخرى هي كل من المحرق وسترة والنبيه صالح، حيث يبلغ سكان هذه الجزر 70 ألف نسمة، والمدينة الرئيسية هي المنامة وتقع في جزيرة البحرين، وعدد سكانها 25 ألف نسمة، ويبلغ عدد

القرى في الجزيرتين مائة قرية، ويشكل صيد اللؤلؤ الحرفة الرئيسية، وتشارك فيه حوالي 900 سفينة، ويتكون طاقم كل سفينة من 8 إلى 40 رجلا، كما وتنتج البحرين التمر والبرسيم وقماش الأشرعة والحصران من القصب، وتبلغ صادراتها 9 ملايين روبل، والواردات 10 ملايين روبل"(35)...

هذا وقد استمرت البحرين تحتل مكانة بارزةً في الخليج العربي، وتحتفظ بعلاقات جيدة مع البلدان الأخرى، وذلك على الرغم من قرب قيام الحرب العالمية الأولى في العام 1914م، وهو الأمر الذي سلطت الأوساط الروسية الضوء عليه، كما واحتفظت به موثقا في أرشيفها التاريخي في سانت بطرسبرج لعام 1913م، حيث ورد الحديث فيه عن أهمية البحرين التجارية كما يلي: " نلاحظ في بعض الرسائل والوثائق تطلب الشركة(36) للملاحة والتجارة الدخول بصورة اختيارية إلى كل من ميناني البحرين و...، وإن البحرين كانت تدخل ضمن جدول الرحلات كإحدى الموانيء التجارية، لأن بعض الوثائق تتوقع لهذا الميناء مستقبلا جيداً، وذلك كما هو مدون بالوثيقة المذكورة في الاضبارة رقم 2206 لعام 1914م"(37)...

8- منزلة البحرين الخاصة في المصادر الروسية المتنوعة :

مما لا شك فيه هو أن البحرين قد استطاعت أن تتبوأ مكانةً مهمةً، ومنزلة خاصة في المصادر التاريخية الروسية المتنوعة، وذلك من خلال موقعها الجغرافي المهم في قلب الخليج العربي فضلاً عن غناها بالثروات الطبيعية والمياه والينابيع العذبة إلى جانب مصائد اللؤلؤ فيها، وثرواتها الزراعية والسمكية، وعليه فقد حظيت البحرين باهتمام المبعوثين الروس تجارا وبحارة، فضلا عن علماء طبيعة، الذين راحوا يوضحون معالمها الجغرافية والعمرانية، وذلك إلى جانب دورها التجاري في الخليج العربي، وتردد السفن القادمة من بلاد الهند وشرق أفريقيا، فضلاً عن بلدان أوروبا إليها، وهي تحمل أعلام دول متعددة، وذلك بغية التجارة في هذه الجزر والتعامل مع تجارها، ومما لاشك فيه هو أن ترحيب شيوخها آل خليفة وسكانها بالقادمين من روسيا قد ساهم في ترك آثار إيجابية أدت إلى زيادة حجم الاهتمام

الروسي بالبحرين، فضلاً عن توافد المزيد من الروس إليها سعياً للتبادل التجاري معها، وتحقيقاً لأرباحٍ طيبة جراء رواج بضائعهم في أسواق البحرين، ولا يفوتنا هنا أن نذكر الدور المهم الذي لعبه شيوخها من آل خليفة الذين كانوا يمدون يد الصداقة للقوى الأوربية الأخرى، في محاولة منهم للتخفيف من الضغوط والتدخلات البريطانية في شؤون بلادهم، وهو الأمر الذي أوضحته الصفحات السابقة بشيء من الإيجاز، وذلك إلتزاماً بالمنهجية التاريخية الخاصة بموضوع البحث...

الاستنتاجات والتوصيات:

لقد توصل البحث إلى مجموعة من الحقائق التاريخية، والتي يبرز أهمها كما يلي:

- أولاً :

شكلت المعلومات التي تضمنتها المصادر الروسية على أنواعها رافداً تاريخياً جديداً سلط الضوء على جوانب متعددة من جغرافية البحرين، ووصف معالم عمرانها وطبيعة سكانها، كما وقدّم إضافات علمية عن جزرها وموقعها وتضاريسها، وإلى جانب ذلك فقد زوّدنا بالعديد من الآراء المستقاة من تلك المصادر عن تاريخ البحرين الحديث، وطبيعة الصراع الإقليمي والدولي الذي تعرضت له عبر سنوات كثيرة، ولاسيما التنافس بين الدولة العثمانية وبريطانيا، ثم دخول الألمان والروس كأطراف جديدة في حلبة ذلك الصراع الذي كان محوره البحرين في بعض الأحيان الأمر الذي أعطاها مكانة سياسية واقتصادية ربما انفردت بها عن سواها من إمارات الخليج العربي في تلك الفترة المبكرة من تاريخها...

- ثانياً :

لعل من أهم ما خرج به البحث عن أخبار البحرين في المصادر الروسية، هو الكثير من المعلومات القيمة ذات الأهمية العلمية، وذلك بوصفها قد عرضت لنا إحصاءات احتوت على أرقام عن تجارة البحرين مع المناطق الأخرى، سواءاً مع الخليج العربي والجزيرة العربية، أو في صلاتها مع العالم الخارجي، لاسيما مع بلاد الهند وشرق أفريقيا ومدن البحر المتوسط التجارية، فضلا عمّا نقلته لنا عن وجود خط ملاحي بين موانئ البحر الأسود في روسيا وجزر البحرين، وهو الأمر الذي لم يكشف اللثام عنه إلا مؤخرا، وذلك عقب الاطلاع على الوثائق الروسية التي نشرت، مما أسهم في انتعاش أوضاع البحرين الاقتصادية حينها، كما ودلل على دورها التجاري الملحوظ في المنطقة، هذا إلى جانب تبيان عمل غالبية سكانها في الميدان التجاري وحسن

درايتهم به، الأمر الذي أكسبهم ثقة الآخرين من بحارة وتجار روس وغيرهم، فضلاً عن العديد من القرائن المضافة الأخرى والتي تدل على ازدهار البحرين، كما وتعزز من تميزها في أداء وظيفتها التجارية، وهو ما أكّدته المصادر والمدوّنات التي كتبها وافديها من الروس وعلى اختلاف وظائفهم ومهامهم، وذلك عبر تواجدهم ومشاهداتهم في أرجائها وربوعها...

- ثالثا :

يتضح جلياً من خلال بحثنا هذا، مدى الترحيب الذي لقيه المبعوثون الروس بحارة وتجاراً وباحثين علميين، ومظاهر الاستقبال التي قوبلوا بها على أرض البحرين سواءاً من قبل شيوخها آل خليفة أو سكانها، وذلك على الرغم من الوجود البريطاني الرافض لدخول أية دولة أخرى منافسة لبريطانيا في هذه المناطق، وهو مما يؤشر على حقيقة مؤداها إن البحرين كانت غير راضية عن استمرار التدخل البريطاني في شؤونها الداخلية وعلاقاتها الخارجية، وهي إذ ترحب بالروس، فإنما تعكس في عين الوقت مدى تذمرها من الوجود البريطاني، كما وتبحث عن أصدقاء لها من الدول الأوروبية، أملاً في أن يخفف ذلك من وطأة التدخل البريطاني في شؤونها...

- رابعا :

إنّ التطورات التي لمسها الوافدين الروس إلى البحرين، جعلتهم يعملون جاهدين على محاولة إتباع جميع الوسائل الممكنة لتوثيق صلاتهم معها، ومن ثم راحوا يصفون لنا ما وجدوه في أثناء زياراتهم وعبر مشاهداتهم، مما حفلت به البحرين من أحداث مختلفة، والتي أخذت حيزا كبيراً من الاهتمام الروسي، حيث قاموا بتدوين وتوثيق جميع ما لاحظوه من ظواهر متنوعة سياسية واقتصادية وحتى اجتماعية تناولت سكان البحرين ووظائفهم وأعمالهم، فضلا عن توثيقهم لأدق التفاصيل عن حجم التجارة بين البحرين والشعوب والبلدان الأخرى، وذلك مما يعزز وجود رغبة مشتركة ومتبادلة بين الجانبين لتعزيز تلك العلاقات والعمل على تطويرها...

المصادر والمراجع :

1- الوثائق المنشورة :

- الأرشيف الروسي التاريخي في بطرسبرج، الملف رقم 107، القائمة رقم1، الاضبارة رقم 1766 ع ام 1906م، رقم الختم : 924، تاريخ الختم: 6 أبريل 1907م، ص44-45 من الاضبارة، نقلا عن: يافعة يوسف جميل، العلاقات التجارية بين روسيا والخليج العربي من خلال الوثائق التاريخية لعام 1906م-1914م، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشر، يوليو 1997م...

- أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية في موسكو، الملف 210، القنصلية في بوشهر (1901م-1918م) القائمة 623، الاضبارة 9، الأرشيف السياسي لعام 1902م، الصفحات 31-32، بتاريخ 23 سبتمبر 1902م، نقلا عن: الفيرافاراخوفا، المراسلات الدبلوماسية والمراسلات الشخصية المتعلقة بمسقط من خلال الوثائق التاريخية المتعلقة بأرشيف السياسة الخارجية لإمبراطورية روسيا في موسكو لعام 1902م-1905م، مجلة الوثيقة، العدد السادس والأربعون، السنة الثالثة والعشرون، يوليو 2004م...

- أرشيف سياسة روسيا الخارجية (أ.س.ر.خ) الصندوق 147، قنصلية بوشهر، القائمة 623، اضبارة رقم 3، عام 1901م-1902م، الصحيفة 4-5، نقلا عن: جيناديجور ياتشكين، شبه الجزيرة العربية كما رآها من عام 1800م-1950م، بعثة علمية لنيقولاي بوغويا فلينسكي إلى الخليج العربي عام 1902م، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشر، يوليو 1997م...

- أرشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة القسطنطينية، الإضبارة رقم 1266، ص3-16، بلاغ آداموف إلى وزارة الخارجية بتاريخ

1903/1/8م، رقم 19، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي 1899م-1903م، الناشر: ي.ريزفان، دار التقدم، موسكو، عام 1990م...

- أرشيف المخطوطات الروسية، مجموعة مخطوطات سوفسكايا، جـ11، نقلا عن: التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، إعداد أداموف، ترجمة نوري عبد البخيت، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد 9، 1978م...

<u>2- المذكرات الشخصية :</u>

- مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاتة، ط1، القاهرة، 1913م...

<u>3- الرسائل الجامعية :</u>

- رميض، غانم محمد، قيام حكم سلالة اليعاربة وانهياره في عمان (1624م-1749م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1987م...

- العبودي، نادية كاظم محمد، السياسة الفارسية تجاه القبائل العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي في القرن الثامن عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد، جامعة بغداد، 2002م...

<u>4- الكتب العربية والمعربة :</u>

- بحري، لؤي، سكة حديد بغداد: دراسة في تطور ودبلوماسية قضية سكة حديد برلين – بغداد حتى عام 1914م، بغداد، 1967م...

- الحمدي، صبري فالح، أضواء على تاريخ البحرين الحديث، ط1، دار الحكمة، لندن، 2007م...

- صفحات من تاريخ الخليج العربي الحديث، دارة الحكمة لندن، 2002م...

- الكويت نشوؤها وتطورها 1750م-1871م، دار الحكمة، لندن، 2005م...

- الدباغ، مصطفى، الجزيرة العربية موطن العرب ومهد الإسلام، جـ2، بيروت، 1963م...

- الرميحي، محمد، قضايا التغيير السياسي والاجتماعي في البحرين 1920م-1970م، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، 1976م...

- زيدان، ناصر، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2013م...

- العبيدي، إبراهيم خلف، الحركة الوطنية في البحرين 1914م-1971م، مطبعةالأندلس، بغداد، 1976م...

- العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982م...

- الهيتي، صبري فارس، الخليج العربي دراسة الجغرافية السياسية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981م...

5- المصادر الأجنبية :

- Busch, Briton.c.; Britain and the Gulf 1894-1914, University of California Press, 1976...

- Curzon, J.N., Persia and the Persian Question, Vol.2, 1982...

- Foroughy A.; Bahrain Island, New York, 1950...

- Hopkins, John, The Gulf States, London, 1981...

- Saldana, J.A., Selections From State Papers Bombay Regarding, the East India Company Connection With A Summary of Events 1600-1800, Vol. 11, Calcutta, 1908...

6- البحوث المنشورة :

- أباحسين، علي، لمحة حول العلاقات التاريخية بين روسيا ودول الخليج العربية، مجلة الوثيقة، البحرين، مركز الوثائق التاريخية، العدد الخامس والثلاثون، العام الثامن عشر، يناير 1999م...

- أحمد، كمال مظهر، والتكريتي، هاشم، قطر في الدراسات الروسية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الرابع عشر، ديسمبر، 2003م...

- الأسدي، رياض جاسم، النشاط الألماني في الخليج العربي 1900م-1914م، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد 3-4، 1999م...

- دياكوف، نيقولاي. إن.، شبه الجزيرة العربية والخليج من خلال الوثائق والدوريات بسان بطرسبرج بداية القرن العشرين الميلادي، مجلة الوثيقة، العدد السادس والأربعون، العام الثالث والعشرون، يوليو 2004م...

- ردكين، أوليج، وصف الخليج العربي للرحالة والبحارة الروس من 1897م-1906م، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والثلاثون، العام الثامن والعشرون، يناير 2009م...

- لبيد، نسكايا، تي.ان، شبه الجزيرة العربية كما وصفها بي ستينين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، مجلة الوثيقة، البحرين، مركز الوثائق التاريخية، العدد الثاني والخمسون، العام السادس والعشرون، يوليو 2007م...

- النجار، مصطفى عبد القادر، العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي بالخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد الثاني، العام الثاني، 1975م...

الهوامش:

(1) لمزيد من التفاصيل عن حملة الإحساء العثمانية عام 1871م، أنظر: مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاتة، ط1، القاهرة، 1913م...

(2) أرشيف المخطوطات الروسية، مجموعة مخطوطات سوفسكايا، جـ11، نقلا عن: التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، إعداد آداموف، ترجمة نوري عبد البخيت، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد 9، 1978م، ص111-112...

(3) لمزيد من التفاصيل أنظر: رياض جاسم الأسدي، النشاط الألماني في الخليج العربي 1900م-1914م، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد (3-4) 1999م، ص73-80...

(4) لمزيد من التفاصيل أنظر: لؤي بحري، سكة حديد بغداد دراسة في تطور ودبلوماسية قضية سكة حديد برلين – بغداد حتى عام 1914م، بغداد، 1967م...

(5) كمال مظهر أحمد، وهاشم التكريتي، قطر في الدراسات الروسية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الرابع عشر، كانون الأول، 2003م، ص122-127...

(6) صبري فارس الهيتي، الخليج العربي دراسة الجغرافية السياسية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981م، ص111-112...

(7) الروبل: وهو العملة الروسية، الدولار الأمريكي يساوي (26.5) روبل...

(8) تي.ان.ليبدنسكايا، شبه الجزيرة العربية كما وصفها بي ستينين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة الوثيقة، البحرين، مركز الوثائق التاريخية، العدد الثاني والخمسون، العام السادس والعشرون، يوليو 2007م، ص35...

(9) نيكولاي. ان. دياكوف، شبه الجزيرة العربية والخليج من خلال الوثائق والدوريات بسان بطرسبرج بداية القرن العشرين الميلادي، مجلة الوثيقة، العدد السادس والأربعون، العام الثالث والعشرون، يوليو 2004م، ص70...

(10) أخذت روسيا منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تقوم بمناورات سياسية بهدف الحصول على امتياز يخولها حق بناء محطة لتموين سفنها في منطقة الخليج العربي مما أثار البريطانيين الذين لم يكونوا على استعداد للتخلي عن أي مركز لهم في الخليج العربي، فراحوا يمارسون الضغوط على شيوخ المنطقة لمنعهم من إقامة علاقات مع بلدان أخرى حينذاك، لاسيما روسيا وألمانيا...

- J.N.Curzon; Persia and the Persian Question, Vol.2 London, 1891, P454-456...

(11) عُيّن "ج.س. كاسكن" كمساعد وكيل سياسي في البحرين، كما بُنيت دار للوكيل في المنامة خلال عامي 1901م-1902م، وبعد أربع سنوات من ذلك التاريخ أُبدل "كاسكن" بوكيل أصيل هو الكابتن "اف.ب.بريدوكس"، ومن خلال هؤلاء الوكلاء أخذ النفوذ البريطاني يقوى شيئا فشيئا... محمد الرميحي، قضايا التغيير السياسي والاجتماعي في البحرين 1920م-1970م، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، 1976م، ص33...

(12) نقلا عن: علي أباحسين، لمحة حول العلاقات التاريخية بين روسيا ودول الخليج العربية، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والثلاثون، العام الثامن عشر، يناير 1999م، ص40...

(13) كان يتولى وظيفة القنصل الروسي في بوشهر...

(14) أرشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة القسطنطينية، الاضبارة رقم 1266، ص3-16، بلاغ آداموف إلى وزارة الخارجية بتاريخ 1903/1/8م، رقم 19، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي 1899م-1903م، الناشر: ي.ريزفان دار التقدم، موسكو، 1990م، ص20-21...

(15) ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2013م، ص66. علي أباحسين، المصدر السابق، ص44...

(16) بعد تأسيس شركة البحر الأسود الروسية للملاحة والتجارة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، والتي أخذت على عاقتها تسيير خط ملاحي بين موانئ أوديسا على البحر الأسود وبوشهر والبصرة على الخليج العربي، قامت روسيا في إطار سياستها الجديدة في إنشاء عدد من القنصليات، منها في بوشهر ومناطق أخرى عام 1901م، ووضعت تحت تصرف القنصلية العامة في بوشهر حامية من الجنود وسفينة مرابطة هناك... مصطفى عبدالقادر النجار، العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي بالخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد الثاني، العام الثاني، 1975م، ص112-113...

(17) جوجير: من تجار السلاح الفرنسيين المعروفين في مسقط، ذلك إن عمان كانت تعد مستودعا خصبا لتوزيع الأسلحة في الجزيرة العربية وفارس وبلوخستان، وطبقا لنظام الامتيازات كانت الشركات الأوروبية الخاصة لا تخضع للرقابة فتستطيع بيع الأسلحة للمواطنين العرب دون أن تملك حكومة مسقط حق التدخل في ذلك، وقد أثرى "جوجير" من تجارته الرابحة حتى إنه قدم قروضا إلى سلطان مسقط... صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982م، ص210...

(18) لمزيد من التفاصيل أنظر: صبري فالح الحمدي، أضواء على تاريخ البحرين الحديث، ط1، دار الحكمة، لندن، 2007م...

(19) معاهدة عام 1880م: احتوت هذه المعاهدة الموقعة بين بريطانيا والشيخ عيسى بن علي آل خليفة على التزامه بأن لا يتفاوض أو يدخل في اتفاقية مع أية دولة أجنبية، ولا يقيم قنصليات لها، أو مستودعات للفحم في أراضي البحرين إلا بعد موافقة بريطانيا...

-A.Foroughy; Bahrain Island, New York, 1951, P.125...

(20) يبدو أن المقترح الروسي قد جاء رداً على استقدام بريطانيا لبعض العوائل الهندية والباكستانية لاستخدام رجالها في مناصب الشرطة ضمن إجراءاتها في إدارة شؤون البحرين حينذاك، بوصف ذلك إحدى الوسائل المساعدة في التغلغل الروسي هنا... خضير نعمان العبيدي، البحرين من إمارات الخليج العربي، مطبعة المعارف، بغداد، 1969م، ص134...

(21) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية في موسكو، الملف 210، القنصلية في بوشهر 1901م-1918م القائمة 623، الاضبارة 9، الأرشيف السياسية لعام 1902م، الصفحات 31-32، تاريخ 23 سبتمبر 1902م، نقلاً عن: الفيرافاراخوفا، المراسلات الدبلوماسية والمراسلات الشخصية المتعلقة بمسقط من خلال الوثائق التاريخية المتعلقة بأرشيف السياسة الخارجية لإمبراطورية روسيا في موسكو للعام 1902م-1905م، مجلة الوثيقة، العدد السادس والأربعون، العام الثالث والعشرون، يوليو 2004م، ص109-112...

(22) مارست بريطانيا ضغوطا شتى على حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة لمنعه من ممارسة السيادة على بلاده، ومنها فرض الغرامة المالية، فضلا عن وسائل أخرى...لمزيد من التفاصيل أنظر إبراهيم خلف العبيدي، الحركة الوطنية في البحرين 1914م-1971م، مطبعة الأندلس، بغداد، م1976، ص34...

(23) أرشيف سياسة روسيا الخارجية (أ.س.ر.خ) الصندوق 147، قنصلية بوشهر، القائمة 623، اضبارة رقم3، 1901م-1902م، الصحيفة 4-5، نقلا عن: جينادي جورياتكشين، شبه الجزيرة العربية كما رآها الروس من 1800م-1950م، بعثة علمية لـ"نيقولاي بوغويا فلينسكي" إلى الخليج العربي عام 1902م، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، العام السادس عشر، يوليو، 1997م، ص142...

(24) استمر الصراع بين البرتغاليين والإنكليز بهدف السيطرة على البحرين لسنين طويلة بعد دخول الأوربيين إلى الخليج العربي مطلع القرن السادس

عشر الميلادي، وتبع ذلك انضمام الفرس إلى ميدان المنافسة حتى تحالفوا مع الإنكليز لإخراج البرتغاليين من معقلهم في هرمز عام 1622م... صبري فالح الحمدي، صفحات من تاريخ الخليج العربي الحديث، دار الحكمة لندن، 2002م، ص25-43...

(25) الصواب في 27 يوليو عام 1521م...

(26) وهو الشاه إسماعيل الأول الصفوي 1502م-1524م... لمزيد من التفاصيل أنظر: نادية كاظم محمد العبودي، السياسة الفارسية تجاه القبائل العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي في القرن الثامن عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، 2000م، ص32...

(27) تم طرد البرتغاليين من أهم معاقلهم في هرمز عام 1622م، وذلك بعد تحالف الإنكليز والفرس بموجب معاهدة نصت على مايلي:

أ. يدفع الفرس نصف تكاليف المعركة ويدفع الإنكليز النصف الآخر...
ب. اقتسام الغنائم بالتساوي بين الجانبين...
ج. إعفاء السلع الإنكليزية من دفع الرسوم الجمركية...
د. تسليم الأسرى المسلمين إلى الفرس والمسيحيين إلى الإنكليز...

- J.A.Saldanha; Selections From State Papers, Bombay, Regading, The East India Company Connection with A Summary of Events 1600-1800, Calcutu, Vol. 11, 1908, P.16...

ولكن في حقيقة الأمر فإن الفضل يرجع إلى اليعاربة في عمان في إخراج البرتغاليين من المنطقة... غانم محمد رميض، قيام حكم سلالة اليعاربة وانهياره في عمان 1624م-1749م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1987م...

(28) ترجح المصادر التاريخية إلى أن فتح البحرين قد تم في 28 يوليو 1783م، وذلك بعد أن تمكن عتوب البحرين وحلفاءهم بقيادة الشيخ أحمد بن خليفة آل خليفة (1783م-1794م) من دخولها...

- John Hopkins, The Gulf States, London, 1981, p.34...

(29) تتألف قبائل العتوب؛ من آل صباح، وآل خليفة، والجلاهمة... صبري فالح الحمدي، الكويت نشوؤها وتطورها 1750م-1871م، دار الحكمة، لندن، 2005م، ص37...

(30) د.علي أباحسين، المصدر السابق، ص45...

(31) أكبر هذه الجزر جزيرة البحرين (أوال)، والمحرق، وسترة وتقع إلى الشرق من جزيرة البحرين، والنبيه صالح شمالي سترة، وجو وتقع غرب جزيرة البحرين، ثم أم النعسان، وتقع إلى الجنوب منها... مصطفى مراد الدباغ، الجزيرة العربية موطن العرب ومهد الإسلام، جـ2، بيروت، 1963م، ص215...

(32) الأرشيف الروسي التاريخي في بطرسبرج، الملف رقم 107، القائمة رقم1، الاضبارة رقم 1766 عام 1906م، رقم الختم: 924، تاريخ الختم 6 أبريل 1907م، ص44-45 من الاضبارة، نقلا عن: يافعة يوسف جميل، العلاقات التجارية بين روسيا والخليج العربي من خلال الوثائق التاريخية لعام 1906م-1914م، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشر، يوليو (تموز) 1997م، ص142...

(33) تصدرت البحرين إمارات الخليج العربي الأخرى في تصدير اللؤلؤ، وازدهرت تجارتها في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حتى صار حجم تجارتها يشكل قرابة (45.7٪) من حجم التجارة في عموم المنطقة، وقدر ثمن ما اصطيد من اللؤلؤ في عام 1901م على سبيل المثال لا الحصر بـ 400 ألف جنيه استرليني...

- Briton .c. Busch; Britain and the (Persian) Gulf 1894-1914, University of California Press, 1967, P.26...

(34) أوليج ردكين، وصف الخليج العربي للرحالة والبحارة الروس من 1897م-1906م، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والثلاثون، السنة الثامنة والعشرون، يناير، 2009م، ص163-164...

(35) المصدر نفسه، ص167...

(36) وهي الشركة الروسية للملاحة والتجارة التي أخذت على عاتقها إنشاء وإدامة الخط الملاحي بين أوديسا الميناء الروسي على البحر الأسود، وميناء البحرين، وهي مرتبطة بالحكومة، وكانت تتلقى التقارير التي كان يرسلها البحارة والمبعوثين عن زيارتهم إلى البحرين وتسجيل ملاحظاتهم عما شاهدوه من مظاهر متعددة هناك...

(37) الأرشيف الروسي التاريخي في بطرسبرج، الملف رقم 107، القائمة رقم1، الاضبارة رقم 2206، عام 1913م، الوثيقة صفحة 14و16 من الاضبارة، الشركة الروسية للملاحة والتجارة، نقلا عن: يافعة يوسف جميل، المصدر السابق، ص140...